٧٤

تاريخ الطبّ والصّيدلة المصرية
فى العصر الفرعونى

د . سمير يحيى الجمال

Bibliotheca Alexandrina
0145979

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

الإخراج الفني : مراد نسيم

تاريخ الطب والصيدلة المصرية

الجزء الأول

في العصر الفرعوني

تأليف
د. سمير يحيى الجمال
دكتوراه الفلسفة في التاريخ

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

تقـــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب الهام الذى يتناول جانبا من جوانب تاريخ مصر ، وهو تاريخ الطب والصيدلة فى العصر الفرعونى ، وهو من تاليف الدكتور سمير يحيى الجمال الذى يحمل درجة دكتوراه الفلسفة فى التاريخ ، ويعتبر هذا الكتاب جزءا أولا سوف تتلوه أجزاء أخرى تتناول تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى بقية عصور مصر التاريخية .

والكتاب الذى بين يدى القارىء يتناول فى مقدمته نشأة المجتمع المصرى القديم وتطوره ، ويتناول فى القسم الأول من الفصل الأول مظاهر الحضارة المصرية ابان العصر الفرعونى من جوانبها السياسية والادارية والدينية والثقافية والفنية والعلمية والاقتصادية .

أما القسم الثانى فيتناول فيه المؤلف جذور الطب والصيدلة فى مصر القديمة ، كما يتناول التشريح وتطوره . ثم يتنـــاول فى القسم الثالث تطور الحضارة الطبية والصيدلية فى مصر القديمة ، ويتعرض للولادة وأمراض النساء وأمراض الرأس والرئة والطحال والكبد والعيون ، كما يتناول الختان والاجهاض . ويخصص جزءا خاصـــا للجراحة .

أما الفصل الثانى فيتناول فى القسم الأول منه المدارس الطبية والصيدلية فى مصر القديمة ، كما يتناول التعليم فى القصـــور

الملكية ، والمكتبات العلمية وانشاء جامعة الاسكندرية ، ومكتبة رمسيس الثانى .

أما القسم الثانى فيتناول فيه المؤلف النظريات الطبية عند قدماء المصريين فى التشريح ووظائف الأعضاء . كما يتناول فى القسم الثالث الأطباء فى مصر القديمة .

أما الفصل الثالث ، فقد خصصه المؤلف للبرديات الطبية المصرية القديمة ، وآلهة الشفاء ، والمركبات العطرية ، والزيوت الطيارة والعطور والبخور ، ومستحضرات التجميل ، كما تناول فيه التحنيط عند قدماء المصريين .

وقد خصص المؤلف الفصل الرابع ، وهو الأخير للنباتات الطبية والعطرية ، والعقاقير المصرية القديمة النباتية والحيوانية والمعدنية . وقد تعرض فيه أيضا للأماكن الدينية وصلتها بعلاج الأمراض ، وموائد الآلهة ابان العصور المصرية القديمة ، وعلاج الأمراض بالايحاء الروحى ، ومعابد العلاج الروحى فى مصر القديمة ، ومعابد العلاج بالموسيقى . والحمامات الخاصة والعامة فى العصور الفرعونية المختلفة .

والكتاب على هذا النحو يعد عملا موسوعيا من الدرجة الأولى ، ويثير شوق القارىء الى قراءة الأجزاء الأخرى التى تتناول عصور مصر التاريخية اللاحقة حتى العصر الحديث . وأمل أن يجد فيه القارىء العزيز ماينشد من متعة وثقافة وعلم .

والله الموفق

رئيس التحرير

أ . د . عبد العظيم رمضان

مقدمة

ازدهرت كتابة التاريخ فى القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن حتى كادت النظرة الحديثة لدراسة التاريخ أن تغلب ميادين كثيرة من المعرفة ، واهتم المؤرخون بالوقوف على الحقائق العلمية والوثائق الدقيقة وتحليلها بالدراسات المقارنة ووضع مراحل العلوم فى البيئة التى نشأت فيها ٠

وكان للعلوم نفسها نصيب كبير فى هذا الاتجاه واهتم العلماء والمؤرخون بدراسة تاريخ العلوم كل على حدة ولذا ظهرت المؤلفات الحديثة عن تاريخ الفلك والطبيعيات والطب والصيدلة والكيمياء ٠٠ وغيرها ٠

ولقد أوضح العلماء أن الحضارة الحالية ترجع جذورها الى قدماء اليونانيين واعتبروا بلاد اليونان هى مهد الحضارة فى كل نواحيها ٠ ولكن بعد ترجمة البرديات الطبية المصرية التى اكتشفت منذ القرن التاسع عشر الى اللغات الأوروبية من ألمانية وانجليزية ظهر للعالم خطأ ارجاع الحضارة الحالية الى الاغريق بسبب اقتباس

معظم العلماء الاغريق فى مؤلفاتهم الطبية والصيدلية من كل علوم قدماء المصريين ٠

لذا وجب علينا بوصفنا مصريين غيورين أن نظهر للعالم كله وفى المحافل العلمية وبكل الوسائل الممكنة فضل أجدادنا المصريين القدماء العظام على العالم وارجاع الحق اليهم بأن مصر هى مهد الحضارة بحق وأساسها الأصيل ٠

ولقد دفعنى هذا الشعور العميق أن أقدم لمصر ٠٠ بلدنا الغالى والحبيب الى قلب كل مصرى ٠٠ هذا المجهود المتواضع والذى حاولت فيه قدر استطاعتى أن أظهر بجلاء فضل الحضارة المصرية فى الطب والصيدلة على كل الشعوب ٠

دكتور سمير يحيى الجمال

مقـــدمة

نشاة المجتمع المصرى القديم وتطوره

فى العصور الجيولوجية القديمة ، كان البحر المتوسط يغطى أراضى مصر حتى أسيوط وتنهمر الأمطار بصفة مستمرة طيلة العام وبكثافة كبيرة . ولكن منذ حوالى ٢ ـ ٣ مليـــون عام حدثت عدة تغييرات جيولوجية كان من نتيجتها أن انخفض منسوب مياه البحر المتوســـط نتيجة انخفاض قاعه وارتفعت جبال وأراضى فى مصر الوسطى كانت فى قاع البحر مما دفع مياه نهر النيل الى الجريان الى الأرض المنخفضة المتكونة حديثا مكونة مجرى جديدا له ودلتا واسعة عند التقاء النهر بالبحر تحتوى على طمى آت مع مياه النهر من جبال الحبشة . (وتعود أقدم آثار اكتشفت للمصريين القدماء فى الصحراء الغربية الى عـــام ٣٠٠ر٠٠٠ ق.م وتتكون من آلات وأسلحة من الصوان المشطوف) .

وحوالى عام ٢٠ر٠٠٠ ق.م . بدأت الأمطار تقل كمية هطولها على تلك الجبال والصحارى الواسعة على جانبى نهر النيل نتيجة

تقلص كتلة الجليد على أراضى أوروبا وانحسارها الى المحيط المتجمد الشمالى • ولقد دفع هذا التغير فى الطقس جموع الأهالى والسكان فى الصحارى الى النزوح الى شواطىء النهر مبتغين الماء الوفير ووجدوا نباتات نامية فى التربة الخصبة فبدءوا يستغلونهـــا فى طعامهم وحياتهم وتركوا حياة الصحارى والصيد وجمع الثمار من الأشجار المتناثرة فى الواحات وبدءوا فى بناء منازل لهم من الأغصان والطين وتركوا حياة الكهوف وبذلك بدأت سلسلة تكون تجمعات سكانية على طول النهر من الشلالات والجنادل فى جنوب الوادى الى الدلتا الواسعة فى الشمال (*) •

وبتقدم الزمن تكونت فى غضون عام ٧٠٠٠ ق•م • اقاليم مستقلة على طول النهر كانت لها حضارات متقدمة مثل تلك التى عثر عليها فى مناطق المعادى وحلوان ومرمده •• الخ •

ومن أولى المراحل التى نعرفها عن قدماء المصريين أنهم كانوا قوما يشتغلون بالصيد فقد كان النيل يغمر واديه المنخفض بالمياه وكانت بعض الأمطار تسقط على الهضاب المجاورة حيث تعيش هناك أنواع من الغزلان والثيران البرية والفيلة وكثير من أنواع الحيوانات الأخرى التى لا توجد الا فى أواسط أفريقيا • ولم يكن للسكان بد من احتراف الصيد لتعذر احتراف الرعي لأن العشب لم يكن من الوفرة بحيث يسمح بتربية الحيوان بطريقة عملية مجدية ولكن من الجـائز أن يكون الانســان حينئذ قد استطاع تربية بعض الأغنام وبذل عناية خاصة فى اعداد المراعى لها • وان أول ركن تقوم عليه مهنة الصيد هو احتفاظ القبيلة لنفسها بحقوق خاصة على مسـاحـة معينة من الأراضى بحيث لاتعتدى على تلك الحقوق قبائل أخرى (**) •

(عرفت الزراعة المنظمة لأول مرة فى مصر عام ١٤٫٠٠٠ ق•م) •

(*) A History of the ancient Egyptians ; by J. Breasted.

(**) Descriptive Sociology of Egypt ; by Sir Flanders Petrie, London. (1923).

وقد استمرت الحروب بين القبائل للظفر بمواطن الصيد ومناطق جمع الثمار للحصول على اللحوم والفاكهة والحبوب والجذور والعشب ٠

وكانت كل قبيلة تتخذ نظاما اجتماعيا يهيىء لها أسباب الدفاع عن تلك الحقوق واننا لنشاهد هذا النظام الاجتماعى ذاته فى دنيا الحيوان والنبات ٠

على أن استغلال الأرض استغلالا خاصا للحصول على موارد القوت يتطلب وجود قبيلة متماسكة العرى للدفاع عنها وحمايتها من الدخلاء ٠ ومن أجل ذلك كانت الحاجة ماسة الى وجود رئيس (شيخ) يقبض على زمام تلك القبيلة ٠ وعندما قل سقوط المطر فى شمالى أفريقيا وقلت موارد مياه النيل انحسر الماء عن مسطحات غرينية تصلح للزراعة وقل عدد الحيوان فوق الهضاب ٠ وقد أغار على مصر وقتئذ أقوام من غرب مصر أتوا من ليبيا حيث ادخلوا حرفة الزراعة فى البلاد وقضوا على عادة أكل لحوم البشر والتى كانت متبعة قبل قدومهم وقد نسب المصريون هذه التغيرات للاله أوزوريس وأتباعه من الآلهة ٠ (وهذا رأى ينادى به بعض علماء الآثار بان الاله أوزوريس لم يكن مصرى الأصل بل هو اله ليبى من آلهة الزراعة والحصاد انتقلت عبادته الى مصر فى فجر تاريخها مع الليبيين الذين غزوا مصر فى ذلك العهد البعيد ٠ أما عادة أكل لحوم البشر فلم تكن موجودة فى مصر منذ بزوغ فجر الحضارة المصرية ولكن يبدو أنها كانت موجودة بين الأقوام البدائيين الذين سكنوا هضاب وادى النيل فى عصر ما قبل التاريخ بدليل الاشارة اليها فى نصوص الأهرام ٠ وهى الكتابات الدينية التى دونت داخل أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة ولكنها تسجل حوادث وعقائد وعادات ترجع الى ما قبل ذلك بآلاف السنين ٠ فقد جاء فى الفصل ١٧٣ ــ ١٧٤ من هذه النصوص ما يلى : أن الملك يأكل الناس ويعيش على الآلهة ٠٠ ولا شك أن هذه العادة اندثرت من مصر

منذ فجر التاريخ ولكن ظل صـــداها يتردد فى نفوس الناس حتى دونت ضمن نصوص الأهرام) (*) . هذا وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الذى علم أجدادهم المدنية ودربهم على الزراعة ونهاهم عن أكل لحوم البشر هو الاله أوزيريس وأتباعه من الآلهة . وقد لعب الغذاء دورا مهما فى انشاء المدن فى مصر القديمة ، فقد مكن الانتاج المنتظم للغذاء عن طريق الزراعة من امداد الزراع بمقادير وفيرة من الحبوب استطاعوا بها أن يختزنوا ما زاد عن حاجاتهم منها . وهذا الفائض المدخر من الغلال وخاصة القمح أمدهم برأس مال زودهم بأسباب القوة التى كانت من عوامل التمهيد لظهور حكومات المدن . وأصبحت مراكز المقاطعات هى مخازن الغلال الرئيسية التى تحفظ بها المحاصيل الفائضة المدخرة والتى بدورها ساعدت على نشأة المدن المستقلة وكانت وسائل التبادل هى التى تحدد مساحة كل من تلك المقاطعات. (وكان العامل الطبيعى الذى تحكم فى تحديد المسافات التى تفصل بين حواجز المقاطعات فى كل من أقاليم الدلتا والصعيد بمتوسط ٢١ ميلا هو أن المخازن الرئيسية لمحاصيل المقاطعة هى مراكز لدوائر لا تزيد أنصاف أقطارها على عشرة أميال وهى أطول مسافة يمكن نقل المحاصيل خلالها من غير أن تتكلف نفقات كثيرة تبهظ أثمانها) ولم تستطع احدى هذه المقاطعات أو المدن أن تسيطر على كل مصـــر الا حين شـــاع استخدام المعادن واستخدمت فى دفع الأجور ونفقات مختلف الخدمات . ومن أهمها النحاس الذى استعملت منتجاته بكثرة فى نهاية عصر ما قبل التاريخ وبهذا صـــار توحيد البلاد مستطاعا . (وفى عهد البطالمة استبدل به البرونز والفضة لأنهما أخف حملا وأغلى ثمنا) .

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة أصبح استعمال مخلوط الفضـة والذهب شـــائعا (وكان يسمى عند الفراعنـة باسم « بعم »)

(*) Development of Religion and Thought in Ancient Egypt ; by J. Breasted.

(Electrum) (واستخدم فى كســوة قمع المسلات لعكس اشعة الشمس لتنير أرجاء المعبد) ٠

وفى عصر ما قبل التاريخ ، كان التعامل يجرى على قاعدة استخدام الحنطة ٠ فقد كان حاكم كل مقاطعة يستولى على نصيب من الضرائب من المخزن المركزى لتلك المقاطعة ولما اتحدت عدة مدن واصبحت آفاق حدودها أكثر اتساعا ، كان على حاكم تلك الولاية الكبيرة أن يتنقل بين ربوعها للحصول على الضرائب المفروضة على كل مركز من مراكزها ٠ وكانت الأرض تعتبر ملكا للحاكم أو شيخ القبيلة وكان يمنح كل فرد مساحة من الأرض ليزرعها على أن تعاد الى الأملاك العامة للقبيلة فى حالة وفاته دون ورثة وكان على مستغل الأرض أن يؤدى مختلف الرسوم والضرائب المقررة (*) ٠

وعنـــدما أهــل عصر الأسرات فى مصر وكان ذلك عقب بدء استعمال النحاس على نطاق واسع ، قامت الدولة باعداد جهاز كبير من الموظفين كان يتزايد على مر الأيام وكان أولئك الموظفون موزعين فى شتى أرجاء البلاد ويستخدمون معدن النحاس فى معاملاتهم وكان كل مصرى يود لو يعمل للحصــول على هذا المعدن لصنع الأدوات اللازمة له ٠ وما أن جاء عصر الأسرة الثالثة حتى ظهر منصب المشرف على الفيضان ٠ وفى عهد الأسرة الرابعة نجد قائمة بأسماء عدد من المقاطعات منقوشة على خاتم أحد الموظفين وكان يشرف على أعمال مختلفة فيها ثم كان بعد ذلك مناصب قادة القلاع ومديرو مصالح الداخلية وغير ذلك من الوظائف وأعقب ذلك زيادة سريعة فى عدد كبار الموظفين ٠ حتى جاء عهد استقرار الدولة العظيم تحت حكم الملك خوفو وحينئذ نجد أن ممتلكات الكهنة قد نقصت وشئون الدولة قد نظمت وفق أساليب جديدة استمر العمل على هديها منذ ذلك التاريخ ٠

(*) Prehistoric Egypt ; by Flanders Petrie.

وكانت مصر مقسمة منذ فجر التاريخ الى مقاطعات ، وكان لكل مقاطعة اله خاص تعبده وشعار يمثلها وكانت هذه المقاطعات مستقلة فى بادىء الأمر . وبعد مضى زمن قامت حركة اتحاد فى البلاد وذلك حينما تجمعت مقاطعات الوجه البحرى فى مملكتين الأولى فى الغرب وعاصمتها بحدت (بالقرب من دمنهور الحالية) والثانية فى الشرق وعاصمتها بوصير (بالقرب من سمنود الحالية) وبعد فترة من الزمن اندمجت هاتان المملكتان فى مملكة واحدة شملت الوجه البحرى وأصبحت عاصمتها « بحدت » وكان الهها حور (حورس) (*) .

وفى الوقت نفسه قامت مملكة أخرى فى الوجه القبلى مؤلفة من اتحاد مقاطعاته واتخذت عاصمتها بلدة نقادة الحالية الواقعة بالقرب من مدينة قفط وكان الهها (ست) .

ثم قامت مملكة الشمال (فى الدلتا) بغزو مملكة الجنوب (بالصعيد) وأمكنها توحيد القطرين وأصبحت العاصمة فى بوصير .

ولكن بعد فترة من الزمن ثار أهالى الوجه القبلى بزعامة حاكم نقادة وانفصمت عرى الاتحاد ، ثم ظهرت قوة مدينة بحدت عاصمة مملكة حور فى الشمال من جديد وتمكنت من اخضاع مملكة (ست) فى الوجه القبلى وتوحيد القطرين واتخذت العاصمة فى هليوبوليس (عين شمس حاليا) حتى تكون فى مركز متوسط بين القطرين وكان ذلك عام ٤٢٤١ ق.م وكان شعار هذه المملكة المتحدة قرص الشمس الناشر جناحيه (**) .

وبعد مضى فترة من الزمن (حوالى مائة عام) ضعفت مملكة هليوبوليس فانقسمت البلاد مرة أخرى الى مملكتين احداهما فى

(*) A Short History of Egypt ; by Weigall.

(**) تاريخ الاقباط ، الاستاذ زكى شنودة المحامى ـ جـ ٣ ـ القاهرة ١٩٦٦ .

الوجه البحرى وعاصمتها بوتو (تل الفراعين فى شمال دسوق) والأخرى فى الوجه القبلى وعاصمتها نخن (الكوم الأحمر على شاطىء النيل الغربى فى مواجهة ادفو) .

وقد تم توحيد البلاد للمرة الثالثة والأخيرة على يد الملك مينا ملك الجنوب (الصعيد) وأنشأ عاصمة الدولة المتحدة عند رأس الدلتا وسماها القلعة البيضاء وهى التى عرفت فيما بعد باسم منف أو ممفيس (على مقربة من البدرشين حاليا جنوب أهرام الجيزة) (*) .

وبالرغم من أن أهالى القطرين اندمجوا تماما بعد ذلك واختفت معالم ذلك الانقسام الا أن ذكر مملكتى الشمال والجنوب ظل يرد على الآثار المصرية حتى آخر عصور التاريخ المصرى فكان الملك يسمى ملك الوجهين القبلى والبحرى وكان بيت المال يسمى البيت المزدوج وهكذا .

وفى عصر البطالمة لم تحدث الا تغييرات قليلة جدا فى التقسيم الادارى للبلاد واستمر العمل بنظام الوظائف القديمة فى عهدهم ولكنهم اطلقوا عليها أسماء اغريقية .

كان أبرز تغيير فى عهد الرومان هو اختفاء منصب الملك على حين أن الحكام المؤقتين لم يكن يعنيهم أمر البلاد أو يهمهم رفاهيتها ولم تتوفر فيهم الكفاية الشخصية التى تمكنهم من الاضطلاع بالمهام الكثيرة التى كان يضطلع بها ملوك مصر فى العهود السابقة .

ولم تكن مصر فى نظر الرومان احدى ولايات الامبراطورية وانما كانت تعد ملكا خاصا للامبراطور . فكان يفرض عليها ما يشاء

(*) The History of Egypt ; by James Baikie.

من الضرائب ويعامل أهلها وفقا لنزواته الشخصية • وكان الحاكم الرومانى لمصر يمثل الامبراطور شخصيا ، وكان خاتمه الذهبى يحمل الخرطوش المزدوج الخاص بالامبراطور (حيث سار أباطرة الرومان على نهج ملوك البطالمة فى تشبيههم بالفراعنة القدماء) ـ وقد انحصر تفكير امبراطور الرومان فى مدى ما يستطيع الحصول عليـــه من انتاجها من الغلات لملء بطون دهماء روما ومدى ما يمكن ابتزازه من أموال المصريين لتحقيق أهوائه الشخصية •

الفصل الأول

- القسم الأول
- القسم الثانى
- القسم الثالث

القسم الأول

مظاهر الحضارة المصرية ابان العصر الفرعونى

١ ـ النظام السياسى والادارى :

سيطرت على مصر منذ بداية الدولة القديمة وفى معظم عهدها حكومة منظمة وطيدة الدعائم قادرة على تسيير دفة الحكم فى البلاد ، وقد ازدهرت فى كنفهـا الحضـارة فبلغت حدا بعيدا من التقدم والارتقـاء .

وقد كانت أعمال ملوك الدولة القديمة جديرة بكل اعتبار وفخار ، وقد حكموا البلاد مدة تقرب من ألف عام ، فلم يتوانوا خلال هذه الفترة الطويلة من الزمان عن توطيد أركان المملكة وتوجيـه مجهوداتها نحو النافع المثمر العـائد بالخير والرفاهية على الشعب المصرى ، فلا عجب اذا كان هذا الشعب قد احب أولئك الملوك وأنزلهم من نفسه منزلة المعبودات التى يتوجه اليهـا بالتقدير والتقديس

والاجلال ، ثم ظل يذكرهم ويوقرهم على مدى الأجيال حتى نهاية العصر الفرعونى (*) ٠

وكان الملك فى عهد الدولة القديمة هو الحاكم المطلق فى البلاد ، وكان هو المسئول عن رعاية شعبه وحمايته ، وتوفير الظروف التى تكفل له أكبر قدر من الرفعة والرخاء ٠ وفى هذا السبيل كان الفرعون لا يفتأ ساهرا على تدبير وسائل العيش لرعاياه بتوسيع رقعة الأرض الصالحة للزراعة وتشجيع الصناعة واستخراج المعادن والأحجار اللازمة لذلك من المناجم والمحاجر ، وارسال البعوث الى البلاد البعيدة لجلب الثمين النادر من مزروعاتها ومصنوعاتها ، كما كان لايفتأ يصد عن بلاده غائلة المغيرين من الجيران الطامعين والغرباء الجشعين ٠

وقد ظلت مصر فى ظل فراعنتها الأقوياء متحدة متماسكة البنيان الى أواخر أيام الأسرة الخامسة ، التى أقامها كهنة رع بعد ان استولى كبيرهم « اوسر كاف » على عرش البلاد ٠ بيد ان الخلافات السياسية والدينية لم تلبث أن نشبت بعد ذلك ونشأت عنها تصدعات خطيرة فى سلطة الفرعون ٠

وقد انتهز حكام المقاطعات الفرصة فبدءوا يجاهرون بالعصيان والتمرد على الحكومة المركزية ويستأثرون بالسلطان فى مقاطعاتهم — وما فتئوا يغتصبون من ملوك الأسرة السادسة ما يملكون من نفوذ حتى أطاحوا بهذه الأسرة فى آخر الأمر ، وعندئذ اشتد ساعدهم وتوطد استقلالهم فراحوا يحيطون أنفسهم بمظاهر الوجاهة والرفاهية وينتحلون لأنفسهم ألقاب التعظيم والتشريف ٠

ومن ثم أصبح الملوك بعد ذلك يخشونهم ولم يجدوا مناصا من

(*) موسوعة تاريخ الاقباط ، للاستاذ زكى شنودة — الجزء الرابع — طبعة القاهرة — سنة ١٩٦٦ ٠

تملقهم والتقرب اليهم بالتزوج من بناتهم . وقد أسندوا الى واحد من زعمائهم منصب « حاكم الوجه القبلي » وهو من أكبر مناصب الدولة ليستعينوا به على قضاء حاجاتهم بيد ان هذه المحاولات كلها لم تزد الحكام الا عجرفة وصلفا ، حتى استقلوا تماما عن سلطة فرعون ، وتمادوا فى ظل النظام الاقطاعى الذى أنشأوه واستمروا يعيشون عيشة الملوك فى قصور فخمة ذات رياش فاخـــرة ، وقد أكثروا حولهم من الخدم والحشم والحجاب والحراس وغير ذلك من المظاهر التى كان ينفرد بها فرعون من قبل ، أما قبورهم فبعد ان كانوا يقيمونها حول قبر فرعون أصبحوا ينحتونها فى الصخر داخل مقــاطعاتهم ، وهكذا أصبح كل حاكم يعتبر نفســه ملكا لمقاطعته ومالكا لها ومتصرفا فى كل ما فيها .

وفى ذلك العصر الاقطاعى ظهرت الطبقة الوسطى من الشعب وكانت تتكون من الصناع والفنانين والتجار والموظفين ذوى الثراء ، وقد أصبح الكثيرون من أهل هذه الطبقة الجديدة يملكون الحدائق الواسعة والمنــــازل الرائعــة والقبور الفخمة التى لم يكن يتيسر اقتناؤها قبل ذلك الا للملوك والأمراء أما عامة الشعب فى هذا العصر فقد سادهم البؤس والفقر .

وقد استمر حكم الدولة القديمة من عام ٣٢٠٠ الى عام ٢٢٧٠ قبل الميلاد أى نحو ٩٣٠ عاما (*) .

وقد أصبح لمصر بعد توحيدها نظام حكومى ثابت ، وفى هذا العهد تجلت حكومة البلاد وادارتهــا الداخلية فى مظهر يكاد ان يبلغ حد الكمــال ، وقد بذل ولاة الأمور جهــدا كبيرا فى تنسيق النظام الادارى للبلاد على ضوء ما كان سائدا قبل الاتحاد من نظم وتقاليد ، فظلت هناك ادارة للجنوب وأخــرى للشمال تحت امرة

(*) تاريخ الحضارة المصرية ــ المجلد الاول ــ طبعة القاهرة ، ١٩٦٤ م (وزارة الثقافة) .

فرعون ، بيد انه لم تمض فترة من الزمان بعد ذلك حتى تم توحيد النظام الادارى فى الجنوب والشمال ·

وكان الملك هو رأس الدولة وصاحب السلطان المطلق فى كل شئونها وكان يتم تنصيبه فى المعبد ، حيث يصب عليه الكهنة الماء المقدس ، ويضع رئيس الكهنة التاج على رأسه والصولجان فى يده ، ثم يطلق أربعة طيور تحمل فى رقابها رسائل الى جميع الجهات تبشر بتتويج فرعون ·

وكان الملك يهتم بتربية أبنائه الأمراء ، ويعين الممتازين منهم وزراء له أو حكاما للمقاطعات أو قوادا للجيش ، وكان يعهد برعايتهم فى صغرهم الى مربين يتولون تعليمهم وتأديبهم وتدريبهم على الأعمال الحربية وفنون الحكم ·

وكان الملك يسمح لبعض أبناء رجال الحاشية وأبناء العائلات الكبيرة من شعبه بأن يقيموا فى القصر مع أبنائه الأمراء ليتلقوا دروس التعليم والتربية معهم ، حتى تتوطد علاقتهم بالأمراء ويكونوا فيما بعد خير أعوان لهم حين يتولى أحدهم العرش أو الوزارة أو اى منصب من المناصب الكبرى ·

ولما كان يتعذر على الملك ان يشرف بنفسه على جميع شئون الدولة ، كان يعين له وزيرا يختاره من أبنائه أو من رجاله الأقربين اليه ،ليستعين به فى النهوض بأعباء الحكم ، وكان الملك أحيانا يعين الكاهن الأعظم وزيرا له ·

فيجمع بذلك بين اكبر منصب دينى واكبر منصب ادارى فى البلاد ، وكان الوزير هو التالى للملك فى سلطاته واهم رجال الدولة فى مسئولياته ، اذ كان يقع على عاتقه الاشراف على كل الشئون الادارية والقضائية والدينية والمعمارية وغيرها من أعباء الدولة المتعددة ، وكان يعاون الوزير فى عمله جهاز الحكومة الذى يتكون من رؤساء الادارات وعدد عظيم من الموظفين ·

وكان بالوجه القبلى اثنتان وعشرون مقاطعة وبالوجه البحرى عشرون مقاطعة وعلى رأس كل من هذه المقاطعات حاكم يخضع للحكومة المركزية وينفذ أوامرها وكان الحاكم بمثابة الملك فى ادارة المقاطعة ، فكان اللقب الذى يحمله هو (الأول بعد الملك) وكان هو الرئيسى الأعلى للمقاطعة وقاضيها الأكبر والمشرف على جمع الضرائب من أهاليها ليرسلها فى مواعيدها الى العاصمة ، وكان الوزير يبعث بكبار الموظفين الى المقاطعات ليرفعوا اليه تقاريرهم عنها ، فكانوا بذلك حلقة الاتصال بين الادارات المحلية والحكومة المركزية .

وقد توطد هذا النظام وبلغ درجة عظيمة من الدقة والرسوخ منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد بفضل هيبة الفراعنة وحزم الوزراء وكفاءة الموظفين وأمانتهم .

وكانت أهم المدن فى عهد الدولة القديمة هى « الكاب » ، « بوتو » وضاحيتاهما « نخب » و « نخن » ، كما ارتفع شأن « طيبة » و « ابيدوس » وهى العرابة المدفونة و « اون » وهى عين شمس و « صا الحجر » أى سايس و منف و اهناس التى سماها اليونان هيراكيلوبوليس .

وكان الجيش فى عهد الدولة القديمة يتكون من الفرق الحربية التابعة للمقاطعات ، فكانت كل مقاطعة تبادر حين تنشب الحرب الى ارسال فوجين ليقاتلا تحت قيادة فرعون . حتى اذا انتهت الحرب عادا الى مقاطعتهما بيد ان الحاجة لم تلبث ان دعت الى تكوين جيش دائم للحكومة المركزية ، يكون متاهبا على الدوام لصد كل عدوان على البلاد . ومن ثم انشأ الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة هذا الجيش . وكان كل جنوده فى البداية من أبناء الشعب المصرى ، غير أن بعض الملوك أصبحوا بعد ذلك يستعينون فى تكوين الجيش ببعض النوبيين والليبيين ، وكان ملوك الأسرة السادسة يمنحون الأراضى لأولئك الجنود الأجانب ويعفونهم من الضرائب تشجيعا لهم على الاستمرار فى خدمة الجيش المصرى .

كما كان لمصر في عهد الدولة القديمة اسطول حربي يعمل به جنود من البحارة بقيادة ضابط عظيم كان يسمى قائد الأسطول ٠

وقد اهتم الملوك في ذلك العهد باقامة الحصون والأسوار الضخمة عند الحدود لحماية البلاد من غارات الأعداء ولا سيما الأسيويين في الشرق والليبيين في الغرب والنوبيين في الجنوب ٠

وكان المصريون في ذلك العهد هم أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية ، وأول من دق على الطبل لتنظيم السير في المناورات الحربية بخطوات عسكرية واحدة وأول من ابتدأ السير في الاستعراضات العسكرية بالساق اليسرى ٠

وكان ثمة ادارة خاصة تسمى (دار الأسلحة) هي المختصة بشئون الجيش والمسئولة عن تدريبه وتجهيزه بالأسلحة وتموينه بالطعام وبناء سفن الأسطول واقامة القلاع والحصون وكل ما يتصل بذلك من شئون ٠

ولقد تمكنت مصر في عهد الدولة الوسطى ـ وفي ظل حكومة ترتكز على ذات الأسس السياسية والادارية التي ارتكزت عليها حكومة الدولة القديمة ـ من استرداد مكانها الأول الذى عرفته لها الدنيا في عصر بناة الأهرام ، ونجحت في بعث حضارة تماثل حضارة الدولة القديمة من حيث طابعها المصرى الأصيل ٠

وكان نظام الادارة في عهد الدولة الوسطى لايختلف عنه في عهد الدولة القديمة غير تغييرات بسيطة لبعض أسماء الوظائف وكثرة عدد الموظفين وتعدد المديرين ذوى الوظائف الكبرى ، وازدياد أهميتهم واهتمام الحكومة بارسال موظفيها الى كل أنحاء البلاد لمراقبة المرافق المختلفة ورفع التقارير عنها للادارة المركزية ٠

وكانت تجرى عملية احصاء السكان والأملاك في هذا العهد كل خمسة عشر عاما بغاية النظام والدقة ، فكان يتحتم على كل

رب أسرة ان يسجل عدد أفراد أسرته وخدمه وعبيده وممتلكاته فى احد مكاتب التسجيل أمام الموظفين المختصين ، وكانت السجلات الخاصة بهذا الاحصاء تحفظ فى دار المحفوظات للرجوع اليها عند الحاجة .

وكان تأمين حدود مصر من أهم واجبـــات الحكومة فى ذلك العهد ، فكانت تقوم لذلك ببناء القلاع الحصينة على الحدود ومن أشهرها القلعتان اللتان أقامهما سنوسرت الثالث على ضفتى النيل بالقرب من الشلال الثانى وهما قلعتا سمنة وقمنة ، وقد أمكن بواسطتهما لملوك الأسرة الثانية عشرة مراقبــة تحركات النوبيين الذين كانوا ممنوعين من تخطى الحدود المصرية الا للتجارة .

وقد وضعت الحـــكومة فى هاتين القلعتين موظفين يقومون يوميا بتسجيل أسماء الذين يدخلون البلاد ويرسلون الى العاصمة بيانا بتلك الأسماء بانتظام ، كما انشأ ملوك الدولة الوســطى حصنا كبيرا فى وادى الطميلات الذى يقع شرق الدلتا لمراقبة القبائل الآسيوية وصد غاراتها .

وقد استخدم ملوك الدولة الوسطى قوة مسلحة دائمة لحماية البلاد من الغزوات الأجنبية ،وقد أمكنهم بها غزو النوبة وضمها الى مصر نهائيا فى عهد سنوسرت الثالث ، كما أمكنهم بهـــا اخضاع الليبيين وتأمين الحدود الشرقية حتى فلسطين .

وكان حكام المقاطعات فى هذا العهد على جانب كبير من القوة ، فكان لكل حاكم جيشه الخاص ، وكان يشرف على جباية الضرائب ورعاية الشئون الدينية فى مقاطعته ، ومن ثم كان على الملك ان يتوخى الحكمة والحزم فى معاملة أولئك الحكام ، لأن أى وهن يبدو من جانبه ، كان من شأنه ان يشجعهم على التمرد والعصـــيان ، ويؤدى الى تفكك عرى الدولة والعودة بها الى زمن الاضطراب والفوضى وهذا ما حدث بالفعل فى عهد الأسرة الثالثة عشرة ، حين جلس على

العرش بعض الملوك الضعفاء فقويت شـوكة حكام المقاطعات وطمع كل منهم فى السيطرة على المملكة كلها ، ومن ثم نشبت فى البلاد الحروب الأهلية وانهار صرح وحدتها وانتابها الضعف والانحلال فوقعت فريسة الهكسوس الذين استولوا عليها واستعبدوها .

وما أن تمكن أحمس الأول مؤسس الدولة الحديثة من طرد الهكسوس وتحرير البلاد من ربقتهم حتى وجه كل همته واهتمامه الى وضع أسس راسخة للدولة المصرية يمكنه ان يقيم على دعائمها لتلك الدولة العريقة كيانا ضخما وبنيانا شامخا ، ومن ثم قبض على زمام البـلاد بيـد قوية قادرة ، وفرض كلمته على الجميع ، حتى لم يعد يجرؤ حاكم ولا أمير على معارضته أو مخالفة مشيئته ، وأنشأ جيشا عظيما ليكون بمثابة الحربة التى يوجهها الى أعـداء مصر ، والدرع التى تحميها من المعتدين عليها ومن ثم وطد سلطته على رعاياه فى الداخل واكد قوته وسطوته أمام الطامعين فى مصر والطامحين الى غزوها فى الخارج .

فكان من مقتضى الأهداف التى رسمها أحمس الأول منذ البداية لدولته ان تكون دولة عسكرية يحكمهـا الفرد ويحميها الجيش ، ومن ثم لم يسمح ببقاء نظام الاقطاع أو نظام اللامركزية فى الحكم فقضى على نفوذ حكام الاقاليم واستولى على أملاكهم وضمها لأملاك العرش وجعلهم مجرد موظفين حكوميين وجعل السلطة والثروة كلها مركزة فى يد الملك ، وبذلك أصبح الملك هو الرئيس الفعلى للدولة وصاحب السلطة المطلقة فى كل شئونها . وقد درج ملوك الدولة الحديثة على الاشراف بأنفسـهم على كل كبيرة وصغيرة فى البلاد والاطلاع بصفة منتظمة ومستمرة على كل ما يرفعه اليهم وزراؤهم من التقارير عن أحوال المرافق المختلفة واصدار تعليماتهم بشـأنها . وكانوا لا يقنعون بتصريف الأمور فى العاصمة ، بل كانوا لايفتأون يسعون الى كل مقاطعة من المقاطعات القريبة أو البعيدة فى البلاد

يستقصون أخبارها ويفحصون مشاكلها ويحرصـــون على توفير الراحة والرفاهية لأهلها ، كما كانوا يواظبون على المساهمة فى الشعائر والاحتفالات الدينية ، ويوجهون الى شئون العبادة أوفر نصيب من الاهتمام والاحترام ·

وكان الوزير هو المسئول الأول أمام الملك عن كل شـــئون البلاد ، فكان يشرف على كل الشئون الادارية والمالية · كما كان يشرف على الشئون الحربية ، فكان يهيمن على الجيش والاسطول والحاميات العسكرية وقوات الشرطة والحرس ويتلقى التقارير التى ترسلها حاميات القلاع والحصون عما تراه من تحـــركات الأعداء على الحدود ، وكان يشرف على المعابد وأملاكها وعلى طقوس العبادة واحتفالاتها وكان يشرف على الشئون القضائية ، وينظر فى أحكام القضاة بمقتضى القوانين الموضوعة التى كانت تفرض عليه أن يحكم بالعدل والرحمة والمساواة · فكان قصره ملجأ الشاكين والمتظلمين · وحين اتسع نطاق الامبراطورية أصبح للدولة وزيران احدهما يقيم فى طيبة ويشرف على المنطقة الممتدة من حدود النوبة جنوبا حتى أسيوط شمالا والثانى يقيم فى عين شمس ويشرف على المنطقة الممتدة من أسيوط حتى شمال الدلتا ، أما ممتلكات مصر فى آسيا فقد كانت تحت ادارة حاكم مصرى يسمى (حاكم البلاد الشمالية) وكان يشرف على حكام الولايات الآســـيوية الذين كان يختارهم فرعون من أمراء تلك البـــلاد المخلصين لمصر وكان يشرف على بلاد النوبة حاكم مصرى يلقبونه (ابن الملك وحاكم كوش) ·

أما حكام المقاطعـــات فبعد ان كانوا الحاكمين بأمرهم فى مقاطعاتهم قبل قيام الدولة الحديثة ، أصبحوا فى عهد هذه الدولة مجرد موظفين تابعين للحكومة المركزية يأتمرون بأمرها ولا يجرؤون على مخالفتهـــا وينبغى ان يكون الحاكم متضلعا فى القانون ، لأنه رئيس القضاة فى مقاطعته ، وهو الذى يحكم فى القضايا ويرفع

الأحكام الى الوزير باعتباره رئيس حكام المقاطعات والرئيس الأعلى للقضـــاة ٠

وقد ازداد عدد الموظفين زيادة عظيمة فى عهد الدولة الحديثة ، واتسع أمامهم مجال الترقى الى أرفع مناصـــب الدولة ، مما أتـــاح الفرصة لتقدم الطبقة الوسطى من الشعب ، ولم تعد وظائف حكام المقاطعات قاصرة على العـائلات الارستقراطية كما كان التقليد قد جرى من قبل ، وانما أصبح فى استطاعة الموظفين من أبناء الطبقة الوسطى أن يصلوا الى هذه الوظائف الكبرى ٠

وفى هذا العهد الذى ازدهرت فيـه الامبراطورية المصرية كان الملوك لا يفتأون يغدقون الأموال الطائلة على المعابد ويغرقونهــا بالهدايا والعطايا والهبات ، ولا سيما بعد عودتهم ظافرين من ميادين القتال ، ومن ثم ازداد ثراء هذه المعابد زيادة فاحشة وازداد بالتالى نفـوذ كهنتهـا ، فراحوا يتدخلون فى الشئون السياسية والادارية للبـلاد ، حتى اسـتطاع (حريحور) رئيس كهنة آمون ان يعتلى العرش ويؤسس الأسرة الحادية والعشرين ٠

وكان المفروض ان أراضى الدولة كلها مملوكة للملك ، فكان له الحق المطلق فى أن يهب ما يشاء منها للمعابد أو رجـــال الدولة المخلصين ، أو يؤجرها الى رعاياه ليزرعوها نظير نسبة من المحصول ، حتى اذا أهمل أحد المستأجرين فى زراعة الأراضى التي فى حوزته ينتزعها الملك منه ويعطيها لغيره ٠ وهذا ما يسميه علماء العصر الحديث : نظام الاقتصاد الموجه ٠ وكان من أهم واجبـــات الدولة ازاء ذلك أن تعمل على تنظيم وســـائل الرى وتوفير كل الظروف الملائمة لأن تنتج الأرض للفلاح قدرا من المحصول يتمكن به من ان يوفر احتياجات حياته ويوفى للحكومة الضريبة التى تفرضها عليه ٠

وقد تدفق الأجانب على مصر فى عهـــد الدولة الحديثـــة ، ولاسيما منذ انتهج تحتمس الثالث سياسة اصطحاب أبناء الأمراء

الأسيويين بعد فتوحه في آسيا ليستبقيهم في مصر كرهائن يضمن بها اخلاص آبائهم ، وليربيهم تربية مصرية حتى تمتلىء قلوبهم بحب مصر فيضمن بذلك ولاءهم له حين يعودون الى بلادهم ويتولون الحكم فيها ، وقد سار خلفاء تحتمس الثالث على سياسته هذه ولا ريب انها كانت سياسة حكيمة ولكنها أدت فى ذات الوقت الى تسرب نفوذ الاجانب فى البلاط المصرى ، بيد أن الأخطر من ذلك هو ما درج عليه الفراعنة فى هذا العهد من مصاهرة ملوك آسيا والزواج من اميرات آسيويات كن يأتين الى مصر مصحوبات بعدد عظيم من حواشيهن وجواريهن وأرقائهن فلا يلبث أن يتغلغل نفوذ أولئك فى القصر الملكى وفى شؤون الحكم ، حتى وصل بعض الأرقاء الأجانب الى مناصب عالية فى الدولة ، ومنهم (دودو) الذى أصبح ذا مكانة مرموقة فى بلاط اخناتون ، وكان لهذا النفوذ الأجنبى أسوأ الأثر فى افساد الأداة الحاكمة وتهديد الامبراطورية المصرية .
كما كان ثمة عنصر أشد من كل أولئك خطرا على الدولة ، وكان هو الذى اودى بها فى النهاية وأدى الى انهيارها وذلك هو الجنود المرتزقة الذين استعان بهم بعض الفراعنة فى الجيش المصرى على نطاق واسع ، حتى لقد بلغ عددهم فى وقت من الأوقات ضعفى عدد الجنود المصريين ، ولم يفتأ نفوذ أولئك المرتزقة — ولا سيما الليبيين — يتفاقم حتى ارتقى بعضهم الى أرفع المناصب فى الدولة ، ثم توصلوا آخر الأمر الى اغتصاب العرش فى عهد الأسرة الثانية والعشرين .

وقد تبين للمصريين حين حلت بهم نكبة الاحتلال والاذلال على يد الهكسوس انهم لن يعيشوا فى سلام وطمأنينة طالما ان قوى الشر تحيط بهم وتتربص على الحدود للانقضاض عليهم ، فما أن تخلصوا من ربقة الهكسوس واستعادوا حرياتهم حتى بادروا الى تكوين جيش قوى يتولى حمايتهم من أعدائهم ويقضى على مراكز العدوان التى لا تفتأ تهددهم ، وبعد ان كان تجديد الجيش لايتم فى العهود السابقة

الا وقت الحاجة اليه فى ظروف طارئة لمواجهة غزو من الخارج أو القيام بحملة تاديبية وتشترك فيه القوات التابعة للمقاطعات المختلفة ، ثم يعود جنودها بعد انتهاء الظروف الطارئة الى مقاطعاتهم لاستئناف أعمالهم الأصلية من زراعة أو صناعة أو غير ذلك من الأعمال العادية أصبح جيش الدولة الحديثة جيشا دائما يقوم على التقاليد العسكرية ويؤدى مهمة مستمرة هى خوض غمار الحرب الدفاعية أو الهجومية ، وقد جعل هذا الجيش لمصر هيبة عظيمة فى كل أنحاء العالم المعروف فى ذلك الوقت ، وقد تمكن به فراعنة مصر من انشاء الامبراطورية المصرية العظيمة .

وكان فرعون هو القائد الأعلى للجيش وهو الذى يتقدمه فى القتال وقد جرت العادة فى ذلك العهد على تنظيم الجيش بتقسيمه الى فيالق لكل فيلق منها اسم خاص وعلم خاص . وكان من أثر ارتفاع شأن الجيش أن ازداد الاقبال على الانخراط فى سلكه لا بين عامة الشعب فحسب ، وانما كذلك بين أفراد الطبقة الوسطى وطبقة الأمراء والأثرياء تطلعا الى الرتب العليا فى الجيش وما يكتنفها من بريق البطولة والمجد ، ومن ثم تكونت من كبار الضباط والقواد طبقة ارستقراطية جديدة احتلت مكانة مرموقة فى الدولة وأصبح الجيش مجالا لاظهار الشجاعة والشهامة والتفانى فى الدفاع عن الوطن والكفاح فى سبيل ارتفاع شأنه واتساع رقعته ، وقد أبدى المصريون من رجال الجيش عند احتدام القتال بينهم وبين الأعداء من ضروب الرجولة والاستبسال ما أصبح فى كل أنحاء الأرض مضرب الأمثال ، ولاشك انهم اضطروا — فى غزواتهم وفتوحاتهم وما خاضوه من مواقع حربية — الى انتهاج سبيل العنف والعسف شأنهم فى ذلك شأن المحاربين فى كل زمان ولكنهم مع ذلك لم يرتكبوا ما كان يرتكبه غيرهم من المحاربين فى عصورهم من صنوف القسوة والبطش والتنكيل واحراق المدن واغراق ساحات القتال بسيول من دماء النساء والشيوخ والأطفال ، فلم يفقأوا عيون

الملوك من أعدائهم كما فعل السومريون ، ولم يجعلوا جماجم أعدائهم مشاعل يوقدونها فى احتفالات نصرهم كما فعـــل الآشـــوريون ، ولم يجبروا أسراهم على منازلة الوحوش كما فعل البابليون والرومان، بل كانوا أقــرب الى الرحمـــة والرفق فى القتل ، والتسامح والعفو بعد احراز النصر . وقد ضرب تحتمس الثالث أروع الأمثال فى البر بالأعداء المستسلمين ، حين ظل يحاصر مدينة (مجدو) سبعة شهور حتى أعلن أهلها الطاعة وأرسلوا أبناءهم اليه يحملون الجزية فعفا عنهم ، بل قيل انه كافأهم ، وكان هذا ما فعله رمسيس الثانى كذلك غداة انتصاره على الحيثيين فى معركة قادش ، حين استعطفه الأعداء ليعفو عنهم فعفا وقفل راجعـــا الى بلاده ، فكان المصريون يعتبرون الحرب ضرورة لابد منها لدفع الخطر عن بلادهم ، وليس وسيلة الى تعذيب الشعوب وتخريب أوطانها وكانوا هم أول أمة من الأمم تلتزم فى حروبها بمبــادىء الأخلاق وتعاليم الدين فما يكاد الفرعون ينتصر فى ميدان القتال حتى يعود الى بلاده ويتجه فورا الى معبد آمون حيث يقيم الصلاة ويقدم القرابين شكرا وامتنانا وعرفانا بفضل المعبود فيما أحرزه من نصر .

٢ ـ الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع المصري حين تم توحيـــد البلاد وتأسيس الدولة القديمة قد بلغ ذروة رفيعة من التقدم ، واستقر على أساس راسخ من التقاليد والمبادىء والآداب وكانت الخلية الأولى فى هذا المجتمع وهى الأسرة قد اكتسبت منذ هذا العهد البعيد كل ما عرفته الأمم الراقية بعد ذلك فى أزهى العصور من خصائص الأسرة الفاضـــلة المتماسكة البنيان المتينة الكيان ، فكان الزواج هو حجر الأساس فى المجتمع وكان الرجل يكتفى بزوجة واحدة ويرعاها ويحبهـا ويخلص لها ويعول أبناءه منها ، وكانت المرأة تبادل زوجها الرعاية والحب والاخلاص ، وكانت داخل نطــاق الأسرة هى سيدة البيت

وكانت خارج هذا النطاق تتســاوى مع الرجـل فى كل الحقوق والواجبات ومن ثم كانت موضع التقدير والاحترام فى كل المجالات وكان الأب يعطف على ابنائه ويهتم بتربيتهم وتعليمهم منذ نعومة اظافرهم ، كماكان الأبناء يحترمون آباءهم احتراما شديدا ويخدمونه الى آخر حياته ، بل حتى بعــد موته اذ يظلون يوافونه فى قبره بالاحتياجات اللازمة فى اعتقادهم لخلود روحه .

وكانت الحياة الاجتماعية فى ذلك العهد قد استكملت كل مظاهر المدنية والحضارة ، فكانت للملوك قصــور عظيمة محاطة بالبساتين اليانعة ومفروشة بالرياش الرائعة ، وزاخرة بالأوانى البديعــة المصنوعة من الخزف المصقول أو الأحجــار الجوهرية أو البلورية ، والأباريق الفضية أو النحاسية ، والصناديق المصنوعة من العاج أو الأبنوس والحلى التى بلغت درجة رفيعة من دقة الصياغة ورقة التكوين وروعة الفن . كما كان الامراء وكبار الموظفين والتجار ــ ولا سيما فى عصر الاقطاع الذى ظهر اثنــاء الطبقة الوسطى بعد سقوط الدولة القديمة ــ يملكون منازل واسعة الأرجاء كثيرة الأبهاء ، مزدانة الجدران بالرسوم الجميلة الزاهية الالوان ، وقد امتلأت بالأثاث الفخم والأبسطة الفاخرة وحوت كل وسائل النعيم ، وكان الموسرون من الرجال يضعون على رءوسهم قلانس من الشعر المستعار المفروق فى وسطه ويتحلون بقلائد ذهبية مرصعة بالجواهر الكريمة، وكانت النساء تتحلى بالعقود والاقراط والأساور والأطواق المصنوعة من الذهب أو الفضة .

أما منازل الفقراء فكانت متواضعة مشيدة باللبن ، وكانت حياتهم بسيطة وحاجياتهم قليلة ، ولكنهم كانــوا قوما فاضلين ، تملأ قلوبهم التقوى ، وتدرأ القناعة عنهم أسباب التعاســة وتفتح لنفوسهم أبواب السكينة والسلام .

وقد تقدمت الحياة الإجتماعية في عهد الدولة الوسطى وازدادت ازدهارا وقد برز فيها دور الطبقة الوسطى التى تكونت فى أواخر عهد الدولة القديمة فى ظل النظام الاقطاعى . وقد أدى الى اتساع نطاق هذه الطبقة الجديدة فى هذا العهد ازدياد عدد كبار الموظفين والتجار الموسرين ، فأصبح لهذه الطبقة أهمية كبرى فى المجتمع المصرى :

وقد رسمت قصة (الملاح الغريق) التى ترجع الى ذلك العهد صورة رائعة للأسرة المصرية حينذاك ، وما كان يربط بين أفرادها من محبة وتعاون واخلاص .

وقد تدفقت الخيرات على مصر فى عهد الدولة الحديثة من كل أنحاء امبراطوريتها العظيمة التى كانت تمتد من نهر الفرات شمالا الى الشلال الرابع جنوبا ، وكانت الغنائم الناجمة عن الحروب وأموال الجزية التى تفرضها مصر على الشعوب المغلوبة ، والهدايا التي يبعث بها ملوك الأمم الأخرى وأمراؤها تقربا الى فرعون واسترضاء له ، لاتفتأ تنهال من كل جانب على خزائن الدولة ومخازنها ، فازدادت ثروة البلاد زيادة لم تر لها مثيلا من قبل ، وفاض عليها النعيم والرخاء ، وعرف كثير من أبنائها حياة الترف والرفاهية ، فاقاموا المنازل الفخمة وملأوها بالرياش الفاخرة ، والابسطة الثمينة والأرائك المطعمة بالعاج والأبنوس والمغلفة بالذهب والفضة ، وزينوا جدرانها بالرسوم البديعة ذات الألوان الرائعة وأحاطوها بالحدائق الغناء الزاخرة بأشجار الفاكهة والأزاهير والرياحين تتخللها جداول الماء وتتوسطها البحيرات الجميلة ذات الرونق والرواء ، وارتدوا الملابس الناعمة الفضفاضة ، وزينوا رؤوسهم بالشعر المنسق فى جدائل طويلة تنسدل على الأكتاف ، ولبسوا فى أقدامهم الأحذية الرقيقة الدقيقة الصنع ، وتجملت النساء بالحلى التى لاتضارعها فى روعتها وبراعة صناعتها

ابدع المنتجات الحديثة من عقود وقلائد وأساور وخواتم وأقراط مصنوعة من الذهب أو الفضة ومطعمة بالأحجار الكريمة أو الزجاج الملون ، كما استخدمت النساء كثيرا من أدوات الزينة التى نعرفها اليوم من امشــاط ودبابيس ومكاحل ومراود ومرايــا ومساحيق وعطــور •

وتتجلى الحياة الاجتماعية فى أرقى وأروع صورها فى ذلك العهد فيمــا كان يقيمه سراة المصريين من ولائم ومآدب وحفـلات كانوا يستخدمون فيهـا أوانى وأباريق وأكوابا وصــحافا من الخـزف والبلور والذهب والفضة ويتمون فيها مع الأصــدقاء والأصفياء بأسباب الفرح والمرح ومظاهر المودة والتعاطف والاخاء ويستمعون الى الموسيقى والغناء ويستمتعون بمشاهدة أنـواع مـن التمثيـل وألوان من الرقص التعبيرى الجميل •

وقد أصبحت طيبة فى هذا العهد تضــارع أعظم عواصـم الامبراطوريات الكبرى بأبنيتهــا الشــامخة وصروحها الشــاهقة ومعابدها الضخمة وشوارعها الواسعة وميادينها الشاسعة وحدائقها اليانعة وزيناتها العظيمة واحتفالاتها المســتديمة وأعيادها المتعددة وأفراحها المتجددة وكانها بابل فى سالف عهدها أو روما فى قمـة مجدها فكانت قبلة أنظـار الشعوب من كل بقاع الأرض ، وكانت تتبدى فى أروع حللها أثناء الاحتفال بعيد تتويج فرعون ، اذ كانت تزخر فى ذلك الاحتفال بمئات الألوف من مختلف طبقات الشعب يتقدمهم موكب عظيم على رأسه فرعون يحف به كبار الكهنة وقد حملوا تماثيل ملوك مصر العظماء مينا ومنتوحتب الثانى وأحمس الأول ، أصحاب الفضل فى توحيد البلاد بعد تفككها ومؤسسى عهود نهضتهــا الكبرى ، وكذلك فى احتفالات النصر حين كان الشعب يستقبل فرعون وهو عائد من ميدان القتـال الى طيبة بعد ان هزم أعداءه ، ويتبعه الى معبد آمون حيث يقدم فروض الشكر والولاء

على ما أولاه من نصر وما حباه من مجد وفخر · ومن أروع أمثلة ذلك الاحتفالات التي أقيمت في طيبة ابتهاجا بانتصار تحتمس الثالث في موقعة (قادش) فقد كانت من أضـــخم الاحتفالات التي جرت في مصر ، بل في العالم القديم كله ·

وقد ارتفع شأن الطبقة الوسطى في هذا العهد ، بارتفـــاع شأن الجيش وازدياد عدد الموظفين واتساع نطاق التجارة واطراد تقدم الصناعة ، فكان ضباط الجيش وكبار الموظفين وأرباب التجارة والصناعة هم عماد هذه الطبقة التي أصبح لها كيان متميز يتوسط بين طبقة الملوك وكبار الملاك وطبقة الفقراء من الفلاحين والعمال ، وأصبحت ذات أثر خطير في الحياة الاجتماعية وذات دور كبير في نظام الدولة ، اذ ارتفع أبناؤها الى أرفع المناصب وأصبح منهم حكام المقاطعات وقواد الجيش وغالبية المسئولين وصفوة الأثرياء والمثقفين في البلاد ·

أما الحياة العائلية في هذا العهد فقد استقرت واســـتمرت على مراعاة الآداب الموروثة والتقاليد العريقة والحكمة العميقة التي انطوت عليها تعاليم الآباء والأجداد · وقد ظهر في هذا العهد عدد آخر من كبار الحكماء وعلى رأسهم (آني) ، لم يتوانوا عن الحض على احترام الأسرة والتبكير بالزواج وحب الزوجة والحدب على الأبناء ورعايتهم والبر بالوالدين وخدمتهما واتقاء الله في معاملة الناس جميعا ، فكانت هذه التعاليم هي نبراس المجتمع وأســاس الحياة الاجتماعية ·

٣ ـ العقائد الدينية :

ما من أمة في العالم القديم تأصل الدين في وجدانها وتغلغل في كيانها وامتزج بكل مظاهر مدنيتها امتزاجا قويا عميقا ، كالأمة

المصرية ، فقد كان الدين هو جوهر حياتها ومصـــدر حيويتها ، واكبر حافز لكل ما نشأ فيها من آداب وعلوم وفنون ٠

وقد عرف المصريون الله وعبدوه قبل العصور التاريخية بزمن سحيق منذ ان كانوا قبائل متفرقة فى الوادى ، بيد أن كل قبيلة عرفت الله بصورة تلائم طبيعة عقليتها وبيئتها وأعطته اسما يتفق مع مدلولات لغتها ولهجتها ٠ فلما تكونت القرية ثم المدينة بعد ذلك ، أصبحت كل منهما تعبد الله كذلك فى صـــورة معينة وتعطيه اسما خاصـــا ، حتى اذا اتحدت القرى والمدن فى مقاطعات ثم اتحدت المقاطعات فى دولة واحدة ، احتفظ المصريون بكل صور الله وأسمائه القديمة ، وحافظوا عليها كما تلقوها من أسلافهم بيد أنه حين كان يرتفع شأن مدينـــة من المدن كان يبرز الاسم الذى عرفت به الله على سائر أسمائه فى الجهات الأخرى ٠ كما ان الكهنـــة عملوا ــ لأغراض سياسية او اجتماعية أو شخصية ــ على تقديم بعض هذه الأسماء على البعض الآخر ، وابتكار صفات متميزة يلصقونها بكل منها لتكون أساسا للتمييز والتفضيل حتى بدت كأنهـــا ليست أسماء الله الواحد بل أسماء آلهة عديدة وعلى هذا الاعتبار بدأت كل فئة من أولئك الكهنة فى مختلف أنحاء البلاد تدعو لالهها وترفعه فوق غيره من الآلهة ، أو يعمد كهنة كل فئة الى تشكيل مجموعات من الآلهة مبتدعين لأفراد كل مجموعة منها صلة من التبعية أو القربى، حسب الصفات التى يلصقونها بها ، وكانت بعض هذه المجموعات تتكون من ثـلاثة آلهـة وتسمى (الثالوث الالهى) أو تتكون من تسعة آلهة وتسـمى (التاســـوع الالهى) وعلى رأس كل ثالوث أو تاسوع منها يضعون الاله الذى يؤيدونه ويريدون له الرفعـــة والنفوذ ، وهكذا عمل الكهنة على تعقيد الديانة المصرية وتجريدها من بساطتها الأولى وما كانت تنطوى عليه من الايمان بالله الواحد ايمانا نقيا نابعا من الشعور والوجدان ٠ وقد نجم عن ذلك قيام التنافس والتنازع بين كهنة الآلهة العديدين فاتسع نطاق عبـادة

بعض هؤلاء الآلهة حتى شمل فى بعض الأحيـان القطر كله بينما انحصرت عبادة بعضهم الآخر فى مدينته أو قريته لا يتجاوزها ·

وكان الاله الذى يتمتع بأكبر نفوذ بين الآلهة وتنتشر عبادته فى القطر كله عند توحيد البلاد على يد مينا هو (حورس) ـ وقد ظهر هذا الاله منذ بداية الأسرة الأولى بوصفه الاله الرسمى للدولة ، وكان ملوك الدولة القديمة يقرنون أسماءهم باسمه ، بيد أن أحد ملوك الأسرة الثانية وهو الملك (برابسن) تمرد ـ كما سبق أن رأينا ـ على (حورس) واتخـذ لدولته الها أخـر كان المصريون يعتبرونه عدوا لحورس وهو الاله (ست) ، ثم قام بعد ذلك الملك (خع سخموى) آخـر ملوك الأسرة الثانيـة فجمع بين الالهين المتعاديين واتخذهما معبودين لدولته الا أن ذلك لم يستمر طويلا ، فما أن انتهت الأسرة الثانية حتى أصبح حورس منذ بداية الأسرة الثالثة هو الاله الأوحد للدولة وقد ظل موضع احترام المصريين طوال التاريخ المصرى القديم ·

كذلك لعب الاله أوزيريس دورا خاصا بين الآلهة المصرية فى ذلك الحين ، وكان ثمة أسطورة يتناقلها المصريون عنه ، ومؤداها أنه كان ملكا فاضلا محبوبا فحقد عليه أخوه الشرير (ست) وطمع فى اغتصاب عرشه ومن ثم قتله ومزق جثته وبعثرها فى كل أنحاء الوادى فراحت ايزيس زوجة أوزيريس تجمع أشلاء زوجها وقرأت عليها من الأدعية والابتهالات ما أعاد الحياة اليها ، ولكن أوزيريس رفض البقاء فى الدنيا وصعد الى السماء حيث أصبح رئيسا للمحكمة التى تحاسب الأموات فى الآخرة على ما فعلوا فى دنياهم من حسنات وسيئات · وكان لأوزيريس ولد من زوجته ايزيس هو حورس ، فما أن اشتد عوده حتى قام وانتقم لأبيه من قاتله واسترد العرش منه ، وقد كان لهذه الأسطورة لدى قدماء المصريين فى كل العصور أثر بالغ وتأثير عظيم ·

وحين ظهرت (منف) ارتفع شأن الهها المحلى بتاح وقد احتل هذا الاله منذ ذلك الحين مكانة مرموقة بين الآلهة فى كل عصـــور مصر القديمـــة .

ثم حين اســتولى (اوسر كاف) على العرش واسس الأسرة الخامسة بعد أن كان كبيرا لكهنة الاله (رع) معبود عين شمس ، ارتفعت مكانة هذا الاله واصـــبح ملوك الأسرة الخامسة يعتبرون أنفسهم أبناء (رع) وقرنوا أنفسهم باسمه .

حتى اذا تفككت الحكومة المركزية بعد انهيار الدولة القديمة لم يعد هناك اله رسمى للدولة . وأخذ كل اله من آلهة المقاطعات يظهر فى مقاطعته وقد استعاد نفوذه القديم .

وهكذا نجد أن أبرز الآلهة فى عهد الدولة القديمـــــة هم (حوريس) و (أوزوريس) و (ست) و (بتاح) و (رع) . كمـــا كان من الآلهـــة التى تالقت أسماؤهـــا فى ذلك العهـــد (أنوبيس) و (تحوت) و (ســـوكار) و (سبك) و (مين) و (ابيس) و (خنم) و (حاتحور) و (سخمت) و (نيت) . وقد بقيت منزلة هؤلاء الآلهة شامخة فى نفوس المصريين فى العصور التاليـــة .

وكان المصريون منذ بداية ذلك العهد يؤمنون بخلود الروح ويعتقدون ان الانسان بعد انتهاء حياته فى دار الفناء سيعود الى الحياة مرة أخرى فى دار البقاء ولذلك حرصوا على تحنيط جثث موتاهم ، وحفظها فى قبور محصنة ، حتى اذا عادت الروح اليها يوم البعث وجدتها سليمة لم يتطرق اليها الفساد أو الفناء ، وهذا هو السر فى بناء تلك الأهرامات الضخمة التى اقامها ملوك الدولة القديمة لتثوى فيها أجسادهم بعد الموت .

كما كان المصريون فى ذلك العهد يعتقدون ان الإنسان يقف بعد موته أمام محكمة أوزوريس ليؤدى حسابا عما أتى فى حياته

الدنيا من حسنات أو سيئات ، فان كان ممن عملوا الصالحات دخل النعيم ، وان كان ممن عملوا السيئات دخل الجحيم .

وقد اهتم المصريون فى ذلك العهد باقامة المعابد العظيمة ليقدموا فيها لآلهتهم فروض العبادة والولاء ، وكان المعبد حينذاك يتكون من فناء مكشوف يتوسطه مذبح كبير وتليه ساحة ذات أعمدة تتفرع منها عدة حجرات لحفظ الأثاث والأدوات اللازمة للطقوس ، وكانت الحجرة الوسطى الأمامية تسمى (قدس الأقداس) . ومن أقدم المعابد التى تم بناؤها فى عهد الدولة القديمة معبد الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة ، وهو أول معبد استخدم المصريون الحجر فى بنائه . وكذلك معبد أبى الهول الذى أقامه الملك خفرع وهو بناء ضخم من الطراز الخاص بالأسرة الرابعة ، وقد بنى بالحجر الأبيض وكسيت جدرانه بكتل من الجرانيت الأحمر المصقول ، كما كسيت ردهته بأحجار المرمر الجميل . وقد شيد فراعنة الأسرة الخامسة معابد كثيرة للاله رع ، ومنهـا المعبد الذى اقامه الملك (نواسر رع) فى بوصير على بعد عشرة أميال من جنوبى أهـرام الجيزة ، وكان مدخله عبارة عن باب ضخم يؤدى الى بهو عظيم مكشوف ترتفع فى وسطه مسلة شاهقة ، على قاعدة هائلة من كتل الجرانيت الأحمر ، وينتصب أمامها مذبح كبير مشيد بكتل ضخمة من المرمر ، وعلى يسار البهو يمتد ممر مسقوف ينتهى بغرف ذخائر المعبد ، التى كانت مخصصة لحفظ أوانى التعبد وغيرها من الأشياء الثمينة وعلى يمينه يمتد ممر آخر يحـاذى الجدار الجنوبى ثم ينعطف الى الشمال حتى اذا التقى بقاعدة المسلة انحنى على شكل سلم حلزونى يؤدى الى سطح مسقوف ، وكان عند أقدام المسلة معبد صغير مزين بنقوش بارزة دقيقة الصنع تمثل الاحتفالات المختلفة التى كانت تقام فى أعياد الملك ، ويختلف هذا الهيكل فى طرازه عن كل المعابد الأخرى ، اذ لا يحتوى على أى تمثال من تماثيل الآلهة ، أو أى ناووس أو محراب للتعبد ، لأنهم كانوا يعتقدون أن

اله ذلك المعبد وهو (رع) لايقيم فى الأرض ، وانمـــا مقـره فى السمـــاء .

وكان لكل معبد كهنة يقومون بخدمته واداء الطقوس اللازمة للآله الذى أقيم لعبادته ، وكان فرعون هو الكاهن الاكبـر لكل الآلهة ، وكان له فى كل معبد نائب يدعى رئيس الكهنة .

وقد امتاز عصر الدولة الوسطى بتغيير واضح فى المذهب الدينى للدولة المصرية . فقد رأينا أن رع كان هو الاله الرسمى للأسرتين الخامسة والسادسة حتى اذا سقطت الدولة القديمة وانفرط عقد الوحدة عادت كل مقاطعة من مقاطعات مصر الى عبادة الهها المحلى ، بيد أن الاله رع ظل يحتل مكانا رفيعـــا فى قلوب المصريين على العمـــوم . حتى اضطر كهنة الآلهة الأخرى — كى يحتفظوا ببعض مكانتهم — ان يزعموا أن آلهتهم جميعا ما هى الا صـــــور متعددة للاله رع ، ثم ذهبوا الى أبعد من ذلك فقالوا ان أسماء تلك الآلهة ما هى الا مرادفات لاسم رع ، ومن ثم عادوا من حيث لا يريدون أو يقصدون الى عقيدة التوحيد التى دفعتهم مصـالحهم الشخصية فى بداية الأمر الى الابتعاد عنها وتعقيدها ومن ثم أصـــبح كهنة (حورس) يلقبون الههم (حورس .. رع) وأصبح كهنة (آمون) يلقبون الههم (آمون رع) وهكذا .

بيد ان ثمة الها آخر ظل يضارع الاله رع فى مكانته لدى المصريين وهو (أوزيريس) . ولئن كان ارتفاع شأن رع قد نجم عن نفوذ كهنة عين شمس فقد كان ارتفاع شأن أوزيريس ناجما عن حب المصريين له وتعلقهم بشخصيته التى استهوت نفوســــهم بما اتصفت به من فضيلة ووداعة واخلاص كما صورتها الأسطورة التى كانوا يتداولونها عنه . وقد اتخذ فيها صورة الاله الخير الذى انتصر على أخيه (ست) اله الشر . ومن ثم اعتبروه مثلهم الأعلى ، وكانوا يقومون كل عام بتمثيل قصة موته وقيامته وصعوده الى السماء . ولما كانوا يعتقدون أن قبره فى العرابة المدفونة جعلوا من

هذه المدينة كعبتهم التى كانوا يحجون اليها ويتوقون لأن يدفنوا موتاهم فيها ؛ فاذا تعذر ذلك عليهم ، كانوا يحنطون جثة المتوفى وينقلونها الى هناك لتلاوة الصلوات عليها ثم يعيدونها الى حيث يتم دفنها فاذا تعذر ذلك اكتفوا باقامة شاهد للمتوفى بالقرب من قبر أوزوريس ينقشون عليه دعوات وابتهالات لهذا الاله كى يتولاه برحمته ويشمله بعنايته فى الحياة الأخرى .

حتى اذا ظهرت (طيبة) وصارت عاصمة البلاد فى عهد الدولة الوسطى ارتفع شأن المعبود المحلى لهذه المدينة وهو (آمون) وأصبح هو الاله الرسمى للدولة .

فلما تفككت وحدة البلاد مرة أخرى وتولاها الضعف واستولى عليها الهكسوس ، رفعوا شأن الاله الذى يمقته المصريون ويعتبرونه اله الشر وهو (ست) وجعلوه معبودا رسميا للدولة كى يكيدوا لهم ويزيدوا من همهم ولكنهم عجزوا عن اخضاع طيبة ، التى ظلت متمسكة بعبادة آمون حتى اذا أمكن لهذه المدينة الباسلة بعد ذلك ان تتزعم حركة التحرير وتطرد الهكسوس من البلاد عادت الى (آمون) مكانته الأولى فى القطر كله وما فتىء يرتفع شأنه بعد ذلك حتى أصبح الها عالميا فى عهد الامبراطورية .

وقد ترتب على قيام الدولة الحديثة واتخاذ طيبة عاصمة للملوك الأسرة الثامنة عشرة ان ارتفع شأن الاله المحلى لهذه المدينة وهو آمون فأصبح يضارع فى منزلته رع وأوزيريس وبتاح وأصبح هو الاله الرسمى للدولة حتى اذا سيطرت مصر على الأقطار المحيطة بها فى افريقيا وآسيا وتكونت الامبراطورية المصرية أصبح آمون هو الاله الرسمى للامبراطورية كلها فكانت تقام المعابد فى تلك الاقطار لهذا الاله أولا ثم لرع وبتاح بعد ذلك ، وقد نسب المصريون الى آمون انتصارهم على الهكسوس ، ثم انتصارهم بعد ذلك على كل البلاد التى حاربوها ؛ ومن ثم كان لمعابد هذا الاله النصيب الاكبر

من غنائم الحرب والجزية المفروضة على البلاد المقهورة وبالتـــالى تزايدت ثروات كهنة آمون وتزايد نفوذهم حتى أصبح رئيسهم أعظم شخصية فى الدولة بعد الملك • ولم يعد نفوذه قاصرا على الشئون الدينية وانما تعداها الى الشئون السياسية والادارية فى البلاد •

ولم يكتف الكهنة فى عهد الدولة الحديثة بالثراء الذى انهال عليهم من كل أنحاء الامبراطورية ، وانمـــا راحوا كذلك يتاجرون بالدين • وذلك أنهم راحوا يصورون للناس أن الطريق الى جنـــة أوزوريس محفوف بالعقبات والعراقيل ومليء بالأرواح الشريرة التى تتربص بأرواح الناس لتهلكها ، ثم أوهم الكهنة النـــاس بأن فى استطاعتهم أن ينقذوا أرواح موتاهم من تلك المخاطر التى تعترض طريقهم الى الجنة بكتـــابة الأحجبة والتعاويذ التى تنطوى على قوة سحرية تهزم الأعداء السفليين وتقود أرواح الأموات سالمة الى الجنة ثم تحقق لها هناك كل ما تطلب أو تشتهى • فاندفع الناس الى الكهنة يلحون فى طلب هذه الأحجبة والتعاويذ ويجذلون لهم فى نظيرها العطاء • وقد امتلأت توابيت الموتى بهذه الأعمال السحرية فى هيئة نقوش على جدرانها أو برديات فى داخلها • واذ كان الناس يعتقـــدون ان الروح تعترف بذنوبهـــا أمـــام محـــكمة أوزيريس ، مما يعرضهـــا لدخول الجحيم ، أوهمهم الكهنة أن فى اســـتطاعتهم منع الروح من الادلاء بهذا الاعتراف وكبت كل صوت خارج من القلب فلا يسمعه أوزيريس ، فكانوا يضعون على موضـــع القلب من جثة المتوفى تمثال جعران صغير يكتبون عليه (أى قلبى ، لا تكن شاهدا ضدى) وراح الكهنة يبيعون للنـــاس لفافات من البردى تتضمن بعض التعاويذ الواردة فى (كتاب الموتى) موهمين اياهم أنها تضمن لهم غفران ذنوبهم ودخول الجنة بغير حساب • ثم تفننوا فى سلب ألباب العامة ، فوضعوا كتابا سموه (كتاب الدار السفلى) وكتابا آخر سموه (كتاب الأبواب) شرحوا فيهما المسالك التى ينبغى أن تسير فيها الروح الى الجنة كى تتجنب الأهوال المتربصة

لها – في زعمهم – على طول الطريق ومن ثم سمم الكهنة في هذا العهد عقول البسطاء بهذه الخرافات السحرية • ومن دواعي الأسف ان هذه الخرافات وجدت كذلك مرتعا خصبا بين أبنـــاء الطبقـة الوسطى ، مما أدى الى ضعف الوازع الديني والرادع الذى تتضمنه مبادىء الدين الأصيلة ، لأن الكهنة سهلوا لأى انسان مهما كثرت ذنوبه وعظمت آثامه من ان ينال الغفران لو انه اشترى منهـــم اللفافات البردية وسلك الطريق الذى رسموه له في كتبهم الى الجنة ، وقد فتح الكهنة بأيديهم الباب الى انحطاط الديانة بعد ان عملوا على تعقيدها وخلطها بالخرافات والخزعبلات فبدلا من ان يكونوا قادة الشعب ويعلموه ويعظوه ويلقنوه مبادىء الدين الحقيقي ويبتعدوا به عن الضلالات والأباطيل ، كانوا هم حجر العثرة في طريق ايمـــانه وتقواه ، وضربوا له المثل السيىء في التصرف والسلوك ، اذ جعلوا كل همهم زيادة نفوذهم واقتناص المنافع وجمع الثروات ، ومن ثم أصبح الشعب كقطيع من غير راع ، فراح قوم منه – بعد ان زهدوا في عبادة الآلهة المصرية – يعبدون الآلهة التى رأوا الأسرى الآسيويين يعبدونها مثل (بعل) و (كدش) و (استارت) و (رشـــب) و (اناث) و (سوتخ) ، وراح فريق آخر يعبد الآلهة المحليـــة الصغيرة التى توهموا أنها أقدر على النفع والضرر من آلهة الكهنة ، بل راح فريق ثالث من البسطاء يعبد آلهة اخترعوها لأنفســـهم وتمثلوها فيما يحيط بهـم من أحيـاء ، بل من حيـوانات ، وراح كل أولئك يخلطون عباداتهم بالسحر والشعوذة ، وقد أفلت قيادهم، فاتجه كل منهم في سبيل •

وفي ظلام هذه الفوضى التى سادت المعتقدات المصرية بزغ نجم يتلألأ بنور لم يسبق لمصر ، بل للدنيا كلها ، ان شاهدت مثيلا له ، وذلك هو اخناتون الذى تشبه سيرته سيرة الأنبياء ، والذى جلس على عرش مصر ودانت له امبراطوريتها المترامية الأطراف ، ولكنه مع ذلك زهد في مظاهر الدنيا ومطامعها وأمجادها ، وعاش عيشـــة

الناسك المتبتل ، اذ هداه فكره الثاقب وشعوره المرهف الى الايمان بوجود الله الواحد القدير ، الموجد لكل شيء فاطلق عليه اسم (آتون) وانقطع لعبادته في ورع وتقوى ، وقضى عمره يبشر الناس بعقيدته القويمة وتعاليمه السامية ويلاقي في سبيل ذلك من الآلام والمتاعب ما لاقاه الرسل والقديسون في كل عصر فقد رأى ما ألحقه الكهنة بالديانة المصرية الأصيلة من تحريف وتشويه ، وما أدخلوه عليها من سحر وشعوذة ، فاعتزم القضاء على نفوذهم ، وصمم على تحريم عبادة آلهتهم التي ابتدعوها واخترعوها واخترعوا ما لها من صفات ، وما بينها من صلات ، واتخذوها أداة لتحقيق أغراضهم ومطامعهم ، وسبيلا الى اكتساب الثروة والتمتع بالجاه . ومن ثم اتحدوا جميعا ضده وناصبوه العداء وحاربوه حربا لا هوادة فيها ، ولكنه صمد لهم ، وصد هجماتهم عليه في صلابة وصبر ، ومضى في طريقه لا يتراجع ولا يتضعضع ولا تثنيه العقبات أو المصاعب عن ايمانه ، أو تقعد به عن نشر ذلك الايمان بكل وسيلة وفي كل مكان. بيد أن الكهنة استمروا في حربهم ضده وفي حقدهم الذي يضمرونه له حتى إستطاعوا آخر الأمر أن يقضوا عليه ، وبذلك انطفأ ذلك النجم الذي أضاء بالايمان الصادق الصافي ظلام تلك العصور السحيقة ، وانطفأت معه عبادة (آتون) الاله الواحد الذي تدل صفاته ـ كما عرفها اخناتون ـ على أنه هو الله الأزلي ذاته ـ ومن ثم استرد الكهنة نفوذهم السابق ، وفرضوا على المصريين عبادة آلهتهم القديمة ، ولا سيما آمون الذي استعاد مكانته الأولى ، وعاد الها رسميا للامبراطورية المصرية ، في عهد (توت عنخ آمون) .

ثم بعد عهد الملك (حور محب) حكمت مصر أسرة من الدلتا ، وقد أراد ملوكها أن يحدوا من نفوذ كهنة آمون الذين استفحل أمرهم مرة أخرى ، فنقلوا مقر حكمهم من « طيبة » وهي مركز عبادة آمون، وبعد أن كان هذا الاله هو المعبود الرسمي الأوحد للدولة اشركوا معه رع وبتاح وست فصار أولئك جميعا هم الآلهة الرسميين .

وكانت المعابد فى عهد الدولة الحديثة تميل إلى الضخامة والفخامة وروعة العمارة وبداعة الفن بما يتمشى مع عظمة الإمبراطورية فى ذلك العهد وثروتها ونهضتها . فكانت تلك المعابد تبعث فى النفس شعورا عميقا بالرهبة والهيبة والإجلال نحو القوة الالهية ذات الغموض والجلال ، وقد كان يحيط بكل معبد سور عظيم وينتصب عند مدخله صرح شامخ ، حتى ليبدو كأنه مدينة من مدن السماء العالية المتعالية عن الدنيا وما فيها من أحياء ، ويتخيل المرء وهو يدلف اليها أنه ابتعد عن عالم الناس ودخل فى عالم الآلهة ، وأروع مثال للمعابد فى ذلك العهد ، معابد طيبة ولاسيما المعبد الذى أقامه امنحتب الثالث فى الأقصر للاله آمون ، وقد تحققت فيه الفكرة المثالية لعمارة المعابد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وكذلك معبد الكرنك الذى يعد بهو الأعمدة الذى فيه من عجائب فن العمارة فى العالم ، وذلك غير الرمسيوم والدير البحرى ومدينة هابو ، ومعبد سيتى الأول فى ابيدوس ومعابد رمسيس الثانى ببلاد النوبة ولاسيما « أبو سمبل » . وقد عمل تحتمس الأول على اصلاح ما أتلفه الهكسوس من المعابد المصرية ، كما أصلح معبد أوزيريس بالعرابة المدفونة .

وقد بلغت ثروة الامبراطورية المصرية أرفع درجاتها فى عهد رمسيس الثالث مؤسس الأسرة العشرين ، ومن ثم ارتفع دخل المعابد المصرية بما كان الملوك يغدقونه عليها من غنائم وعطايا وهبات ، حتى لقد بلغ عدد العبيد المخصصين لخدمتها نحو مائة ألف عبد وبلغت أملاكها نحو سبعمائة وخمسين ألف فدان من الأرض ونصف مليون رأس من الماشية . كما بلغ عدد المدن المحبوسة عليها نحو مائة وسبعين مدينة فى مصر وآسيا والنوبة . وكان حوالى ثلثى هذه الأملاك من نصيب معابد آمون . أما الثلث الباقى فكان مقسما بنسب مختلفة على معابد الآلهة الأخرى . وكان آمون يملك ٤٣٣ حديقة من حدائق المعبودات التى بلغ مجموعها ٥١٣ حديقة ،

وكان آمون ينفرد بملكية كل ذهب النوبة ، ولذلك كانوا يسمونها « أرض آمون الذهبية » . وكان ايراده من الفضة يزيد سبعة عشرة مرة عن ايراد كل المعبودات الأخرى ، وايراده من النحاس يزيد واحدا وعشرين مرة عن ايرادات كل المعبودات الأخرى ، وما يملكه من السفن عشرة أضعاف ما تملكه كل المعبودات الأخرى . ومن ثم كانت سلطة كهنة آمون لاتضارعها الا سلطة الملوك أنفسهم ، بل كان الملوك يخشونهم ويحسبون لهم ألف حساب ، لأن أى واحد من أولئك الملوك اذا أغضبهم كان لايستمر على العرش طويلا .

ولم يفتأ نفوذ كهنة آمون يزداد حتى استطاع كبيرهم (حريحور) ان يغتصب العرش ـ كما سبق أن رأينا ـ وأسس الأسرة الحادية والعشرين ولكن حكمهم انتهى بالخيبة والفشل . وقد عادوا بالبلاد الى حالة الفوضى والتمزق ، ولم يلبث حكام المقاطعات ان استولوا على السلطة وجلس أحدهم على العرش وأسس الأسرة الثانية والعشرين واتخذ مقره فى بوبسطة ، ومن ثم أصبحت الالهة (باست) معبودة هذه المدينة هى الالهة الرسمية فى الدولة ، الا أن نفوذ ملوك هذه الأسرة وكذلك ملوك الأسرة الثالثة والعشرين لم يكن شاملا البلاد كلها ، ومن ثم تفككت أواصر الوحدة حتى جاءت الأسرة الخامسة والعشرون فأعادت للبلاد وحدتها وعادت الى اعتبار آمون الاله الرسمى للدولة ، ومن ثم استعاد هذا الاله نفوذه ، وازداد سلطانه بدرجة لم يسبق لها مثيل ، ثم غزا الآشوريون مصر وظلت رازحة تحت نيرهم حتى طردهم بسماتيك الأول وأسس الأسرة السادسة والعشرين ، وقد أعلن ملوك هذه الأسرة أنهم أبناء الاله (رع) وأنهم فى ذات الوقت أبناء الالهة (نيت) معبودة (سايس) . واستمر الحال كذلك حتى غزا الفرس البلاد واستولوا عليها .

٤ ـ الحياة الثقافية والآداب :

توصل المصريون الى ابتكار الحروف الهجائية وعرفوا الكتابة

منذ عصورهم الأولى وكانوا يسمونها (الهيروغليفية) ، أى الاشارات المقدسة نظرا لما كان لها فى نفوسهم من احترام وتقديس · وقد استخدموها فى تسجيل أخبارهم وتصوير مشاعرهم والتعبير عن افكارهم وعقائدهم ·· ولصعوبة الكتابة الهيروغليفية ابتدع المصريون فى أوائل عهد الدولة القديمة نوعا آخــر من الكتـــابة يسمونه (الهيراطيقية) · وكان مما ساعد على انتشـار الكتابة لديهـــم انهم استخدموا منذ أقدم العصور نوعا من الورق اتخذوه من نبات البردى كما استخدموا نوعا من المداد يغمسون فيه أقلاما من الغاب ، وبذلك اكتملت لهم وسائل الكتابة فكانت هى السبيل الى ما عرفته مصر بل عرفه العالم كله بعد ذلك من مدنية وحضارة ·

وقد اهتم المصريون بتعليم أبنائهم الكتابة والقراءة واعتبروا ذلك شرفا عظيما يتطلعون اليـــه ويسعون الى الاستزادة منـــه ، كما اعتبروه شرطا لتولى الوظائف العامة ، ومن ثم انشأوا المدارس وكانوا يلحقون بها أبناءهم منذ طفولتهم الأولى ، ليتلقوا العلم ويشقوا طريقهم بعد ذلك الى المناصب الرفيعة والمهن الراقية كالطب والهندسة والكهنوت ·

وقد أدى التعليم الى انتشار الثقافة وظهور الآداب ، ورغم قلة النصوص الأدبية التى وصلت الينا من عهد الدولة القديمة ، فانها كافية للدلالة على ما بلغته الروح الأدبية لدى المصريين فى ذلك العهد من ارتقاء وازدهار ومنها يتضح أن الأدب يومئذ كان يتجه الى الواقعية ويخلو من عنـاصر الافتعال والاصطناع ويعبر عن أفكار الناس ومشاعرهم فى بسـاطة وصدق ويبشر بالفضيلة والعدالة والتقوى والمثل العليا ، وكان يغلب على الأدب أسـلوب الحكمـة والنصيحة والموعظة · ومن أبرز أدبائهم فى هذا المجال (بتاح حوتب) الذى ظهر فى عهد الأسرة الخامسة واشتهر بالحكمـــة والبلاغة ، حتى ارتفعت به شهرته ومقدرته الى منصـــب الوزارة ، وقد وضع

سفرا من أروع الأسفار الأدبية في التاريخ القديم كله . يوجه فيه النصائح والتعاليم الى ابنه فيدعوه الى الجد والاستقامة وتقديس الواجب ويحثه على الطاعة والتواضع وطلب العلم والاستمساك بمكارم الأخلاق وآداب السلوك والتحلي بالصدق والأمانة والعفة والعطف على الصغير واحترام الكبير .

بيد أن أغلب آداب هذا العصر قد اصطبغت بالصبغة الدينية - ويتجلى ذلك على الخصوص فى الأناشيد التى كانوا يترنمون بها في معابدهم وفى الكتابات المنقوشة على جدران أهراماتهم ولا سيما هرم أوناس وأهرام ملوك الأسرة السادسة في سقارة ، وهى التى عرفناها بمتون الأهرام ، واستقينا منها أغلب معلوماتنا عن عقائد قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة .

كذلك توجد بعض القصص التى نقشها الملوك والأمراء وحكام المقاطعات على مقابرهم . وقد وصفوا فيها كثيرا مما وقع لهم فى حياتهم من أحداث وما أتوه من آمال وما نالوه من مجد .

كما ذاعت فى ذلك العصر الأغاني الشعبية التى كان يترنم بها الناس في أعيادهم وأفراحهم وأوقات مرحهم . كما كان يتغنى بها الزارع فى حقله والصانع فى مصنعه وكل ذى عمل أثناء تأدية عمله ، ومن أشهرها أغنية الراعى يناجى بها غنمه ، وأغنية حاملى المحفة ، يعبرون فيها لسيدهم عن سرورهم بحمله ، وكانت تلك الأغانى تزخر بالعبارات الشعرية والمعانى الرقيقة .

وقد ازدهرت الآداب فى عهد الدولة الوسطى وكان اللون الغالب عليها هو القصة وقد شغف الناس بهذا اللون من الأدب . ومن أروع القصص التى أبدعها أدباء ذلك العهد قصة سنوحى ، التى ظلت بعد ذلك مثالا يحتذيه المصريون فى البلاغة ويلقنونه لأبنائهم ، بل لقد بلغ من اعجابهم بها انهم كانوا ينقشونها على الأحجار وشواهد القبور .

كما كان من روائع ذلك العهد قصـــة البحار الغريق التى يعتقد الباحثون أنها الأصل الذى اتخذ منه المؤلفون الحديثون قصة السندباد البحرى وغيرها من قصص المغامرات ٠

كما كان من ألوان الأدب فى ذلك العهد أدب النصائح والتأملات ومن ذلك مجموعة النصائح التى وجهها امنمحت الأول لابنه وظل المصريون يتداولونها زمنا طويلا ٠ ومن ذلك أيضـا تأملات رجل سئم الحياة ويئس منها فراح يناجى نفسه واصفا بؤس حـــاله وخيبة آماله فى الدنيا وفى الناس وقد تراءت له الحيـاة سجنا تتوق الروح الى مغادرته والانطلاق منه الى عالم الخلود ٠

وقد وصلت الينا من ذلك العهد نبوءة رجل يدعى (ايبور) قال فيها ان البلاد مقبلة على أيام عصيبة ، وانهـــا فى تلك الأيام سيحل بها الخراب والدمار ويقع أبناؤها فريسة الفقر والجوع وينهب بعضهم بعضا ويقتل الابن أباه والأخ أخاه فلا يلبث أعداء البلاد ان يهاجموها ويستولوا عليها ويستعبدوها ، ثم يظهر بعد ذلك رجل عظيم يطرد الأعداء ويعيد الى البلاد السلام والسكينة والرخاء وتعتبر هذه أقدم نبوءة معروفة فى التاريخ ٠

كما كثرت فى هذا العهد الأناشيد الدينية مثل نشيد آمون ونشيد أوزوريس وانتشرت الاغانى الشعبية التى يترنم بها الناس أثناء تادية أعمالهم كأغنية الحصاد وكذلك أغانى الطرب التى يشدو بها المغنون فى الحفلات وولائم الملوك والأمراء والأغنياء ٠

وتمتاز آداب هذا العهد مهما اختلفت أساليبها بالطابع الشعرى الذى يغلب على عباراتها ومعانيهـــا ، فكانوا يكتبون حتى القصص بأسلوب هو أقرب الى الشعر منه الى النثر ، بيد أن الطابع الشعرى كان أكثر ظهوراً ووضوحا فى الأناشيد والأغانى وكذلك فى قصائد المديح وقد وصلتنا منها قصيدة قيلت فى مدح (سنوسرت الثالث) ٠

ويعتبر عهـد الدولة الوسطى أزهى عصور الأدب المصرى ، وقد اعتبر المصريون فى العصور التالية آداب ذلك العهد نموذجا للفصاحة والبلاغة · وظلوا طوال التاريخ المصرى القديم يسعون الى تقليده والاحتذاء به ·

وقد ازدهرت الحياة الثقافية فى عهد الدولة الحديثة بدرجة تتناسب مع ازدهار الامبراطورية المصرية وارتفاع شأنها واتساع رقعتها وشمولها لأغلب الأقطار المعروفة فى العالم القديم ، ومن ثم تفاعلت الثقافة المصرية مع غيرها من ثقافات البلاد التى خضعت لمصر فى ذلك العهد أو ارتبطت بها ارتباطا سياسيا أو تجـاريا ، فانبثق عن ذلك ينبوع الأدب المصرى فى أروع أسـاليبه وابدع معانيـه ·

وقد كان لانتصار رمسيس الثانى فى معركة قادش أبلغ الأثر فى حياة المصريين الفنية كما كان له أبلغ الأثر فى حياتهم الادبية ، فقد رأينا كيف ألهمت هذه المعركة الرسامين والمثالين فصـوروا وقائعها فى رسومهم وتماثيلهم أبرع تصـوير ، وقد ألهمت هذه المعركة كذلك الشعراء فنظموا القصائد البليغة فى تمجيدها والاشادة بما أبداه رمسيس الثانى فيها من شجاعة فى مواجهة الأعداء وبراعة فى فنون القتال وأبدوا فى ذلك من دقة الوصف ورقة العبارة وصدق الشعور ما يضعهم فى مرتبة الشعراء العالميين ، وقد وصلت الينا احدى هذه القصائد ، وهى المسماة قصيدة بنتاؤور ، وهى مثال رائع للشعر فى ذلك العهد الزاهر من عهود النهضة المصرية ·

وقد شغف ادباء هذه العهد بكتابة القصـة ، وصاغوها فى اسلوب رشيق وأكثروا فيها من عناصر البلاغة وعوامل التشويق ، وصوروا خـلالها ما يسـود مجتمعهم من عقائد وتقاليد وعبروا بواسطتها عما يخالجهم من آلام أو يراودهم من آمال أو يمر بهم من هزيمـة مريرة أو انتصـار مجيد · ومن ذلك « قصة أبوفيس ملك

الهكسوس وسقننرع أمير طيبـــة ، وفيها يصف الكاتب ما لاقاه المصريون من مكائد الهكسوس ومظالمهم ثم يصف جهـود المصريين لطردهم وتحـــرير البلاد من ربقتهم ، و (قصـــة الاســـتيلاء على مدينة يافا) وفيها يصف الكاتب حيلة لجأ اليهـا « تحوتى » قائد جيوش الملك تحتمس الثالث ، اذ وضع خمسمائة من جنـــوده فى غرارات وأدخلهم خلسة الى مدينة يافا فأمكنه بذلك الاســـتيلاء عليها ، و « قصة الأمير المصرى وابنة ملك النهرين » وفيها يصف الكاتب ما قام به أحد الأمراء المصريين من أعمال البطولة حتى فاز بقلب ابنة ملك النهرين وتزوجها ، و « قصة الأخوين » وتتلخص فى أن شابا كان يعيش مع أخيه المتزوج ، وقد أغرته زوجة أخيه فانتهرها وعندئذ حنقت عليه واتهمته لدى أخيه كذبا ، فكاد أخوه أن يقتله لولا أن عرف الحقيقة فصفح عنه . وغير ذلك من القصص الوصفية والعاطفيـــة التى أخذت بمجامع قلوب المصريين فى ذلك العهـد .

بيد أن أغلب أدبيات الدولة الحديثة تصطبغ بالصبغة الدينية ومن أبرزها كتاب الموتى ، وهو يتضمن ما ابتدعه الكهنة من وصف للحياة فى العالم الآخر وما تصادفه الروح وهى فى طريقها اليه من عقبات وصعوبات ووحوش وأرواح شريرة تتربص لها . كما يتضمن شرحا للوسائل الكفيلة بالنجاة من كل هذه المخاطـر . وبيـــانا للمسالك التى تؤدى بالروح ســـالمة الى الجنة . وذلك فضـــلا عما ابتدعه الكهنة كذلك من وصف لمحكمة أوزوريس وكيفية محاكمة الروح أمامها والتعاويذ السحرية التى زعموا انها تكفـــل عطف المحكمة على المذنبين وتخفيف العقوبة التى تحكم بهـــا عليهم .. ومن ثم حرص المصريون على أن يضعوا هذا الكتاب مع جثث موتاهم، كما وضع الكهنة فى هذا العهد كتابين آخرين هما (كتـاب الدار السفلى) و (كتاب الأبـواب) وقد شرحوا فيهما بعض فصـــول (كتاب الموتى) فى شىء من الاســـهاب والتفصـــيل . ومن أبدع

الآثار الدينية التى تتسم بالبلاغة وروعة الصياغة فى ذلك العهد كذلك الاناشيد التى كان المصريون يترنمون بها فى المعابد ولاسيما اناشيد آمون التى تلمح فيها كثيرا من الأفكار السامية عن القوة الالهية ، ونستشف منها ايمان المصريين الراسخ بالله رغم كل ما أحاط بذلك الايمان من خرافات اخترعها الكهنة وشـوهوا بها الديانة المصرية كل تشويه .

٥ ـ الفنـــون :

ظهرت الروح الفنية لدى المصريين منذ العصر الســـابق على التاريخ وقد بقيت لنـــا من آثار ذلك العصر نمـاذج من الأوانى والأدوات المصنوعة من الفخار أو الأحجار تمتاز بقدر كبير من الدقة والرقة والجمال ، بيد أن الفن المصرى لم يظهر بصورته المتميزة وطابعه الخالد الا فى عهد الدولة القديمة . وقد تحددت أصـــوله وقواعده منذ بداية ذلك العهد .

وقد ازدهرت العمارة حينذاك بعد أن اســـتفادت كثيرا من التجارب الناجحة فى عصورها السابقــة .. فما فتئت تتطور من استخدام النبات فى العمارة الى استخدام اللبن ، ثم الى استخدام الأحجار ، مع تدرج وتقدم ملحوظ فى الاستعانة بالنقش والنحت والزخرفة . وقد بدأ المهندسون المصريون فى بداية عهـــد الدولة القديمة يستخدمون الأحجار فى رصف أرضيات المقابر وبناء جدرانها الداخلية ، واقامة نصبها التذكارية ، ثم استخدموهـا فى تشييد واجهات المعابد ، ولم تلبث العمارة الحجرية أن شهدت طفرة حديثة فى بداية عهد الأسرة الثالثــة على يدى المهندس المصرى الشـهير « ايمحوتب » الذى كان فى ذلك الوقت كبيرا لكهنــة عين شمس وقديرا فى الطب والحكمة والادارة ، وقد أشرف على بنـــاء مقبرة زوسر وتوابعها فى سـقارة ، فاستخدم الحجر لأول مـرة فى

التاريخ على أوسع نطاق ، وبدلا من أن يجعل المقبرة على شكل مصطبه كما كان يجرى بناء المقابر من قبل جعلها على شكل هرم ذى ست درجات يعلو بعضها بعضا ، ويبلغ ارتفاعها ستين مترا . وقد أحاط الهرم بمجموعة معمارية كبيرة تشغل أربعين فدانا وأقام حولها سورا ضخما يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار ويبلغ سمكه فى بعض المواضع نحو ستة أمتار . وقد استخدم « ايمحوتب » فى بناء العمائر المحيطة بالهرم وزخرفتها ، عبقريته الفنية التى لا مثيل لها ، فأقام بها أعمدة ذات أضلاع متجاورة محدبة على هيئة مجموعات محزومة من سيقان الغاب التى كان أسلافه يستخدمونها لرفع سقوف المبانى . كما أقام أعمدة على هيئة سيقان البردى بأوراقها وتيجانها ، وأعمدة تشبه جذوع الأشجار المشذبة وقد نحت الأبواب الحجرية على هيئة الأبواب الخشبية ، كما نحت السطوح الداخلية للسقوف على هيئة فلوق النخيل ، ذات المقاطع المستديرة وشيد حجرة الدفن بأحجار جرانيتية ضخمة وكسا جدران الحجرات المتفرعة عنها بقطع صغيرة محدبة من القيشانى المتعدد الألوان بحيث بدت كأنها بساط من النسيج المجدول الفاخر الذى كان سراة المصريين يزينون به أبهاء قصورهم .

وقد استمر تقدم العمارة الحجرية بعد ذلك واكتساؤها بروح الفن فى أهرام الأسرة الرابعة ومعابدها فى الجيزة ودهشور ، ثم فى معابد الأسرة الخامسة فى سقارة وأبى صير وقد ساعد على نهضتها وفرة الأحجار فى الهضاب المصرية وكثرة أنواعها وتعدد ألوانها ، فثمة الحجر الأبيض والجرانيت الأحمر والبازلت الأسمر والشيست الأخضر والديوريت الأزرق والبورفير الأرجوانى وغير ذلك من أنواع الأحجار الرملية والجيرية والصوانية ذات الصلابة المتفاوتة الدرجات . وقد اختار المصريون منها ما يناسب أغراضهم واقتطعوها بأحجام كبيرة لم يشهد العالم القديم لها مثيلا . كما ترتب على مركزية الحكم فى ذلك العصر توافر الامكانات والقدرة على استغلال

الموارد واستخدام المجموعات الضخمة من العمال والصناع لقطع الأحجار ونقلها واستخراج المعادن واعدادها وتوفير الأساطيل النهرية لنقل الكتل الحجرية الهائلة من أقصى القطر الى أقصاه وتشجيع المهندسين والفنانين بالجزاء الوافى ، وتنشيط التجارة الخارجية لتعويض البلاد عما ينقصها من الأخشاب الصلبة • وقد عاون على ذلك نظام الزراعة فى مصر القديمة ، اذ كان يقتصر على دورة زراعية واحدة ، فكان العمال الزراعيون يظلون بغير عمل طوال شهور عديدة فى كل عام ، ومن ثم كانت المشاريع العمرانية وما تدره عليهم من الرزق خير تعويض لهم فى شهور بطالتهم ، كما كان للعقائد الدينية لدى المصريين دخل كبير فى تنشيط العمارة • اذ دفعت بهم الى الاهتمام بتشييد المعابد الضخمة لآلهتهم ، كما دفعت بهم الى الاهتمام بتشييد المقابر الفخمة لأنفسهم • أما منازلهم فقد استحبوا فيها روح البهجة والمرح فزخرفوها بالرسوم الجميلة والألوان الزاهية ، مستعينين فى ذلك بمناظر بيئتهم الرائعة ذات البساتين اليانعة والأشجار الفارعة والزهور البديعة والطيور السارحة فى الفضاء والأسماك السابحة فى الماء والنجوم المتلألئة فى السماء •

وقد تقدم فن النحت فى عهد الدولة القديمة تقدما عظيما ، وبلغ درجة من المهارة والقدرة الفنية لا نظير لها فى كل عصور مصر السابقة واللاحقة •

وقد بقيت لنا من ذلك العهد مجموعة من التماثيل يندر أن يكون لها مثيل • وقد كان المثالون فى تلك الأيام يبذلون كل ما فى وسعهم ليجعلوا تماثيلهم مطابقة للأصل ومشابهة لأصحابها كل المشابهة فى الشكل والقوام والتقاطيع حتى تهتدى أرواحهم بواسطتها الى أجسادهم يوم القيامة ، كما كانوا يعتقدون • لذلك صبغوا تلك التماثيل بالألوان الطبيعية وصنعوا أعينها من الحجر

البلورى . وبرعوا فى بث الحركة فى ملامحها حتى لتبدو وكأنها تنبض بالحياة . ومع ذلك اختاروا لنحتها أصلب أنواع الحجر كالجرانيت والبازلت والمرمر ، كى تبقى على الزمن وترمز للخلود . كما انهم صنعوا التماثيل البديعة من الذهب والخشب والنحاس المطروق ، فكانوا فى كل ذلك أساتذة للعالم أجمع .

ومن أروع التماثيل التى بقيت لنا من عهد الدولة القديمة تمثال الملك خفرع الذى تتجلى فيه عظمة فرعون وجلاله ، وتمثال شيخ البلد الذى تراه فيخيل اليك من فرط دقته وحيويته أنه مقبل نحوك وعصاه فى يده ، مع أنه مصنوع من الخشب . وتمثال الأميرة نوفرت ، الذى تنطق سماته بالجمال ونبل المحتد ، وقد ازدان رأسها بالشعر المصفف الفاحم السواد ، والتف جسمها فى حشمة بثوب ناصع البياض وأحاطت بعنقها قلادة رائعة من الأحجار الكريمة . وتمثال الكاتب المتربع وقد اتخذ هيئة الشخص الذى تأهب للكتابة فقعد القرفصاء وأمسك القلم فى يده واستند الورق الى ركبتيه ، فلا يسعك اذ تراه الا أن تحس بأنه سيشرع فى الكتابة فعلا . وتمثال الملك (بيبى الأول) وهو أكبر تمثال معدنى فى تاريخ مصر ، وقد صيغت رأسه ويداه وقدماه من البرونز المسبوك ، أما بقية جسمه فمن الخشب المغلف بالنحاس .

كذلك تقدمت فى عهد الدولة القديمة فنون الحفر والنقش والرسم ، وقد استطاع المصريون بتلك الفنون أن يحاكوا الطبيعة أبرع محاكاة ، فرسموا سقوف منازلهم بهيئة السماء المزدانة بالنجوم ورسموا أرضياتها بهيئة البحيرات الزاخرة بالأسماك وزينوا جدرانها برسوم الأزهار والفراشات الطائرة بين الأشجار وجعلوا أرجل مقاعدهم وأرائكهم على هيئة أقدام الأسود أو الوعول وأكلوا فى صحاف تشبه قواقع البحر ، وشربوا فى أقداح تشبه براعم اللوتس . وقد أثارت رسومهم دهشة العالم كله فقال شارل بيرو : (لا يسعنا الا أن نعترف بأن فنانى الدولة القديمة

أبدعوا رسوما أبرع رسوم أوروبا الحديثة) . ومن أروع الآثار الفنية فى ذلك العهد ما تزخر به جدران مقابر الأسرتين الخامسة والسادسة من نقوش بارزة ورسوم بديعة ولاسيما مقبرة الأمير (بتاح حوتب) فى سقارة وهى تعتبر سجلا مصورا لمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية حينذاك ، وقد بدا فيها الزارع وهو يزرع والصانع وهو يصنع ، والراعى وهو يرعى ماشيته وربة البيت وهى تؤدى أعمال بيتها . كما تتجلى روعة النقش ودقته البالغة على جدران الطريق المؤدى إلى معبد أوناس ، وقد امتلأت بالمناظر التى تمثل الملك يحارب الأعداء وجنوده يتبعونه وحرابهم فى أيديهم ، كما تمثل النيل وما فيه من أسماك والحقول وما بها من نبات والأشجار وما عليها من طير ، والصحراء وما تزخر به من حيوان وتكشف هذه المناظر البارزة عن الحذق فى رسم التفاصيل الدقيقة للأجسام والذوق فى اختيار الألوان وتوزيعها فى تدرج وانسجام حتى تكاد الرسوم أن تنبض بالحركة والحيوية والحياة .

وكان من الفنون التى عرفها المصريون فى ذلك العهد كذلك الموسيقى ، وكانوا يستخدمونها فى المعابد للترنيم والتسبيح ، كما كانوا يستخدمونها فى قصور الملوك والأمراء والموسرين للترويح عن النفس . وكانت أبرز آلاتها لديهم القيثارة والهارب ـ وكان للموسيقى المصرية طابع معين يميزها وقد احتفظت به فى كل عصورها . وكان الغالب أن يصحب العزف الغناء .

وقد كانت الفنون فى عهد الدولة الوسطى تتسم بطابع ذلك العصر وتتمشى مع أحواله السياسية والاجتماعية ، فلم تعد الأهرام، والمقابر والمعابد فى ذلك العهد تستأثر بعناية الملوك واهتمامهم كما كان الحال فى عهد الدولة القديمة ، لأنهم انصرفوا الى المشروعات النافعة التى تعود على عامة الشعب بالخير والرفاهية . ولذلك ترى أن كثيرا من ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بنوا

أهرامهم باللبن وان كان بعضهم قد كساها من الخارج بالحجر الأبيض ، كما أن بعضهم الآخر نحتوا قبورهم فى صخور الجبال ٠

بيد أن مهندسى الدولة الوسطى قد أضافوا الى أساليب العمارة كثيرا من عناصر الحيوية والتطور ٠ وترى ذلك واضحا فى ضريح منتوحتب الثالث الذى يتميز بطرازه الفريد ، اذ اختار له المهندس الذى صممه مكانا فى حضن جبل ناهض من جبال طيبة الغربية ٠ وجمع فى تصميمه لأول مرة بين هرم فرعون ومعبده فى بناء واحد متصل ٠ وأراد للهرم أن يطاول ارتفاع الجبل فصمم تحته مسطحين عظيمين يعلو أحدهما الآخر ويؤدى اليهما طريق طويل عريض ، يبدأ بمدخل متسع عند حافة الوادى ٠ وأحاط المجموعة كلها بحديقة شاسعة ، وزينها بالأعمدة المرتفعة والتماثيل الملكية الواقفة والجالسة ٠ حتى استكمل بذلك لهذه التحفة كل عناصر الروعة والفخامة والجمال ٠

كما نرى مظهرا لتطور الفنون حينذاك فى معبد سنوسرت الأول ، اذ عدل المهندس الذى صممه عن الطراز المعتاد فى بناء المعابد فأقام ساحته فوق منصة مرتفعة تشبه المصطبة ٠ وكانت المواكب تصعد الى هذه الساحة فى طريق متدرج الارتفاع يتوسطه درج ٠ ثم تهبط منها فى طريق آخر متدرج الارتفاع يتوسطه درج كذلك ٠ وقد أحاط الساحة بأعمدة رباعية تصل بينها جدران قليلة الارتفاع بحيث تبدو الساحة من خلفها غير مكشوفة كلها ولا محجوبة كلها ، مما أضفى عليها منظرا يخلب الألباب ٠

ولم تكن نهضة الفن فى هذا العهد قاصرة على العاصمة وانما تعدتها الى المقاطعات حيث نحت حكامها قبورهم فى الصخر وزينوا جدرانها بالنقوش الجميلة والرسوم الرائعة ٠

ومن المشروعات المعمارية العظيمة التى تمت فى عهد الدولة الوسطى سد الفيوم الذى أقامه الملك امنمحت الثالث، والقصر الضخم الذى شيده ليكون مقرا للحكومة المركزية • وقد شـاهد اليونان والرومان فيما بعد هذين الصرحين الهائلين فاذهلتهم ضخامتهما ولم يسعهم الا أن يشيدوا بقدرة المهندسين المصريين وبراعتهم المعمارية •

وقد بلغ فن النحت وصناعة التماثيل فى عهد الدولة الوسطى درجة رفيعة من الروعة والاتقان ، وكان المثالون فى بداية هذا العهد يلتزمون فى عملهم بالتراث الفنى للدولة القديمة فمزجوا بين الواقعيه والمثالية فى نحت تماثيل الفراعنة ، اذ اتقنوا محاكاة وجوههم وأبدانهم ولكنهم اضفوا عليهم فى ذات الوقت هيبة مطلقة وشبابا خالدا وتقاطيع مليحة ومتناسقة وانتصابة قوية كاملة • بيد ان المثالين لم يلبثوا فى فترة تالية من ذلك العهد ان التزموا بالواقعية الخالصة ، فابرزوا ملامح الوجه وأعضاء البدن فى تماثيل الفراعنة كما هى فى الواقع ، مجتهدين أن يبرزوا خصائص كل منهم وما ينفرد به من طبع ومزاج • ومن ثم عبروا بالملامح الجادة القوية فى تماثيل سنوسرت الثالث عن شخصيته العسكرية الصارمة ، بينما عبروا بالملامح السمحة الرضية فى تماثيل امنمحت الثالث عن شخصيته الوادعة المسالمة •

ويشهد بمقدرة أولئك الفنانين ودقتهم وصبرهم انهم استطاعوا ابراز أدق الملامح وأعمق خلجات النفس على أكثر الأحجار وعورة وصلابة •

وقد ظهرت روح التطور والتحرر كذلك فى فن التصوير ، اذ انطلق الفنانون فى ذلك العهد من قيودهم القديمة ، وتركوا القوالب التقليدية التى كان يلتزم بها أسلافهم وراحوا يرسمون

الصور العائلية والمناظر الحربية وبيئات الصيد والقنص وغير ذلك من مجالات الحيـاة فى مرونة وحيوية ممتعة • ويتجلى ذلك على الخصوص فى مقابر الأمراء المنحوتة فى سفح الجبل بالقرب من المنيـا •

وقد ابدع فنانو الدولة الوسطى أروع الحلى لا سيما العقود والأقراط والأساور والتيجان والصولجانات والنياشين وقد صاغوها من الذهب الخالص وطعموها بالأحجار الكريمة كالياقوت والفيروز مستمدين أشكالها وزخارفها من الزهور والطيور والفراشات وكل الكائنات فى بيئتهم فكـانت تضارع فى الجمـال والجودة ودقة الصناعة ورقة المنظر أبدع وأروع ما انتجه الصائغ الماهر فى عصرنا الحديث • ومن أجمل ما بقى لنا من آثار ذلك العهـد الزاهر درع سنوسرت الثانى وهولوح من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة ودرع سنوسرت الثالث وهو كذلك لوح من الذهب يعلوه نسر كبير يبدو محلقا فوق تمثالين لابى الهول يضـــمان بين اقدامهما اربعة من الأسرى • ويعتبر التاج المنقوش على هيئة الزهور المتشابكة الذى كان لاحدى اميرات الأسرة الثانية عشرة من أجمل وأروع التيجان فى العـالم •

وقد تدفقت الثروة على مصر فى عهد الدولة الحديثة بفضل الغنائم الوفيرة التى غنمها المصريون فى فتوحهم ومن الضرائب التى كانت تنهمر عليهم من أنحاء الامبراطورية الشاسـعة ، فاتسـمت حياتهم بالأمن والرخاء ومن ثم ترعرعت الفنـون فى تلك الظروف المواتية لنمائها وارتقائها • وقد اغدق الملـوك أموالا طائلة على الفنانين فظهرت مواهبهم وازدهرت عبقرياتهم وابدعوا كل ابداع • وقد ذاعت من بينهم شهرة (امنحتب) الذى ظهر فى عهد الملك امنحتب الثالث ونبغ فى العمارة والحكمة وظلت شهرته تتجاوب فى أنحاء مصر بعد وفاته بأكثر من ألف عام وارتفع فى عهد البطالمة الى مرتبة الاله وكانوا يسمونه (أمنحتب بن حابو) •

وقد ابتكر المهندسون المصريون فى هذا العهد طرازا جديدا فى العمارة يأخذ بالألباب فأقاموا الصروح الشاهقة التى بهرت العقول بضخامتها وفخامتها وروعة زينتها وزخرفتها · ومن أبدع الأمثلة على ذلك معبد آمون الذى أقامه امنحتب الثالث فى الأقصر ، والعمارات الباذخة التى أقامها ملوك هذا العهد فى معبد الكرنك ، وأقاموا بها الأعمدة التى لا مثيل لها فى التاريخ لضخامتها وملأوا جدرانها بالرسوم البديعة الالوان وغلفوا سقوفها بالذهب وكسوا أرضياتها بالفضة · ونصبوا فى أبهائها المسلات الشامخة التى تتلألأ بالمعادن الثمينة فتبهر الأنظار بسنائها ، وصنعوا أبوابها من كتل هائلة تزن عدة أطنان من خشب الأرز المزخرف بالبرنز والمطعم بالذهب والفضة ، واستخدموا فى كل ذلك من فنون العمارة والنحت والنقش والرسم والصياغة ما يذهل العقول ولا يزال يثير الدهشة لدى العالم كله ·

ومن أكثر آثار الدولة الحديثة عظمة وخلودا عمارات الدولة التاسعة عشرة ولا سيما معبد سيتى الأول فى أبيدوس ومعبد رمسيس الثانى فى طيبة ومعابده المنحوتة فى صخور النوبة ، ومعبد رمسيس الثالث فى العرابة المدفونة · وقد انفرد كل من هذه المعابد بطابع يميزه ، لكنها جميعا تشهد بجبروت المهندسين والفنانين الذين وضعوا تصميمها وأنشأوها ، ولا سيما بهو الأعمدة بمعبد الكرنك الذى وضع أساسه رمسيس الأول ثم أكمل بناءه سيتى الأول ثم رمسيس الثانى ، وجمعوا فيه الجمال والجلال والضخامة فى اطار واحد ، وجعلوا منه أعجوبة العمارة فى كل العصور · وقد رفع المهندسون المصريون سقفه على مائة وأربعة وثلاثين عمودا ضخما وأرادوا أن ينشئوا فى وسطه ممرا عظيما تعبره المواكب الدينية الضخمة فى أعياد آمون ، ففى سبيل ابراز هذا الممر وتحديده بصورة تتميز بالمهابة والرهبة جعلوا على جانبيه صفين من الأعمدة الهائلة التى يتجاوز ارتفاع كل منها عشرين مترا ويبلغ قطره عشرة أمتار ،

ونحتوا تاج كل من هذه الأعمدة على هيئة باقة من زهور البردى المتفتحة الاكمام بحيث يتدرج فى الاتساع حتى تغدو قمته رقعة عظيمة تنفسح لوقوف عشرات من الناس مجتمعين ·· وقد أصبح الممر الأوسط الذى تحف به تلك الأعمدة يقسم البهو الى جناحين ضخمين تبلغ مساحتهما أكثر من خمسة آلاف متر مربع — وقد اقاموا فى كل من هذين الجناحين عددا عظيما من الاعمدة الشاهقة التى تبدو كأنها غابة هائلة من الأشجار الباسقة ، ونحتوا تاج كل من تلك الأعمدة على هيئة باقة من زهور البردى المضمومة الأكمام ، ولكنهم جعلوا أعمدة الجناحين أقل ارتفاعا من أعمدة الممر الاوسط ليضفوا على البناء كله — عن طريق الفروق بين المسطحات — مزيدا من الروعة والجمال ، ثم وزعوا الألوان والأصباغ على سيقان الأعمدة وتيجانها، ووزعوا الزخارف والزينات على السقوف والجدران والأعتاب والأبواب على نسق لا نظير له بين العمائر والبنايات فكان ذلك البهو تحفة الزمان وآية الآيات ·

وقد نبغ المصريون فى عهد الدولة الحديثة فى نحت التماثيل ولا سيما تماثيل الملوك الذين اتوا من جلائل الأعمال فى هذا العهد وفتحوا من الممالك واخضعوا من الشعوب ما جعلهم موضع الهيبة والرهبة والاجلال ·

وقد اجتهد المثالون فى اضفاء هذه الصفات على تماثيل الملوك وكانت لتوفيقهم فى ذلك تفوق الوصف · كما امتازت الدولة الحديثة ببراعة فنانيها فى نقش الجدران وزخرفتها البارزة وتزيينها بالألوان الجميلة · وقد تميزت أساليب النحت والنقش والرسم فى بداية عهد الدولة الحديثة ببراعة فنانيها فى نقش الجدران وزخرفتها البارزة وتزيينها بالألوان الجميلة ·

كما تميزت بطابع الوقار والاتزان فالتزمت فى تصوير الفراعنة بروح المثالية والجلال وابرزت ما اتصفوا به من نبل وبساطة وجمال · ويبدو ذلك جليا على الخصوص فى تماثيل تحتمس الثالث الذى ابدع المثالون فى نحت ملامحه حتى لتكاد ان تنطق بما كان يملأ جوانح ذلك الملك العظيم من طموح وحيوية وعزيمة قوية · بيد ان هذه الفنون لم تلبث ان اتجهت فى أوج عصر الامبراطورية الى التعبير عن الثراء والترف ورغد العيش ، فكانت ثمارها أقرب الى النعومة والرقة والتنميق · وقد اتضح هذا الاتجاه على الخصوص فى تماثيل امنحتب الثالث وزوجته (تى) وحكيم عصره (امنحتب بن حابو) كما ظهر فى تصوير المآدب الضخمة والفخمة والحفلات الفاخرة ومناظر الطبيعة الزاخرة بالطيور والزهور والأفنان والغدران · حتى اذا نادى اخناتون بعد ذلك بدعوة التحرر والتزام الحقيقة واحترام الواقع باعتباره هو الأفضل والأكمل تأثرت الفنون بهذا الاتجاه · وانطلق الفنانون – فى تل العمارنة عاصمة اخناتون الجديدة – يحاكون الطبيعة محاكاة أمينة صادقة فى تصوير الأشخاص والأشياء متحررين من كل القيود والتقاليد والقوالب الموروثة وقد تطرفوا فى ذلك أول الأمر حتى صوروا فرعون ذاته نحيف الجسم ضعيف البنية تبدو عليه آثار الأمراض والهموم · بيد انهم لم يلبثوا ان استعادوا ميلهم الى المثالية ، وعادوا يضفون على تماثيلهم ورسومهم مسحة من التناسق والجمال وان كانوا قد اهتموا اهتماما بالغا بابراز ملامح وتسجيل ما يخالج أصحابها من مشاعر وأحاسيس · ويبدو ذلك واضحا فى تماثيل اخناتون التى تعبر أعمق تعبير عن الحكمة والتقوى والتأمل ·

كما يبدو فى تماثيل نفرتيتى التى تعبر عن الصفاء والوداعة والرقة ، ولا سيما تمثالها النصفى الشهير الذى يمتاز برشاقة تصميمه ورقة تعبيره ودقة ملامحه ، ولا يزال موضع اعجاب العالم كله · وذلك فضلا عن تماثيل أخرى لرجال ونساء من ذلك العهد تكاد ان تنطق من فرط واقعيتها وصدق تعبيرها · اما الرسم فى

ذلك العهد فكان أكثر انطلاقا وأوسع آفاقا وقد وصلت الينا منه نماذج تموج بالحركة وتتألق بالألوان البهيجة وتمثل الطبيعة أدق وأصدق تمثيل • حتى اذا انتهى عهد اخناتون وانتقلت العاصمة مرة أخرى من تل العمارنة الى طيبة ، ظل أثر هذا الاتجاه سائدا في الفنون فترة غير قصيرة ، وبدا ذلك الأثر واضحا في تماثيل توت عنخ آمون واقنعته الذهبية وتوابيته وسائر التحف التي بقيت لنا من عهده • غير أنه منذ بداية عهد الأسرة التاسعة عشرة عادت الأساليب الفنية الى القواعد التي كانت متبعة قبـــل عهـد اخناتون ، فالتزم الفنانون بروح المثالية الممتزجة بالميل الى الأناقة والنعومة والرفاهية • كما انهم اتجهوا ولا سيما في عهد رمسيس الثاني الى الضخامة والروعة والرهبة كما يتجلى في تماثيل ذلك الملك وفي المعابد التي شيدها ، وفي مسطحات الجدران العظيمـة التي زخرت باللوحات الهائلة المزدحمة بصور الجموع الضخمة من الجنود وهم يتحركون في ميادين القتال ويهاجمون الأعداء بعرباتهم وخيولهم ينقضون عليهم بسيوفهم وحرابهم ويحاصرون حصونهم ويتسلقون صروحها ويهدمون جدرانها ومناظر القتلى تتراكم جثثهم ، والجرحى يعانون سـكرات الموت والأسرى يرســفون في الاغلال ، والمهزومين يقدمون فروض الخضوع والطاعة لفرعون • وقد بلغت براعة النقش والتصوير في كل هذه المناظر ذروة عالية من الدقة والاتقان وروعة الألوان وحيوية التعبير حتى اذا بدأت الامبراطورية المصرية في الانهيــار ومالت شمسها الى المغيب ، انتهى العصر الذهبي للفنون المصرية وتوقف الفنانون المصريون عن التجديد والابتكار وعادوا الى تقليد الأساليب السابقة على عصرهم • بيد انهم مع ذلك تركوا لنا تراثا خالدا من أبدع الآثار • وقد ظلت فنون مصر منذ بداية تاريخها الى نهاية العصر الفرعوني محتفظة بشخصيتها المتميزة وطابعها الأصيل ، حتى في فترات محنتها وتعثرها ، وما فتئت تستأثر بتقدير العالم جيلا بعد جيل •

٦ ـ العلـــوم :

امتــاز عهد الدولة القديمة بارتقـــاء العلوم ولاسيما الفلك والرياضيات والطب ٠

وقد مارس المصريون دراسة الفلك منذ عصور سحيقة قبل قيام الدولة القديمة حتى لقد توصلوا الى وضع التقويم وابتداع الوحدات الزمنية التى تشمل السنين والشهور والأسابيع قبل توحيد البلاد بأكثر من ألف عام ــ وقد رسموا السماء وعرفوا أهم نجومها وابتكروا آلات دقيقة لتحديد مراكز النجوم وتمكنوا من رصد الكثير منهـا ٠

كما برع المصريون فى ذلك العهد فى الرياضيـات ، وهى الحســاب والجبر والهندسة ، فقد عرفوا الأرقام الحســابية ، واستخدموها فى مسائل الجمع والطرح والضرب والقسمة ٠ واتخذوا مقاييس يقيسون بها أراضيهم وموازين يزنون بها حاجياتهم ، ومكاييل يحددون بها مقادير الســوائل والحبوب كما عرفوا مبادىء الجبر ٠ ونبغوا فى الهندسة ، ويدل على تفوقهم فيها ما أقاموه من مبان ضخمة كالأهرام والمعابد والسدود الهائلة التى تشهد لهم بالتفوق العظيم والعبقرية المنقطعة النظير ٠

كذلك برع المصريون فى ذلك العهد فى الطب ، وكان لديهم أطباء ممتازون فى علاج الأمراض الباطنية وأمراض العيون والأسنان والعظام ، كمـــا نبغوا فى الجراحة والتشريح ، وكانت لهم دراية عظيمة بالأدوية والعقاقير ٠ وقد دونوا علومهم الطبية فى أوراق البردى فانتقلت منهم الى اليونان ثم الى سائر دول أوروبا ٠ ومن المعروف ان الملك (سر) أحد ملوك الأسرة الأولى كتب سفرا فى علم التشريح ، بيد ان أشهر الأطباء المصريين هو (امحوتب) وزير الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة وقد الزله المصريون فى مراحل العصر

الفرعونى فى منزلة الاله ، ووصلت أخباره الى اليونان فاعتبروه اله الطب عندهم .

ويتصل ببراعة المصريين فى الطب والعلوم الكيماوية براعتهم فى فن التحنيط الذى اتقنوه منذ بداية عصورهم وظل حتى اليوم سرا من الأسرار الرائعة التى تحيط قدماء المصريين بهالة من المجد والجـلال .

٧ ـ الحيـــاة الاقتصـــادية :

توطدت الحياة الاقتصادية فى مصر منذ بداية عهـد الدولة القديمـة فانتظمت الزراعة وارتقت الصـــناعة واتســع نطـاق التجـــارة .

وكانت الزراعـة هى أهم موارد البلاد ، فلم يكن الاستقرار السياسى والنهضة الاجتماعية اللذان شهدتهما مصر فى ذلك العهد الا نتيجة لوفرة المحصولات الزراعية التى كانت تجود بها تربة وادى النيل ، وعناية ملوك الدولة القديمة بتنظيم وسائل الرى ، وما اتصف به الفلاح المصرى من كفاءة ومثابرة .

وكانت النظرية السائدة أن الملك باعتباره رأس الدولة هو المالك لكل أراضى البلاد وصاحب الحق المطلق فى التصرف فيها . وكان الفلاحون يقومون بزراعتها نظير جزء من المحصول ، وأما الباقى فيقومون بتوريده الى خزائن الحكومة كل عام .

وكانت طرق الزراعة وآلاتها فى ذلك العهد هى ذات الطرق والآلات التى ما زال المصريون يستخدمونها حتى اليوم ، كما كانت أهم المزروعات حينذاك هى التى مازالوا يزرعونها ولا سيما القمح والشعير والبقول والكروم والكتان .

وقد تقدمت الصناعة فى عهد الدولة القديمة ، فاظهر المصريون مهارة فائقة فى صنع الأوانى والأدوات من الأحجار ولاسيما الصلبة منها كالمرمر والجرانيت والصوان والأحجار البلورية والملاشيت والفيروز واللازورد ٠

واستخرجوا المعادن ولا سيما الذهب والفضة والنحاس والحديد وصنعوا منها كثيرا من حاجياتهم ولوازم حياتهم ٠ وبرعوا فى الصناعات الخشبية ولاسيما السفن الصغيرة والكبيرة وأثاث المعابد والمنازل ، وكانوا يجلبون الأنواع الجيدة من الخشب من ساحل فينيقيا ، كما انهم استخدموا العاج والأبنوس فى صناعة الأثاث الفاخر ٠ وكانوا يصنعون من الخزف أوانى بديعة لامعة متعددة الالوان ، ويطلون بعضها بالزجاج ٠ واتقنوا صناعة الجلود فدبغوها بمهارة وصبغوها بمختلف الألوان وصنعوا منها اغطية المقاعد والمضاجع والوسائد والستائر والمظلات ٠ وبلغت المنسوجات التى صنعوها من الكتان غاية الدقة والرقة حتى ليصعب تمييزها عن المنسوجات الحريرية ٠ وصنعوا الورق من البردى واستخدموه فى الكتابة على نطاق واسع فكان من أكبر الدعامات لحضارة بلادهم ٠ وكان لكل صناعة طائفة تتخصص فيها وتتوارثها ، ولا زالت آثار الدولة القديمة شاهدة على ما بلغه المصريون من براعة فى الصناعات على اختلاف أنواعها ، وما حققوه من تقدم فى هذا المضمار منذ ذلك الزمن البعيد ٠

وقد راجت التجارة فى مصر فى عهد الدولة القديمة ، وكان المصريون فى ذلك العهد يتبادلون الحاصلات المحلية بطريق المقايضة ٠ أما السلع الثمينة فكانوا يبادلونها بحلقات ذات وزن معين من الذهب أو الفضة وتعتبر هذه أقدم عملة معروفة فى التاريخ ٠ وقد تقدموا فى المعاملات التجارية فعرفوا المقاييس والمكاييل والموازين كما عرفوا العقود والايصالات والسجلات والحسابات ومسك

الدفاتر . وكانت الحكومة تشرف اشرافا تاما على نظام التعامل فى الأسواق وتهتم بادارتها واستقامة الأمر فيها مراعاة لمصالح الأهالى وحمايتهم من التلاعب والغش والاستغلال . كما اعتمت الحكومة ببناء سفن كبيرة تجرى فى النيل لنقل البضائع وتبادلها بين مختلف الجهات فى القطر .

لم يقتصر نشـــاط المصريين فى ذلك العهـد على التجـارة الداخلية بل تطلعوا الى المتاجرة مع البلاد المحيطة بمصر ، فكانت اساطيلهم التجارية لا تفتأ تجوب البحرين الأبيض والأحمر حتى وصلت الى المحيط الهندى جنوبا وبحر ايجة شمالا ، حاملة مختلف الحاصلات والمنتجات المصرية الى فينيقيا وردوس وقبرص وكريت والصومال وغيرها من الشواطىء والجزر والبلاد المتاخمة لها . كما كانت قوافلهم التجارية لا تفتأ رائحة غادية بين مصر وبلاد آسيا وافريقيا عن طريق شبه جزيرة سيناء شمالا ووادى النيل جنوبا . وقد ارسل الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة اسطولا من أربعين سفينة الى ساحل فينيقيا فأتت منه بحمولة ضخمة من أجود أنواع الخشب . وتوالت البعثات الى الصومال وغيرها من بلاد افريقيا بقيادة حرخوت ، وكذلك (سابنى) و (مخو) وغيرهم ، وكانت الصخور تعترض مجرى النيل عند الشلال الأول وتعوق الملاحة فقام مرنرع أحد ملوك الأسرة الخامسة بحفر خمس قنوات خلال هذه الصخور لتيسير سبل التجارة والتوغل فى افريقيا .

وقد جلب المصريون من السودان الذهب والابنوس والعاج والجلود وريش النعام ، ومن الصومال المر والبخور والزيوت العطرية والأخشاب ذات الرائحة الذكية ، ومن سيناء المعادن ولا سيما النحاس وبعض الأحجار الكريمة . وكانت القوافل التجارية تصل الى مصر من بلاد النهرين وخليج البصرة حاملة مختلف الحاصلات والمنتجات ولا سـيما الجلود والمنسـوجات الصـوفية والزيت . وقد اهتم

الفراعنة بالطرق الموصلة الى فلسطين وسوريا والعراق ، وحفروا فيها الآبار وعملوا على تأمين القوافل التجارية التى تمر بتلك الطرق وحمايتها من قاطعى الطريق الذين كانوا لا يفتأون يهـــددون ســلامتها ٠

وكانت تحيط بمصر فى عهد الدولة القديمة وما تلاه من العهود كثير من الشعوب التى عاصرت قدماء المصريين فى مراحل تاريخهم المختلفة : ففى الشمال كان ثمة الشعوب القاطنة فى ساحل البحر الأبيض المتوسط وجزره ولا سيما قبرص ورودس وكريت ٠ وفى الجنوب كان ثمة النوبيون ، وهم من الشعوب الافريقية التى عرفها المصريون منذ أقدم العصور ٠ وفى الغرب كان ثمة الليبيون ، وكانوا خليطا من شعوب شمال افريقيا وبعض الشعوب النازحة من أوروبا٠ أما البلاد التى تتاخم مصر من جهة الشرق فكانت تزخر بعدد كبير من الشــعوب التى نزحت فى مختلف الأزمان من مختلف الجهات واستوطنت سواحل الشام وما بين دجلة والفرات ٠ ومن أقدم تلك الشعوب قوم عرفوا بالسومريين وقد نزحوا من شمال آسيا ولا سيما بلاد القفقاس منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد ، وأسسوا فى بلاد ما بين النهرين حضـــارة من أقدم الحضـــارات فى العالم ، وكانت عاصمتهم مدينة (أور) ٠ ثم نزحت طوائف من الشعوب السامية من جنوب غربى آسيا الى مختلف أنحاء الشرق الأوســط ومنها طائفة الاكاديين التى غزت بلاد السومريين واخضعت الشام فامتدت مملكتها حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وكانت عاصمتها (اكاديا) بالقرب من مدينة بغداد الحالية ٠ ومن تلك الطوائف كذلك طائفة الأموريين التى استقرت فى سوريا والعراق منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد واستولت على آكاديا وأقامت هناك حضارة لا تزال آثارها باقية حتى اليوم ٠

ثم جاءت طائفة الكنعانيين فاستقرت في فلسطين وانشأت فيها المدن وأسست الحكومات وبلغت درجة عظيمة من الرقى فى الزراعة والصناعة والتجارة • واستقر جماعة من الكنعانيين فى الجزء الأوسط من ساحل الشام ــ وهو الذى نسميه اليوم لبنان ــ وكونوا شعبا يعرف بالفينيقيين ، وأنشأوا كثيرا من المدن الزاهرة ومنها بيروت وصور وصيدا • وقد حالت الجبال التى ترتفع فى محاذاة الساحل دون توسعهم فى الداخل فركبوا البحر وأخضعوا قبرص ووصلوا فى رحلاتهم الى اسبانيا وانجلترا وأسسوا مستعمرات تجارية على شواطىء البحر الأبيض المتوسط ولا سيما قرطاجنة فى شمال افريقيا ، وكان لهم فى مدينة منف بمصر حى كامل يسمى (حى الصــوزيين) نسبة الى (صــور) عاصمة بلادهم • وقد اقتبس الفينيقيــون عن المصريين حروفهــم الهيروغليفيــة ونقلوهــا الى الدول التى تاجروا معها ولاسيما اليونان الذين اتخذوا منهــا حروف كتابتهم بعد ان ادخلوا فيها تغييرات بسيطة وأخذتها عنهم بعد ذلك بلاد أوروبا • ومن الشعوب التى استوطنت سوريا كذلك الآراميون وقد دخلوها بعد الأموريين والكنعانيين والفينيقيين وقد انشأوا بها عدة مدن منها دمشق وحماة واشتهروا بالتجارة البرية فكانت قوافلهم تحمل البضــائع من الخليج العربى الى شــواطىء البحر المتوسط • كذلك جـاء الآشوريون من جنوب غربى آسـيا وسكنوا القسم الشمالى من نهر الفرات ، وتحضروا بحضــارة السومريين والاكاديين • وقد نشأ الآشوريون على الحرب والقتال ، ومن ثم تمكنوا من بسط نفوذهم على سوريا ولبنان وفلسطين ، كما تمكنوا فى وقت من الأوقات من غزو مصر ، ثم جـاء الكلدانيــون واستوطنوا شواطىء خليج البصرة واستطاعوا القضاء على النفوذ الاشورى وامتد حكمهم بعد ذلك الى فلسطين ، وكان اليهود قد اقاموا لهم مملكة فيها ، فاسروهم وساقوهم الى الأسر فى بابل وهدموا معابدهم وخربوها وقضوا على دولتهم • وقد اتصلت مصر فى اطوار

تاريخها المختلفة بكثير من هذه الشعوب وتبادلت معها التجارة كما تبادلت معها الافكار والعقائد والتقاليد ، فاثرت فيها وتاثرت بها فى كل مظاهر حضارتها .

وقد تميز عهد الدولة الوسطى بالرخاء الاقتصادى ، اذ اهتمت الحكومة بتنظيم مياه النيل وتوفيرها للرى ، وعنيت بالزراعة وعملت على النهوض بها . ومن أشهر المشروعات فى هذا السبيل سد الفيوم الذى أقيم فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، فاضاف الى الرقعة الصالحة للزراعة مساحات شاسعة من الأرض ، كما انه عاون على زراعة الدلتا فى وقت التحاريق فضاعف المحصول .

كما تقدمت الزراعة فى ذلك العهد وقد عاون على ذلك عناية الملوك بها فضلا عن تشجيع حكام المقاطعات لها فى مقاطعاتهم ، نظرا لشغفهم بحياة الترف وما تتطلبه من مصنوعات متنوعة . كما كان الأثرياء من أفراد الطبقة الوسطى يحاولون تقليد الملوك والحكام فى هذا المضمار فاصبحت الصناعة فى أوجها ، وقد ساعد كل ذلك على رقيها ورواجها .

وكذلك اهتم الملوك فى ذلك العهـــد بالتجارة وعملوا على تشجيعها وتوسيع نطاقها ، فحفر سنوسرت الثالث تلك القناة التى وصلت النيل بالبحر الأحمر ، ففتحت الطريق للتجاوة مع الصومال وكل بلاد الشاطىء الافريقى ، كما اتسع نطاق التجارة حينذاك مع فلسطين وسوريا وجزر البحر الابيض المتوسط والنوبة والسودان . فكانت هذه الأسواق مصدر خير للبلاد المصرية وكانت من أهم عوامل رخائها ونهضتها .

وقد تميز عهد الدولة الحديثة برخاء منقطع النظير ، ومن ثم ازدهرت الحياة الاقتصادية فى مصر ازدهارا لم يسبق له مثيل ، واستطاع ملوكها بما لهم من ثروة وسطوة أن يقوموا باعظم الاصلاحات

ويقيموا أضخم المشروعات لتنظيم الرى وتوسيع الرقعة الصالحة للزراعة ، فازدادت المنتجات الزراعية زيادة فاقت كل حد وفاضت على المصريين بالخير العميم .

اما الصناعة فقد بلغت ذروتها في هذا العهد ، وقد بلغ المصريون فيه من المهارة والدقة والاتقان درجة لم يبلغها أسلافهم ولا أى شعب من الشعوب المعاصرة لهم . وقد اتقنوا على الخصوص الذهب والفضة والنحاس والحديد والصناعات الخشبية من سفن ضخمة ورياش فخمة مطعمة بالمعادن الثمينة والأحجار الكريمة والعاج والأبنوس ، وصناعة الزجاج والقيشانى والورق والمنسوجات الكتانية والصوفية والقطنية والحريرية وأدوات الزينة . ولعل اروع مثال على قدرتهم الفائقة وبراعتهم المنقطعة النظير فى كل هذه الصناعات ما زخرت به مقبرة توت عنخ آمون من نفائس تذهل العقول وتحوى كل ثمين وجميل وفاخر من التوابيت والنواويس والموائد والمقاعد والأرائك والحلى وغير ذلك من التحف النادرة المغلفة كلها برقائق الذهب ، والتى تعتبر من أبدع ما صنعته يد الانسان على مر العصور .

وقد اتسع نطاق التجارة فى هذا العهد فشمل سوريا وفينيقيا وبلاد النهرين وسائر بلاد آسيا ، كما شمل جزر البحر الأبيض المتوسط وسواحل البحر الأحمر والنوبة وبلاد بونت وأواسط افريقيا . وكانت أساطيل مصر وقوافلها التجارية لا تفتأ رائحة غادية بين وادى النيل وكل اقطار الأرض المعروفة فى ذلك العهد . كما كانت السفن الفينيقية تنقل البضائع بين مصر وقبرص وجزر بحر ايجة وتأتى بالأدوات البرنزية والأوانى المزخرفة من بلاد اليونان . ومن ثم صار وادى النيل من الدلتا الى الشلالات زاخرا بخيرات العالم ، وانتشرت المصنوعات المصرية فى قصور ملوك كنوسوس ورودس وقبرص . وقد بلغت المعاملات التجارية ذروة ازدهارها فى

عهد رمسيس الثالث مؤسس الأسرة العشرين ، وكان لمعابد آمون رع وبتــاح فى عهــده أساطيل تجارية تمخر عباب البحر الأبيض والبحر الأحمر حاملة دخل تلك المعابد من فينيقيـــا وســـوريا والصــومال .

بيد ان الامبراطورية المصرية لم تلبث أن انهارت ودارت عجلة الزمان على مصر ، فانقلب عزها الى بؤس ، وانقلب مجدها الى هوان ، وغزاها الغزاة من كل جنس ، فســقوها كاس العذاب ، واذاقوا شعبها أبشع الوان الذل والحرمان .

القسم الثانى

جـــذور
الطب والصيدلة فى مصر القديمة

اعتاد المصريون القدماء أن يطلقوا على عاصمة بلادهم اسم «منف» ـ (ممفيس فى لغة اليونان) وهى عاصمة الاقليم الأول فى مصر السفلى منذ عصر الأسرة الأولى ـ اسما مقدسا هو « حت ـ بتاح ـ كا » Hot - Ptah - Ka وأحيانا اسم « ح ـ كو ـ بتاح » He - Ko - Ptah والتى تعنى فى اللغة المصرية القديمة « منزل روح الاله بتاح » .

ومن الأسماء الأخرى التى اعتادوا عليها هو « انب ـ حتت » Aneb-hetet اى مدينة الجـــدار الأبيض ـ وأحيـــانا أخرى اسم « من ـ نفر » Men-nefer أو « خا ـ نفرت » Kha-nefert والتى وصل اسمها الينا بالعربية الى منف .

وكما هو حال المصريين الآن فى اطلاق اسم مصر حينما يعنون بها القاهرة كذلك كان المصريون القدماء يطلقون اسم « حكوبتا » على

كل مصر وسار على منوالهم معظم البلدان المتاخمة مثل الأشوريين وبلاد الشام وأطلق اليونانيون القدماء اسم (ايجبتوس) Aegyptos على مصر كما هو وارد فى الياذة هوميروس حيث ذكرت عدة مرات بهذا الاسم وعـرف العالم مصر باسم ايجبت بالانجليزية وايجبيت بالفرنسية وايجيبتن بالألمانية ... وغيرها ، (Egypt, Egypte, Aegypten)

ولقد عرف سكان الجزيرة العربية أرض مصر منذ اقدم العصور وأطلقوا عليها اسم مصر Misr حتى بعد دخول الجيش العربى الاسلامى مصر فى عام ٦٤١ ميلادية وتحولت مصر الى ولاية اسلامية تابعة للخلافة الاسلامية فى مكة . وأطلقوا كذلك على سكان مصر المسيحيين لقب قبط أو جبط Gypt وهو تحريف للاسم الفرعونى القديم « حكوبتا » وظل هذا الاسم يعرف به سكان مصر المسيحيون حتى الآن (*) .

وهناك اسم آخر لمصر قديم جدا وهو كيمى Kemi وقد اطلقه المصريون انفسهم على أرضهم ومعناه الأرض السوداء نسبة الى لون طين الأرض .

والمصريون القدماء ينتمون الى جنس البحر المتوسط الذى لجأ الى شاطىء نهر النيل منذ حوالى ٤٠٠٠٠ سنة (أربعون الف عام) هربا من الصقيع الذى غطى معظم أرجاء أوروبا حتى جنوبها . وعلى أرض مصر اختلط هؤلاء الوافدون مع الجنس الليبى القـادم من صحرائها ومع الجنس القادم من جبال النوبة فى الجنوب وكذلك مع الجنس السامى القادم من شبه الجزيرة العربية من شمالها وغربها واختلط الجميع مكونين فى النهاية شعبا واحدا .

(*) An Introduction to the History of Medicine : by Charles Greene Cumston.

وفى حوالى عام ٨٠٠٠ ق٠م تمكن هذا الشعب المصرى من استنباط لغة موحدة يتكلم بها ولكن بعدة لهجات تختص كل مقاطعة بلهجة ولكن بفروق ضئيلة واخترعوا لها كتابة تحتوى على عدة صور وعرفت باسم اللغة المصرية ذات الخط الهيروغليفى (المقدس) فى حين كتبوا بخط سريع نوعا آخر من الكتابة عرفت باسم الخط الهيراطيقى وظلت مزدهرة حتى الأسرة الخامسة والعشرين حينما استنبطوا نوعا ثالثا من الخط عرف بالخط الديموطيقى ٠

والخط الهيروغليفى مكون من رموز وصور كانت تكتب وتحفر على جدران المعابد والهياكل والأعمدة والمسلات وكان يستخدم هذا الخط بكثرة الكهنة ولذلك سمى بالخط المقدس واستخدموا الخط الهيراطيقى فى كتاباتهم الرسمية وكذلك فى دواوين الحكومة والخطابات الرسمية وكذلك استخدمه الشعب فى كتابته اليومية للخطابات والعقود وغيرها ٠ وظل الخط الديموطيقى يكتب به حتى القرن الرابع الميلادى حينما قل الاهتمام والكتابة به وكتبت اللغة المصرية القديمة بأحرف اغريقية مع اضافة سبعة حروف من الخط الديموطيقى وعرفت هذه الكتابة باللغة القبطية واستخدمت فى كتابة الخطابات والعلوم والوثائق ٠٠٠ وغيرها (*) ٠

ولقد عرفت اللغة الاغريقية فى مصر منذ حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد عندما أقبلت السفن الاغريقية التجارية الى شواطىء مصر على البحر المتوسط للتجارة مع الموانىء المصرية وزاد ذلك عندما سمح فرعون مصر فى القرن السادس ق٠م٠ للاغريق بتكوين مدينة لهم فى الدلتا سميت بمدينة نوقراطيس Naucratis (وكانت على مقربة من مدينة الاسكندرية الحالية) ٠

(*) L'Egypte sous les Pharaons ; by Champollion.

ولقد عمل سكان مدينة نوقراطيس على دراسة جميع العلوم المصرية مثل الطب والصيدلة والفلسفة والدين ... وغيرها مما كان له أكبر الأثر فى تقدم الحضارة فى الاراضى الاغريقية والجزر المحيطة بها وذلك عندما نقلت هذه العلوم بواسطة العديد من هؤلاء السكان .

ولقد جاء الاسكندر المقدونى مصر غازيا فى عام ٣٣٢ ق . م تحقيقا لحلمه بانشاء امبراطورية له تضم كافة البلاد والحضارات التى كانت تضم العالم القديم فى ذلك الوقت وساعده على ذلك هؤلاء السكان فى مدينة نوقراطيس عندما شرع فى تخطيط مدينة الاسكندرية على أطلال مدينة مصرية قديمة كانت ميناء مهما لمصر على ساحل البحر المتوسط وأهملت اثر تهدمها نتيجة زلزال مدمر فى عصور قديمة . وبذلك بدأت اللغة الاغريقية فى الانتشار كذلك فى الاسكندرية وباقى مدن مصر تبعا لذلك حيث أعلن الاسكندر أن مدينة الاسكندرية عاصمة لمصر الاغريقية وباتت اللغة الرسمية فى المصالح الحكومية .

لذلك اضطر باقى المصريين الى تعلم القراءة والكتابة وبالتالى التخاطب باللغة الاغريقية والا حرموا من العمل بوظائف الحكومة .

وبدخول الجيش العربى الاسلامى فى عام ٦٤١ م الى أراضى مصر بقيادة عمرو بن العاص ، اضطر المصريون الى تعلم اللغة القبطية الى درجة أنها اقتصرت على الوجه القبلى الى القرن ١٣ م ثم الى الدعاء بها فقط فى الكنائس الى القرن ١٧ م حتى اقتضى الأمر أن اللغة العربية حلت محلها حتى فى الكنائس .

ولقد أمكن معرفة تاريخ الصيدلة والطب فى مصر القديمة من الكتابات التى ألفها المؤرخون القدماء أمثال :

١ ـ هيرودوت اليونانى (Herodotus) : الذى زار مصر عام ٤٥٧ ق.م وألف كتابه الشهير (التاريخ) ويحتوى على فصل كامل

عن مصر والمصريين فى مختلف أوجه نشاطهم • وقد اعتمد فى كتابته على المعلومات التى استقاها من كهنة المعابد المصرية والكتابات التى وجدها منقوشـــة على أطلال الآثار • ولقد عاش هيرودوت ما بين (٤٨٤ ـ ٤٢٤ ق٠م) •

٢ ـ مانيتون السمنودى (Manethon) : مؤرخ مصرى شهير عاش فى الاسكندرية وقد ألف كتابه باللغة اليونانية عن تاريخ مصر منذ أقدم العصور بناء على طلب الملك بطليموس الثانى وذلك فى عام ٢٨٠ ق٠م ذاكرا فيه كل ما وجده فى المخطوطات القديمة والتى كانت مخبأة فى المعابد المصرية القديمة •

٣ ـ ديودور الصقلى (Diodorus Siculus) : وقد زار هذا المؤرخ الشهير مصر عام ٦٠ ق٠م• وألف عنه رجوعه الى بلاده كتابا عن تاريخ مصر وعادات المصريين وطريقة حياتهم •

٤ ـ سترابون Strabon : زار هذا الجغرافى الاغريقى (والذى عاش ما بين ٦٣ ق٠م ـ ٢٠ م) مصر فى عام ١٠ م ووصف فى كتابه الشهير الجغرافيا (Geographica) كثيرا من الأماكن والعادات المصرية القديمة • وقد استقى معظم معلوماته من الكتب التى كانت محفوظة فى مكتبة الاسكندرية الشهيرة وكذلك من الكتب التى ألفها جغرافيون اغريق قبله أمثال بوليبيوس (Polybius) وبوسيدونيوس (Poseidonius) (القــرن الخــامس ق٠م) وثيــوفانيس (Theophanes of Mytile) وغيرهم •

٥ ـ بلوتارك (Plutarch) : المؤرخ الاغريقى (عاش ما بين ٤٨ ـ ١٢٢ م) والذى زار مصر عام ٩٠ م•وألف كتابا عن الحياة المصرية •

وكذلك ورد ذكر مصر والمصريين فى كتابات مؤرخين كثيرين أمثال جوزيفوس (Josephus) فى القرن الأول ق٠م٠ وجوليوس افريكانوس (Julius Africanus) والذى زار مصر فى عام ٢١٧ م وكذلك يوسيبيوس (Eusebius) الذى قدم مصر كذلك فى عام ٣٢٧ م ٠

وكذلك أمكن معرفة الكثير والمهم عن تاريخ المصريين القدماء الطبى والصيدلى من قراءة النقوش والرسوم المكتوبة والمحفورة على جدران المعابد والأهرامات والمصطبات والمسلات وبقايا القصور والمقابر وكذلك البرديات الطبية وغيرها ٠ ويجىء فى مقدمة المعابد المهمة معبد ادفو فى الوجه القبلى ٠

وقد اكتشفت حديثا فى منطقة المطرية من ضواحى القاهرة أطلال معبد آنو المقدس ضمن بقايا مدينة آنو وتحوى بعض الجدران نقوشا يظن أن لها علاقة بعدة نواح طبية ٠ والصيدلة على وجه العموم فن علمى تتوغل جذورها عميقا فى أصل جميع المواد العلاجية سواء كانت من أصل نباتى أو حيوانى أو معدنى وذلك عن طريق تحليلها وطرق تحضيرها واعدادها وتركيبها وكذلك معرفة خواصها الكيميائية والطبيعية وطرق تاثيرها الطبية على الأجسام وكيفية تحضير مركبات صيدلية منها ٠

وتعتبر مصر القديمة من الاهمية بمكان فى تاريخ الحضارة عامة وفى تاريخ الطب والصيدلة بصفة خاصة حيث تقدم للعالم كما وفيرا من المعلومات والقرائن عن الحياة الثقافية العتيقة والتى وصلت الينا حتى الوقت الحالى ٠

فهذه الثقافة الحضارية لمصر القديمة لفتت بصفة عاجلة انتباه الاغريق القدماء الذين نقلوها الى بلادهم وكان ذلك فى القرن العشرين

قبل الميلاد فى جزيرة كريت والتى يعتقد أنها الجسر الذى انتقلت منه حضارة مصر الى أرض الاغريق فى الشمال .

وعندما غزا الرومان بلاد الاغريق فى القرن الثانى ق . م . وضموها نهائيا الى امبراطوريتهم حوالى عام ١٦٠ ق.م ، انتقلت هذه الحضارة الى روما حيث تغلغلت الى أنحاء أوروبا نتيجة غزواتهم وبذلك انتقل التراث الحضارى المصرى القديم الى سكان أوروبا جميعها وتشبعوا بها حيث تكون بذلك نظام حضارى جديد لم يألفوه من قبل وذلك ثابت بوضوح شديد نتيجة أن المصريين القدماء تركوا لمصر وللعالم كله أساسا ضخما وهائلا للحضارة العلمية وذلك كله ظاهر للجميع عن طريق الكنوز التى لا تقدر بمال والمحفوظة فى جميع متاحف العالم .

وتاريخ الصيدلة المصرية القديمة فى الوقت نفسه هو تاريخ العقاقير والأدوية وكذلك الطرق العديدة المستخدمة لتحضيرها والاستفادة بها وطرق حفظها لحين استعمالها .

ولقد بدأت الصيدلة فى مصر القديمة كعلم نتيجة للحاجة الشديدة الى إستخدامها فى الحياة اليومية واحتياجاتها وذلك عن طريق سلسلة طويلة من التجارب على مر آلاف السنين . وجمعت هذه التجارب الأولية مع بعضها وما ثبتت فائدته كان يوصى باستخدامه باستمرار فى حين أن عديمة الفائدة كانت تترك جانبا (*) .

وكان من الشائع عند المصريين القدماء ـ ولازال حتى الآن فى الأذهان ـ أن الأرواح الشريرة توجد فى الطبيعة بصفة دائمة وتسبب

(*) Les Medicaments chez les anciens Egyptiens ; by J.J. Jenny, 1942, Basle.

أحيانا كثيرة أعراضا مرضية خبيثة ولذا كان هذا الاعتقاد السائد هو الذى أحـــدث العـلاقة الوثيقـة بين الصـيدلة والطب والدين والسحر فى البدايات الأولى لمحاولات العلاج من الأمراض الموجودة عندهـم ٠

وكان غالبية الأطباء والصيادلة فى مصر القديمة من طائفة الكهنة الذين تلقوا تعليما دينيا قبل دراستهم للعلوم الطبية وكانوا يزاولون مهنهم بواسطة تفوههم ببعض الأدعية والجمل الدينية والتى كانوا يتلونها قبل بداية فحصهم للمرضى وذلك فى حالة الأطباء أو قبل وأثناء تحضيرهم للأدوية الشافية فى حالة الصيادلة وذلك لكى تحمى المرضى من الأرواح الشريرة ٠ وكان ذلك يعتبر نوعا من العلاج الايحائى الذى أكدت فاعليته معظم البرديات الطبية المكتشفة فى مصر والتى ذكرت أن بعض الآلهة لها تأثير كبير وحاكم على جميع أعضاء جسم الانسان ، مثال ذلك أن الاله رع يسيطر على الوجه فى حين أن الهة الحب حاتحور تختص بالعين والاله انوبيس بالشفتين بينما يختص الاله تحوت بالثقافة والمعرفة بباقى أجزاء الجسم ٠

ولقد نبعت تلك الفكرة من الأساطير الدينية ونتج عن ذلك أن الاله الذى أمكنه شفاء لدغة الثعبان اعتبر أحسن دواء مضاد للعضة وكذلك بالنسبة للدغة العقرب وللاله المختص بذلك ٠

وتعتبر دراسة تاريخ مصر القديمة تمهيدا للمستقبل لأنها تصل الماضى بالحاضر وتظهر العلاقة القوية التى تربطهما ببعض وما حدث فى المراحل الماضية فى طريق تطور الحضارة ٠ وتعطينا كذلك صورة واضحة عما واجه الانسان من صعاب ونجاح والمجد الذى وصل اليه المصريون القدماء ٠ ومن هنا يمكن لنا أن نقتبس الكثير من مثلهم العليـــا التى قد تؤثر فى حياتنـــا الحاضرة الى الأحســن ٠

ولقد كانت مهنة الصيدلة فى مصر القديمة فنا من الفنون التخصصية العالية فقد اعتبرت بجانب انها علم من العلوم الرفيعة ، كذلك صناعة مهمة وتجارة أيضا ، ولها اتصالات وتداخلات فى عدة مهن أخـرى .

وتأثرت الصـــيدلة والطب فى بداية تطورهما بالســـحر والخرافات والدين وغيرها من العـوامل المحيطة بهما والتى كانت متواجدة جنبا الى جنب .. وتداخلت بعد مدة مع الكيمياء وموادها المختلفة لعدة آلاف مضت من السنين وحتى الآن .

وفى عصور ما قبل الأسرات فى مصر القديمة كان الصيدلى والطبيب شخصـــا واحدا وسمى فى اللغة المصرية القديمة ســـونو (Sonu) وكان عمله فحص المرضى وتشخيص أمراضهم وعالهم ثم وصف الدواء الخاص لعلاجهم والذى سبق ان حضره بنفسه من قبل فى معمله بمنزله أو أشرف على تركيبه سلفا . (ولقد اتبع أبقراط (Hippocrates) الطبيب الاغريقى تلك الطريقة والتى وصفها الطبيب الاغريقى أيضـــا جالينوس (Galen) بعده بمئات السنين بأن أبقراط كان معتادا على تحضير عقاقيره العلاجية بنفسه أو كان يشرف على اعدادها) (*) .

وقد ذكر كلسس (Celsus) الطبيب الاغريقى (القرن الأول م) بأن انفصـــال المهن الطبيـــة المختلفة الى أقسام متعددة جاء بطريقة تدريجية وتبلور ذلك فى مدينة الاسكندرية عام ٣٠٠ ق.م. اذ تكونت أيامها ثلاثة فروع منفصلة لهـــذه المهن وهى التغـذية والجراحة والأدوية .

وكلمة الصيدلة (فارماسى) (Pharmacy) فى اللغات الأجنبية مأخوذة من لغة مصر القديمة عندما استعارها الاغريق فى لغتهم .

(*) The Devine Origin of the Herbali t : by E.A. Wallis Budge.

فاصلها كلمة فرعونية « فارماكا » (Phar-ma-ca) والتى كانت تعنى « مانح الشفاء » وذلك عندما كانوا يعنون بخواص الأدوية العلاجية . (وهذه الكلمة الفرعونية وجدت منقوشة على قاعدة تمثال الاله تحوت فى أطلال مدينة ممفيس بمصر) . ولقد أطلق الاغريق هذه الكلمة على علم الصيدلة فأصبح « فارماكى » (Pharmaki) والدواء أو العقار اسم « فارماكون » (Pharmakon) . وانتشر هذا الاسم ودخل جميع اللغات الأوروبية فنجد اسم فارماسى (Pharmacy) بالانجليزية وفارماسى (Parmacie) بالفرنسية وفارماشيا (Farmacia) بالايطالية وغيرها .

وفى أثناء حكم البطالمة لمصر ، دخلت كلمات جديدة فى مفردات مهنة الصيدلة مثل مديسينا (Medicina) لتعنى دواء أو كلمة ميديكا منتس (Medicamentus) وأطلقت على الدواء والسم معا أو لتشمل كل ما يتصل بالصيدلة .

أما كلمة الصيدلة فى اللغة العربية فهى مشتقة من كلمة صندل وهو خشب نباتى عطرى كان يستخدم كرمز لهذه المهنة عند العرب قبل الاسلام وامتدت الى بلاد الشام وتحولت من صندلة أى علم وفن استخدام النباتات العطرية والطبية الى صيدلة فى العصر الحديث .

وعندما غزا الرومان أرض مصر واحتلوها عام ٣٠ ق.م. دخلت كلمات جديدة فى التعريف العام العالمى لكلمة صيدلة ، فاطلقت كلمة سيبالسيا (Sepalsia) على مهنة الصيدلة وكلمة أبوثيكا (Apotheca) على مخزن الدواء (وهذه الكلمة أخذت من اسم بلدة أبو تيج فى صعيد مصر حيث كانت أيام الرومان وبعدهم العرب مخزنا للقمح فى مصر والذى كان يرسل الى روما كغذاء رئيسى للامبراطورية الرومانية) . وبذلك أطلقت على علم الصيدلة كلمة أبو ثيكارى

(Apothecary) وعلى الصيدليات اسم Apoteck فى سويسرا و Apteka فى بلغاريا و Apoteket فى النرويج و Apotheke فى هولندا و Apteckki فى فنلندا وغيرها ٠

ولقد ورد ذكر مهنة الصيدلة قديما فى الكتاب المقدس عند العبرانيين ـ سفر الخروج ـ حيث نجد « ٠٠٠٠ هذا الدهان المقدس الذى كان يحضر طبقا لفن الصيدلى » ٠

وكذلك ذكر فى الكتاب المقدس أكثر من ٣٠٠ دواء كان يحضر بواسطة الصيادلة فى مصر القديمة ٠٠ وكذلك ورد ذكر « ٠٠٠٠٠ ان الذباب الميت يجعل دهان الصيدلى له رائحة نفاذة كريهة » ٠

عندما اكتشف العشاب المصرى القديم ـ أو كما يدعى « بالصيدلى الأول » خواص الأدوية وفوائدها العلاجية فانه فكر فى استخدامها لعلاج الأمراض التى كان يعانى منها الانسان فى ذلك الوقت والذى شاهد بنفسه الأثر الفعال المدهش لتلك الأدوية على الحيوانات التى كانت تشكو من أمراض عرضت لها والتى بدافع من غريزتها الطبيعية كانت تأكل تلك النباتات فتشفى من أمراضها مثل الاسهال والآلام وسم الحيات والثعابين ٠٠٠٠٠ الخ ٠

ولقد اختلطت نظرية العلاج بهذه العقاقير الطبية فى بادىء الأمر بما كان معروفا ومعمولا به بواسطة الطبيب من أفكار فلسفية وتعاويذ دينية فى ذلك الوقت السحيق من تاريخ العلاج فى مصر القديمة (وكان هذا الحال كذلك فى بلاد الشام وما بين النهرين وفارس والهند وفى الشمال الأوروبى وجنوبه) ٠ وقد أثرت هذه النظريات الفلسفية العلاجية على الحضارة والثقافة المصرية القديمة ٠

ولقد اعتاد الصيدلى الأول المصرى ـ أو كما كان يطلق عليه اسم العشاب الفيلسوف ـ أن يفسر الآثار العلاجية للنباتات الطبية

بأسلوب فلسفى مغلف ومصحوب عادة بالعديد من الاصطلاحات الدينية والروحية والسحرية (*) .

وكانت لديه طرقه الخاصة به فى تحضير الأدوية التى كان يستخدمها عادة فى العلاج ولذلك اختلطت نظرياته الصيدلية مع المبادىء الفلسفية مما أدى فى النهاية الى الترابط الوثيق بين الصيدلة والفلسفة . وبطبيعة الحال ينطبق هذا حرفيا على مهنة الطب فى بداياتها .

وفى تلك الأيام البعيدة ، كان الترابط والتلاصق والتلاحم واضحا ووثيقا بين السحر وبين الصيدلة والطب وذلك بالنسبة لطريقة تحضير الأدوية والعقاقير الطبية والصيدلية ، واستمر ذلك طيلة العصور التاريخية بمصر . ويظهر ذلك جليا فى التراث الطبى الشعبى التقليدى فى مصر الحديثة بين الطبقات الشعبية حتى الآن .

وكان الصيادلة وكذا الأطباء فى مصر القديمة فى الوقت نفسه كهنة (أى تلقوا تعليما مختلطا بين الدين والصيدلة والطب) ، وكانوا يقومون بتلاوة بعض الأدعية السحرية أثناء قيامهم بتحضير الأدوية وكذلك أثناء اعطائها للمرضى . وكذلك كان مسلك الأطباء أثناء الكشف على مرضاهم وذلك ــ حسب اعتقادهم اليقين ــ بأن تلك الأدعية كانت لاجتلاب مساعدة الآلهة لهم فى بسط رعايتهم ورحمتهم على المرضى وسرعة شفائهم من أمراضهم .

ولقد كان من المعتاد فى أحوال كثيرة أن يلجأ الأطباء ونسبة من الصيادلة فى ذلك العصر السحيق الى كتابة بعض الكلمات السحرية على قطعة من البردى بمداد أحمر مكون من ماء ورد وصبغة زعفران حمراء ثم يطلبون من المرضى وضع هذه الورقة فى ماء ورد فى منازلهم

(*) Etudes de Droguerie Egyptienne ; by V. Loret, Paris, 1894.

ثم عندما تذوب الكلمات فى الماء يشربونها فتزول أمراضهم (وكانت هذه الحيلة تفيد فى بعض الأمراض النفسية أو التى تسببها بعض الأرواح الشريرة عند لمسها لجسم الانسان) (*) ٠

ولقد نقل الاغريق هذه الطريقة بحذافيرها الى بلادهم ومارسوها فى علاج الأمراض الروحية لمرضاهم وظلت هذه العادة منتشرة بطريقة طبيعية حتى القرن السادس عشر الميلادى حينما اضطر ممارسوها الى فعلها فى الخفاء نظرا لمحاربة حكومات وكنائس تلك الدولة لهذه المعتقـدات ٠

وهذا الاعتقاد البالغ فى القوى السحرية نجده فى بقايا القبور والمقابر التى خلفها القدماء المصريون وتتكون من قطع من الأحجار الملونة والنباتات والأعشاب وغيرها من مستلزمات تلك الطريقة التى كانوا يعتقدون فى فوائدها الجمة السحرية لشفاء الأمراض التى تشل الطب فى علاجها ٠ وكذلك كانوا يعتقدون كثيرا فى الفوائد السحرية لعدة كلمات معينة ذات مفعول أكيد ضد الأرواح الشريرة سواء كتبوها أو تفوهوا بها ٠

وأحيانا كان الطبيب أو الصيدلى فى ذلك الوقت لديه أنواع من الأدوية على هيئة حبوب أو سفوف أو أشربة أو خلافه والتى كانوا يدعون أنها قد أعطيت لهم كنوع من الهدية أو المنحة من رئيس الأرواح السماوية أو نوع من الجان أو أحد من أطبائهم المعالجين أو مساعديهم من الأطباء الروحانيين ثم يداوون بها المرضى ٠

وهذه الطريقة لازالت تستخدم فى العديد من القرى المصرية بواسطة أشخاص ليست لهم دراية بالطب ولكن يدعون الاتصال باطباء من الجان يصـــفون العلاج ويباشرونه على المرضى مباشرة

(*) Magician and Leech ; by W.R. Dawson, London, 1929.

أو يرسلون أدوية من السماء لكى يتعاطاها المرضى ولقد شفى بعض المرضى على الرغم من تكذيب الكثيرين لذلك ٠

ولقد اتصلت الصيدلة بالكيمياء منذ عصور بعيدة وذلك للعلاقة الوثيقة بينهما من ناحية استخداماتهما سويا فى التركيبات العلاجية لمختلف الأمراض ٠

وكذلك فان دراســـة الأدوية والعقاقير كانت دائما متداخلة بالمبادىء والنظريات الكيميائية والتى كان العلماء القدماء قد وضعوها وذلك لدراسة مختلف أنواع العناصر والمواد فى الطبيعة ٠ واحدى هذه النظريات التى كانوا يعتقدون فيها بشدة كانت تلك المتعلقة بتكوين الكون وتركيبه من أربعة عناصر هى الأرض والهواء والماء والنار ٠ ولقد نقل ابقراط هذه النظرية وساندها بشــدة وظلت سائدة فى عقول جميع العلماء مرورا بالعالم الاسلامى وحتى أوروبا فى القرن الخامس عشر الميلادى (*) ٠

ولم يقتصر اقتباس الاغريق القدماء على هذه النظرية فقط ، بل نقلوا الى بلادهم الكثير من النظريات العلمية التى كان للمصريين القدماء الفضل الاول فى ابتداعها ولكن بسبب حب الاغريق الشديد للفلسفة والتأمل فان هذه النظريات المنقولة أساءوا تفسيرها وبذلك حادت عن أساسها العلمى السليم وانتهى بها الأمر الى أن نهاياتها اختلفت عن بداياتها ٠

وفى نطاق المعلومات العامة عن الحياة والعلوم عند قدماء المصريين فانها كانت تتراكم ببطء عندهم كمـا كان تبويبها يسير فى غـير اتجاهها السليم ولكن بمرور الوقت أمكن لبعض المتعلمين منهم أن

(*) Hippocrate, L'Ancienne medicine, Paris, 1948.

يستفيدوا بدرجة كبيرة وملحوظة من هذه المعلومات المتراكمة وذلك من خلال تجاربهم العديدة واستخدامهم لها باسلوب متميز ومتطور ادى فى النهاية الى حسن التعامل مع مختلف أنواع وأجزاء النباتات والحيوانات والمعادن وكذلك كيفية الاستفادة من الأدوات الخاصة فى انتاج مركبات فى آخر الأمر لها فائدتها العلمية والعلاجية وكذلك كيفية استنباط طرق التحضير الكيميائية المختلفة • وبهذا أمكن فى النهاية ارساء الأسس الصحيحة والسليمة لتحضير هذه المركبات والتى هيأت للأجيال القادمة وللبلدان المتاخمة لمصر الاستفادة الكاملة من هذه المستحضرات •

وبمرور الوقت أصبح المسرح مستعدا لاستقبال أول عشاب على الأراضى المصرية فى عصور سحيقة القدم ونما معه فن استخدام الأعشاب فى الأغراض العلاجية • وازداد عددهم باطراد نتيجة ازدياد الاهتمام بين المرضى بهؤلاء الرجال وعلومهم التى كان لها الفضل فى تخفيف آلام البشر وبالتالى أحس هؤلاء العشابون بمدى مكانتهم العالية بين طبقات الشعب ومدى تقديس الناس لمهنتهم وشاعت بين العامة الأقاصيص عن أن هؤلاء العشابين قد أخذوا هذا العلم عن أساتذة لهم من آلهة السماء والتى علمتهم الخواص العلاجية لمختلف الأعشاب والحيوانات والمعادن (*) •

وظل هذا الاعتقاد سائدا لآلاف عديدة من السنين واحتكرت بعض العائلات هذه المهنة المقدسة والتى توارثوها عن أجدادهم وحفظوها عن ظهر قلب بدون أى كتابة لكى لا تتسرب هذه المعلومات المدونة الى عامة الشعب فيسيئوا استخدامها • وعندما أصبحت الكتابة منتشرة بين العديد من الطبقات ، لجأت هذه العائلات الى كتابة كل تلك المعلومات العلاجية المهمة على أوراق البردى أو الجلود أو أية صحائف صالحة وذلك لكى لا يساء فهم هذه المعلومات أو تفقد

(*) ... Chronicles of Pharmacy ; by Wooton.

أو تذهب فى طى النسيان بعد وفاة هؤلاء الكبار واندفعوا بحماسة شديدة الى تدوينها بكل التفاصيل والتجارب التى عايشوها وثبتت فائدتها العلاجية . وبذلك أصبحت فى النهاية أول خطوة نحو تبويب النباتات وخواصها الطبية متضمنة كل ما يمكن استخدامه من أجزاء الحيوانات والمعادن . ويعتبر هذا الانجاز العلمى البدائى أول لبنة فى بناء صرح العلوم الصيدلية والعلاجية الحاضرة . ولقد أثرت هذه البدايات فى عقلية الاغريق القدماء الذين عملوا - أثناء تعليمهم فى المدارس المصرية القديمة - على نقلها الى بلادهم وبنوا عليها حضارتهم والتى ازدهرت على أيدى هؤلاء العلماء العباقرة من أمثال أبقراط (Hippocrates) وديوسقوريدس (Dioscorides) وجالينوس (Galen) وغيرهم . ولقد انتقلت هذه العلوم الى الرومان فى ترجمتها اللاتينية وبذلك انتشرت فى دول أوربا مع الفتوحات الرومانية .

ولقد تبع ذلك انتقال كافة العلوم المصرية مثل الطب والكيمياء والفلسفة والفلك والرياضيات وغيرها الى أوروبا بنفس الطريقة .

ولقد اعتقد المصريون القدماء بان النباتات الطبية وعصائرها الداخلية عبارة عن هبة الهية من السماء وأن بعض هذه النباتات كانت تحتوى على أجزاء من روح الاله . ولقد استغل الكهنة هذا الاعتقاد بذكاء بالغ نتيجة تأثيرهم الدينى على العامة وبدءوا فى علاج المرضى بواسطة هذه النباتات والعقاقير المستخرجة منها مستخدمين الصلوات والأدعية لزيادة تاثيرها النفسى عليهم (*) .

ولقد زاد نفوذ هؤلاء العشابين باضطراد مستمر بمرور الوقت وبذلك تم لهم احتكار صناعة العطور كذلك ولقبوا أحيانا كثيرة بالعطارين .

(*) Four Thousand Years of Pharmacy ; by Charles H. Lawall.

ولقد داوم الاغريق القدماء وبخاصة فلاسفتهم على مدح مهارة العشابين المصريين والتى اكتسبوها عبر تاريخهم الطويل قبل بداية عهود الأسرات والتى أثبتت صحتها تلك المعلومات القيمة التى ورد ذكرها فى مختلف البرديات الطبية المصرية والمكتشفة فى القرن التاسع عشر الميلادى ·

ولقد طبع المصريون القدماء على حب العلم والمعرفة بالاضافة الى دأبهم المتواصل للبحث عن الحقيقة · فقد عمدوا الى بناء ـ داخل كل معبد ـ نوع من الأكاديمية العلمية او جامعة تضم مدارس عدة وتختص كل منها بتعليم وتدريس نوع من العلوم المتعارف عليها فى ذلك الوقت مثل مدرسة للطب وأخرى للصيدلة وثالثة للكيمياء ورابعة للهندسة ···· وغيرها فى الفلك والفلسفة والتاريخ وكانت تلحق بكل واحدة من هذه الجامعات مكتبة ضخمة تحتوى على كل المؤلفات والمراجع العلمية فى كل العلوم التى تدرس والتى اعتقدوا اعتقادا راسخا بأنها علوم مقدسة علمها لهم الاله تحوت بنفسه · ولا تزال بعض بقايا هذه المدارس ترى فى آثار الوجه القبلى · ولقد نقل نظام هذه الأكاديميات المصرية علماء وفلاسفة الاغريق القدماء الى بلادهم وطبقوها حرفيا هناك وانشأوا مثيلاتها فى بعض من مدنهم الكبرى ثم عندما أنشئت مدينة الاسكندرية وجامعتها الشهيرة التى نظمت على غرار هذه الأكاديميات الاغريقية نسى الناس أنها فرعونية الأصل متخلفة برداء الاغريقية من ناحية التدريس باللغة الاغريقية وليس بالمصرية القديمة ·

كذلك اعتقد المصريون القدماء اعتقادا راسخا فى النظرية التى ابتدعوها والقائلة بان الآلهة تتحكم فى العناصر الأربعة التى يتكون منها العالم وهى : الاله رع (RA) مختص بالنار والاله شو (SHOU) مختص بالهواء والاله سب (SEB) بالأرض والاله اوزيريس (OSIRIS) بالماء · وانتقلت هذه النظرية الى الاغريق ، واعتنقوها

بعد تغيير أسماء الآلهة المصرية الى آلهة اغريقية ومن بعدها انتقلت الى العلماء المسلمين • وكان اعتقاد المصريين بأن الاله أوزيريس هو الذى علمهم الزراعة والتعدين والآداب والحكمة ويساعده فى ذلك الاله تحوت الذى كان مسئولا عن تعليمهم العلوم والمعادن •

كذلك اعتقدوا فى أن نهر النيل وفيضانه السنوى وما يسبقه من رياح الخماسين فى الصيف والمحمل بالتراب والرمال الساخنة القادمة من الصحراء مسئولون عن اصابتهم المنتشرة بالأمراض ـ وهم الى حد ما على صـــواب ـ وساعد ذلك الاعتقاد على تقدم وازدهار العلوم الطبية والصيدلية وخاصة فى مجال الصحة العامة والنظافة •

ومن الآلهـــة المهمة لدى المصريين القدمـــاء فى مجـــال رعاية العشـــابين فى اعتقـــادهم هم : أوزيريس ـ ايزيس ـ تحوت ـ أنوبيس ـ رع ـ حاتجور ـ خونسو ـ سخمت ، وفى عصور تالية أمحوتب وغيرهم • ويعتقد بعض المؤرخين بأن هؤلاء الآلهة كانوا أثناء حياتهم الأرضية معالجين مهرة محترفين فى عصور بالغة القدم فى مصر وبعد وفاتهم رفعهم الخاصة الى مرتبة ومصاف الآلهة عرفانا بفضلهم على تقدم العلوم والعلاج أثناء حياتهم وبخاصة الكهنة الذين اتبعوا طريقتهم فى العلاج ونشر العلوم • وحذوا بذلك حذو الملوك الفراعنة الذين اشاعوا بين عامة الشعب أنهم أبناء الاله رع اله الشمس أو الاله بتاح أو فى عصور الدولة الحديثة أبناء الاله آمون وذلك لكسب احترام وقداسة الشعب لهم •

وتعتبر علوم الفراعنة الطبية والصيدلية فى نظر أبناء هذا القرن علوما متقدمة وحقيقية وليست قطعا متناثرة من المعلومات كما يحلو لبعض المؤرخين القدماء الأوروبيين اضفاء هذه الصفة عليهم ، ونرى ذلك فى فكر البعض الذى نادى بأنها كانت متوارثة منذ عهود طويلة بالغة القدم وكانت تدرس فى مدارس خاصة مثل تلك المدرسة الخاصة بالعشابين ـ الصيادلة فى مدينة آنو (هليوبوليس عند

الاغريق وعين شمس حاليا) ومدرسة للطب تجاورها وذلك قبل عهد الأسرات وظلتا تزاولان نشاطهما خلال آلاف طويلة من السنين والى ما بعد فتح العرب لمصر فى عام ٦٤١ م ولكن بدرجة أقل نظرا لوجود مدرسة الاسكندرية الجامعة (*) ٠

ولقد ذكر هيرودوت بأن تلك المدارس كانت تخرج أفواجا من المتخصصين الدارسين فى كل مجالات العلوم ومنها النواحى الطبية مثل الأطباء والجراحين وأطباء الجيش والبيطريين وأطباء الأسنان والعيون والمعالجين الروحيين ومتخصصى التحنيط وكذلك العشابين الصيادلة وهذا كاف لاثبات ـ ضمن الاثباتات الأخرى المتعددة ـ وجـود تخصصات مهنية وبخاصـة فى النواحى الطبية منذ الأيام الأولى للحضارة المصرية القديمة ٠

وبالنسبة لأقدم تخصص منها فى ذلك الوقت أعنى الصيادلة فقد كانوا يعرفون حق المعرفة الخواص المتعددة والكثيرة لمختلف النباتات الطبية ومحتوياتها من المواد الفعالة العلاجية وكذلك لفن تحضير الأدوية المستخرجة منها والمعلومات العلاجية والشفائية لكل منهـا ٠ ولهؤلاء جميعا تدين الصيدلة الحديثة لهم ولأعمالهم الريادية والتى يعترف بها العالم اليوم وبأنهم كانوا سادتها ٠

والصيدلة فى مصر القديمة كانت تعتبر من العلوم الرئيسية المهمة فى حياة شعب تلك الأيام تسـاندها تلك البرديات الطبية المكتشفة فى القرن الماضى والتى أثبتت بجلاء واضح أن الأطباء كانوا يرسـلون تذاكرهم الطبية الى الصيادلة فى ذلك الوقت فى معبد ايزيس الذى كان له شهرة واسعة النطاق فى جميع أنحاء البلاد وذلك نظرا للمهارة الفائقـة لهؤلاء الصـيادلة فى تركيب مختلف محتويات التذاكر الطبية من العقاقير وكذلك لأنواع الأرواح السماوية

(*) History of Medicine ; by H. E. Sigerist, New York, 1951.

والتى كانت متخللة فى ثنايا هذه النباتات الطبية حسب الاعتقاد الكلاسيكى المتوارث لهم والذى كان فى حقيقة الأمر شيئا لا يؤثر أبدا ولا يؤخر أو يقدم فى طريقة تحضير تلك التذاكر • وظلوا يمارسونها بطريقة روتينية بواسطة أنواع وأنماط متعارف عليها من الأدعية والابتهالات وهذا لا يزال متوارثا عند المصريين الى يومنا هذا عندما نهم ببدء ممارسة عمل شيء مهم أو لطلب مباركة الله أو أحد الأولياء الصالحين حين نبسمل «(بسم الله الرحمن الرحيم)» أو نقول على بركة سيدى شيخ العرب أو احدى سيدات بيت آل النبى أو أحفاده وكذلك عند ابتهال الأقباط المسيحيين والاستعانة بأحد الملائكة السماويين مثل القديس مار جرجس أو احدى القديسات مثل القديسة تريزا أو كاترين •••••• وغيرهم •

ولقد ذكر العالم الفيلسوف بلينى (Pliny) بأن هؤلاء الصيادلة الأوائل كانوا من مؤسسى ورواد فن العلاج ومكتشفى خواص الأدوية العلاجية • وكذلك اعتبروا أن ما اكتشفته الالهة ايزيس من مختلف أنواع الأدوية والعقاقير لشفاء وازالة الآلام فى مختلف أعضاء جسم الاله أوزوريس وأمراضه المتعددة أصبحت بعد ذلك هى أساس الصيدلة المصرية القديمة والكنز الثمين للصيادلة فى مختلف العصور الفرعونية •

وذكر هيرودوت كذلك بأن الصيادلة والأطباء فى تلك العصور الغابرة كانوا يزاولون مهنهم بدون أن ينافس أحدهم الآخر فى تخصصاته بالرغم من أنهم قد تلقوا نفس التعليم والثقافة الدينية بدرجة مماثلة •

ومن النباتات الطبية التى كانت مقدسة عند المصريين القدماء والتى كانت لها صلة بالآلهة السماوية لديهم : نبات العليق (Convolvulus) وكان يسمى نبات أوزيريس ونبات رعى الحمام (Verbena) باسم دموع ايزيس والزعفران (Saffron) باسم

دم تحوت والعنصـــل (Squill) باسم عيون تيفون ....
وغيرها (*) .

وكانت بعض الأدوية والعقاقير عند صيادلة مصر القديمة تجلب من البلاد المجاورة لها مثل الشام وبلاد ما بين النهرين وجزيرة العرب والصومال وغيرهم مما يدل على مدى اهتمامهم بكل ما تحويه المملكة النباتية من أعشاب تفيد فى علاج مختلف الأمراض أينما كانت .

ولقد برع هؤلاء الصيادلة فى استنباط مختلف الطرق العلمية لتحضير كافة الأنواع والمركبات العلاجية مثل المنقوعات والخلاصات والمحاليل والمراهم والمروخ واللبخات والحبوب وغيرها مستخدمين كل ما هو معروف لديهم من معـدات وآلات وأوان للحفظ والتى كانت تصنع من الخشب أو الحجر أو الزجاج أو المرمر أو العاج أو أية مواد أخرى . ولقد جاهدوا طويلا فى محاولة اكتشاف حجر الفلاسفة (والذى اعتقدوا أنه فى استطاعته تحويل المعادن الرخيصة مثل الرصاص أو القصدير الى المعادن الثمينة مثل الذهب) . وكذلك فى محاولة تحضير اكسير الحياة (والذى كانوا يأملون أن يكون له فائدة جمة فى اطالة الحياة) . وهذه النظريات وغيرها عمد الاغريق كذلك الى نقلها بدقة الى بلادهم وكذلك فعل العرب .

وكان من الطبيعى أن يكون تطـور الصـيدلة يسـبق تطور الجراحة وبالتـالى يسبق الطب ، وذلك بسبب المعتقـدات الدينية بخلود الروح التى تحكم هذا التطور وكذلك بسبب تقديس الجسد الانسانى واهمية الحفاظ عليه الى أن تعود الروح اليه ثانية فى يوم معهود . ودفع ذلك التقديس جماهير الصيادلة الى البحث المطرد المتواصـــل لاكتشاف طرق متعددة للحفاظ على أجســاد الموتى

(*) Studies in Ancient Materia Medica ; by Warner R. Dawson, 1925.

مستخدمين أنواعا متعددة من الأعشاب واستخراج مواد منها تساعد على حفظها من الفســـاد • ولذلك أصبح فن التحنيط عند قدماء المصريين من الأهمية القصوى لديهم ووصل الى درجة عالية من التطور الى درجة أنهم استطاعوا حفظ تلك الأجساد المتوفاة لآلاف السنين • وبهذه الطريقة أيضا استطاع الجراحون أن يحصلوا على معلومات فى غاية الأهمية بالنسبة الى تركيب وتشريح أحشاء الجسد الداخلية والتى مهدت الطريق لهم الى جراتهم فى اجراء العمليات الجراحية المختلفة •

ولقد وصلت الصيدلة فى زمن الفراعنة الى مرتبة عالية تجاوز تلك التى وصل اليها علم الكيمياء ، ولقد أدت الخبرة الطويلة التى توصلوا اليها الى اكتشاف العديد من المعادن الكيميائية والخامات الأولية والتى عمدوا الى استخدامها بمهارة فائقة فى الصناعة مثل الصباغة والدباغة والزجاج والصابون والسبائك •••••• وغيرها وهذه المعرفة سرعان ما انتشرت فى جميع البلدان المجاورة لمصر الى درجة أن الاغريق دأبوا على تسمية هذا النوع من الصناعة العلمية باسم الكيمياء (Chemia) والتى كانت تعنى الفن المصرى نسبة الى اسم كيمْيى (Kemi) والذى يعنى بالمصرية القديمة الأرض السوداء نسبة الى أرض مصر الداكنة اللون والتى كانت تسمية قديمة للدولة المصرية •

ومن المؤسف انه أمكن معرفة عدد قليل من النباتات والمعادن والتى كان يستخدمها المصريون القدماء بينما ظلت الغالبية العظمى منها مجهولة الاسم لنا لأن الصيادلة فى ذلك الوقت كانوا يسمون عادة ــ على سبيل السرية الشديدة ــ معظم النباتات بأسماء مستعارة لكيلا يعرفها العامة •

ومما يسترعى الدهشة أن طرق تحضير العقاقير أيام مصر القديمة تماثل بدرجة كبيرة تلك التى نعرفها فى العصور الحديثة ،

فقد كانوا أول من حضر لبخة تحتوى على أكسيد الرصاص وكذلك حقنة شرجية مهدئة تحتوى على منقوع من ثمرة الخشخاش وغسولا مهبليا مكونا من منقوع بعض الأعشـاب فى لبن بقرى ······· وغيرها (*) ·

وكانوا على دراية كافية بطرق تحضير اللعوقات والغرغرات لعلاج التهاب الحلق واللســـان وأول من عرفوا خواص المسهلات المتعددة وكانوا يعمدون الى تصنيفها فى مجموعات حسب طبيعتها وفاعليتها · كذلك كانوا أول من استخدم المواد العطرية والمراهم العطرية كوسيلة لازالة الروائح الكريهة الصادرة من جسم الانسان وصنعوا منها أحيانا حبوبا تلعقها السيدات لاضفاء رائحة عطرية لافواههن وذلك بعـد الوجبـات وكانت مكونة من المـر ولبان الذكر والمصطكى والينسون وغيرها مخلوطة مساحيقها مع العسل ·

أيضا ولع المصريون القدماء بمستحضرات التجميل وبخاصـة العطور والتى ذاعت شهرتها فى كل مصر والبلدان المجاورة لها التى اعتادت شراء كميات هائلة من هذه المنتجات لتباع فى بلادهم بأسعار عالية للغاية لا لشيء الا لأنها صنعت فى مصر · واعتاد المصريون صنع نماذج من التماثيل للآلهة المقدسة من أنواع عالية من البخور العطرى ومن أشهرها بخور « كيفى » الفرعونى الذائع الصيت حتى عند الاغريق والرومان ·

وكان هناك لديهم أخصائيون لتحضير مختلف أنواع الأدوية والعطور والمراهم ··· وغيرهم كما هو مذكور فى عهد الملك بيبى (٢٢٠٠ ق·م) والذى أنشأ وظيفة خاصـــة فى الدولة سماها « المشرف على العطور » ويشغلها الرجال بالرغم من ان بعض شاغليها

(*) Histoire de la pharmacie ; by Andre Pointier, Paris, 1900.

من النساء ذوات الخبرة والشهرة الكبيرة مثل السيدة « هيتيس » (Henes) كما هو مذكور على جدران مقبرتها فى صحراء الجيزة (*) ٠

كذلك كانت هنـــاك وظيفــة تسمى « المشرف على المراهم » وترأسها امرأة وذلك أثناء عصر الأسرة السادسة (٢٤٠٠ ق٠م) ٠ اما أثناء الأسرة الخامسة وما قبلهـا فقد كان هناك صيدلى مسئول عن تحضير الحبوب المقوية والتى كانت تعطى للملوك خلال احتفالات عيد « حب سـد » بمناسبة مرور ثلاثين عاما على اعتلاء كل ملك عرش مصر ٠

كما استخدم المصريون القدماء زيوت الشعر بكميات كبيرة مثل ذلك الزيت المشهور والذى كان يصنع منه كميات هائلة لاستعمالها فى القصور الملكية وخاصة للنساء ولذلك سمى بالزيت الملكى وهناك ذكر لدهان للشعر كان مشهورا لعلاج الصلع وتســـاقط الشعر الجزئى مصنوع من دهون مختلف أنواع الحيوانات والطيور ٠

واشتهرت كليوباترة خاتمة ملوك الأسرة البطلمية فى مصر بحبها الشديد للكريمات والدهانات للوجه والشعر وكذلك لجلد البدن كله ومختلف أنواع العطور ولقد اكتشفت عدة أوان جميلة لحفظ هذه العطور فى الاسكندرية ترجع الى تلك الفترة والتى تعطينا فكرة كبيرة عن أهمية تقدم تلك الصناعة من فروع الصيدلة أيام مصر القديمة ٠

وعمد الكثير من ملـوك مصر القديمـة الى جلب العـديد من الأشجار والنباتات العطرية من البلدان القريبة لمصر والبعيدة عنها مثلما فعلت الملكة حتشبسوت (١٤٠٠ ق٠م) حينما استوردت من بلاد بونت (حاليا الصومال وعدن) الكثير من الأعشاب والنباتات العطرية ومن بينها ثلاثون شجرة من أشجار المر والتى زرعتها فى

(*) History of Pharmacy ; by E. Kremers. & G. Urdang, London.

حديقة معبدها الدير البحرى غرب طيبة (الأقصر حاليا) وجلب ملك آخر حكم بعدها بسنين طويلة أشجارا عطرية مختلفة من بلاد سيلان وسومطرة خلال بعثات بحرية أرسلها للتجارة .

ويعتبر فن العلاج والشفاء شيئا طبيعيا فى حياة كل شيء حى أما بالنسبة للانسان فقد كان شيئا ضروريا لبقائه . فلقد عمد انسان ما قبل التاريخ الى لعق جروحه بواسطة لعابه كمادة مطهرة لها ومانعة للنزف أو وضــع بعض الأوراق الشجرية على القطوع الجلدية لوقف النزيف الدموى . أو يمضغ بعض أوراق الأعشاب التى يعرف أنها مضادة للسموم ثم يغطى بها جروح جسده والتى سببتها السهام السامة التى كان يصاب بها أثناء عراكه مع الآخرين وأحيانا يبتلع تلك الأوراق بعد مضغها لزيادة فائدتها .

هذه العمليات البسيطة كانت نتيجة ملاحظات انسان ذلك العصر والتى وجد أن الحيوانات تتبعهــا غريزيا لعلاج أمراضهــا واصاباتها أثناء عراكهم مع بعض .

هذه الملاحظات الذكية التى جمعها الانسان فى ذلك الحين عن خواص بعض النباتات العلاجية والشافية دفعت بعض الأذكياء منهم الى تدوينها لاستعمالها كلما احتاجوها فى علاج المرضى .

ولقد حدث فى عصور ما قبل الاسرات أن الطبيب كان يدهن كل جسمه بلون أحمر وذلك لكى يكسب احتراما كبيرا وخوفا عظيما من المرضى وكان يمسك فى يده عصا طويلة مدعيا أنها تحمل قوى سحرية عظيمة ولها صفات علاجية مؤكدة .

كذلك ذكر هيرودوت بأن المصريين القــدماء اهتمــوا بدرجة كبيرة بصحتهم فكانوا يأكلون غذاء مختارا صحيا واعتادوا تناول المسهلات كل شهر لمدة ثلاثة أيام متتابعة واستخدام حقن شرجية لتفريغ ما فى أمعائهم بغرض النظافة الصحية . وكذلك اهتمــوا

بنظافة أجسادهم من الخارج حيث اعتادوا الاستحمام عدة مرات يوميا وخاصة قبل الأكل والنوم · واعتادوا كذلك ارتداء الملابس البيضاء المصنوعة من الكتان وأحيانا من القطن فى العصور اللاحقة ·

وكان شاغل الكهنة الأطباء والمشرفين الصحيين الشاغل هو الوقاية من الأمراض كجزء مهم ومقدس من تعليمهم الدينى ، ولهذا اتبع الكهنة نظاما صحيا صارما طبقوه على عامة الشعب وأصبح تقليدا موروثا لديهم يتناقلونه جيلا بعد جيل ·

ويعتبر العلاج فى مصر القديمة من أقدم فروع الطب والذى ظهر حتى قبل بداية تعلم تشخيص الأمراض وذلك لأن الاحساس الداخلى للانسان والذى يدفعه الى ايجاد أية وسيلة ممكنة لمحاولة تخفيف آلام الآخرين جعله يبحث عن أية طريقة ممكنة للعلاج وكانت احدى هذه الوسائل هى البحث عن ما يحتفظ به فى جعبته من أعشاب طبية والتى التقطها من الحقول لاستخدامها وقت الحاجة · وكان العشابون القدماء دائبى التجوال فى الحقول والصحارى ملتقطين الأعشاب الطبية والتى أخبرهم بفاعليتها العلاجية العديد من الأهالى والتى صادفتهم فى حياتهم وكانت سببا فى علاجهم من الأمراض التى ألمت بهم · ولذلك عمدوا الى تطبيق ما سمعوه من الأهالى على المرضى الذين جاءوا اليهم بعد أن حفظوا عن ظهر قلب كل طرق تحضير العقاقير من هذه الأعشاب · ولقد دون العشابون هذه التركيبات فى أوراق خاصة بهم احتفظوا بها فى مخازنهم لاستعمالها وقت الحاجة وهذا يدل على أن البحث عن المعرفة وخاصة فى علاج الأمراض كان شيئا لا يدعو الى الخجل بالنسبة الى العشابين ·

ولقد صاحب العلاج فى بداياته الأولية التعاويذ السحرية والأعشاب الطبية الى أن أمكن التعرف على المعرفة الصحيحة

للامراض والتى أثبتت أن المرض هو شيء محسوس نتج عن تغيير جسمانى فى أعضاء الجسم ٠

وكان تعلم الصيدلة وعلم المادة الطبية منتشرا فى مصر القديمة عن طريق الكتب المشهورة والتى كانت تتداول بين الأيدى وبين الأجيال المتعاقبة الى أن وقع بعضها فى أيدى الاغريق القدماء الذين قدموا الى مصر للتعلم فى المدارس المصرية المختلفة فاستفادوا بما فى هذه الكتب من معلومات مهمة ونقلوها الى بلادهم حيث طبقوها بكل دقة مما أدى الى تقدم العلوم الصيدلية والطبية هناك بدرجة كبيرة ٠ وقد استفاد كذلك من هذه الكتب العلمية المصرية الكثير من طلاب البلدان المجاورة مثل بلاد ما بين النهرين (آشور وبابل) ولكن بدرجة أقل ٠

ولامكان فهم خطوات العلاج عند المصريين القدماء فاننا نجد أنهم كانوا مشبعين بالتعاليم الدينية والتى أسهمت وأثرت كثيرا على احساسهم وتعلقهم بالمعتقدات الروحية والخرافات وأن فن الملاحظة العلاجية فى البداية كان غير ناضج بدرجة كافية وأن النتائج التى ترتبت عليها لم تكن مرتبة ومنسقة بدرجة صحيحة تماما ٠

وكان فى اعتقاد المصريين القدماء كذلك بأن الاله تحوت قد نظم ـ حسب ما ورد فى المخطوطات والبرديات العلمية الفرعونية ـ اجتماعا للعلماء والكهنة تم فى أحد المعابد والذى نتج عنه تكوين مدرسة جامعة للعلوم ٠ وعزا الناس اليه فضل اختراع الكتابة المصرية ولغتها وكذلك الرياضيات والحساب والفلك والموسيقى والدين والرقص والرسم والنقش والرياضة وكذلك العلوم خاصة الطب والصيدلة والكيمياء وغيرهم ٠ وأرجعوا أيضا الى هذا الاله كتابة الكثير من الكتب والمراجع فى مختلف العلوم تزيد عن ٤٢ كتابا منها ستة كتب مخصصة للطب والعلاج الأول منهم عن التشريح والثانى عن الأمراض والثالث عن الآلات الجراحية والرابع عن

العقاقير والأدوية والخامس عن طب العيون والسادس عن أمراض النساء ٠

وبهذا التخطيط الواضح يظهر لنا أن من أهم فضائل المصريين القدماء قيامهم بتنظيم العلوم لديهم على أسس علمية مرتبة والتى ساعدتهم على الحفاظ على مدنيتهم الخالدة طوال آلاف كثيرة من السنين ٠

وكان فرعون مصر حسب التقاليد المقدسة الموروثة يحتل فى الوقت نفسه منصب الرئيس الأعلى للكهنة وأحيانا كان يعين شقيقه أو أحد أمراء العائلة الملكية بدلا عنه وكان يعين فى منصب رؤساء الأطباء والصيادلة فى الدولة من أعضاء العائلة الملكية والذين كانوا فى الأصل كهنة للاله المقدس لديهم والمعبود العام للشعب ٠ وظل هذا النظام يعمل به طوال العصور الفرعونية والى بداية الأسرة البطلمية حيث أصبحوا من الاغريق ٠ وكان من المتبع أيضا أن أكثرية المشتغلين بالطب والصيدلة ليس من المحتم أن يكونوا أصلا من طبقة الكهنة ولكن كان عليهم أن يعملوا طبقا للتعاليم والقوانين الواردة فى كتب ومراجع مهنتهم والخاصة بالضوابط الصارمة للحفاظ على الأخلاق والمعاملات بينهم وبين العامة ، فى حين أن أولئك المهنيين ذوى التعليم الدينى كانوا يتصرفون طبقا لما تعلموه من الأخلاق الدينية القويمة ٠

ولقد ذكر هيرودوت أن أطباء مصر القديمة كانوا لا يملكون حرية التصرف فى اختيار العقاقير لعلاج المرضى لأنهم كانوا مقيدين بوصف تلك الأدوية المذكورة فى مراجعهم العلاجية المقدسة فقط وذلك راجع الى اعتقادهم الراسخ فى أنها مرسلة من آلهة السماء ولهذا فقد كانت عقوبة مخالفة تلك القوانين الصارمة تصل الى حبس الطبيب أو قتله ٠

ولكن أرسطو ذكر بأن هؤلاء الأطباء كانوا يعطون الحرية فقط فى اختيار علاج آخر فى حالة عدم تحسن صحة المريض خلال أربعة الأيام الأولى من بدء العلاج ٠

وكثيرا ما حدث عندما فشل العلاج بواسطة العقاقير الطبية فى شفاء الأمراض أن اضـطر المرضى الى استدعاء الساحر والذى اعتاد أن يحمل معه فى حقيبته العديد من الكتب السحرية المملوءة بالأدعية والتعاويذ ، بالاضافة الى صندوق به بعض الأعشاب الطبية سواء كانت فى حالة جافة أو طازجة وكذلك بعض الطين والشمع والحبر الأسود والأحمر الذى اعتـاد استخدامهم فى اعداد بعض التماثيل الصغيرة ثم يكتب عليها بعض الكلمات والرسوم السحرية مع التمتمة ببعض الأدعية المناسبة لمرض الشخص ٠ وأحيانا أخرى كان الساحر يصنع خليطا من الطين والأعشاب ثم يقرأ عليها بعض التعاويذ السحرية من كتابه المقدس بصوت خافت ثم يأمر الأرواح الشريرة التى سببت هذه الأعراض المرضية السقيمة بأن تغادر جسد المريض مع تهديدها بأن الجسد قد أصبح تحت حماية الآلهة الحافظة السماوية والتى سوف تنزل بهذه الأرواح أشد العقاب فى حالة عدم اطاعة أوامر هذا الساحر ٠

وكان السحر يدرس فى مدارس خاصة ويقبل تلاميذها بعد اجتيازهم اختبارات عديدة طويلة وشاقة وذلك لكى تجعل أرواحهم صافية وتقوى عندهم خاصية مقاومة رغبات الجسد مع اتباعهم نظاما صارما للتغذية خاليا من المأكولات الحلوة وفقط من أصل نباتى ٠

وهذه المدارس كانت تعرف باسم « بيوت المعرفة » وكانت تحت حماية ورعاية الاله تحوت ، اله القمر فى مدينة هيرموبوليس (الآن الأشمونين فى محافظة أسيوط) لاعتقادهم الراسخ بأن هذا الاله هو أول من ألف الكتب العلمية عن السحر وأسراره الخفية وكانت هذه المدارس لهـا مكانة مقدسـة فى نفوس جميع طبقات

الشعب ، والخرط في سلكها العديد من أمراء الأسرة المالكة والنبلاء (*) .

وكان هؤلاء السحرة يبدءون عملهم بتلاوة بعض التعاويذ الروحية لمعرفة نوع هذه الروح الغريبة الوافدة على جسد المريض ثم يعاودون تلاوة تعاويذ أخرى لطردها ، ثم يصفون بعض الأعشاب المقوية ليتناولها المريض في فترة النقاهة الى أن يستعيد جسده لقواه الطبيعية ·

ولقد دأب السحرة طوال تاريخ مصر القديم سواء قبل عهد الأسرات وأثنائها على علاج جميع الأمراض التى تصيب جسد الانسان والتى فشل الطب فى علاجها بوسائله التقليدية حيث انها متسببة عن احتلال روح المريض وجسده بروح شريرة أحدثت هذه الأعراض المرضية ولا تفيد فى علاجها الأعشاب الطبية ومستحضراتها لأنها تعجز عن طرد هذه الأرواح الشريرة · وكانت وسيلة الساحر العلاجية هى التمائم السحرية والحبال وبعض الجرار الصغيرة المحتوية على بعض الأعشاب الطبية (وكانت التمائم بما تحمله من كلمات سحرية كافية لصد أية روح شريرة تريد احتلال جسد الانسان وهذا صحيح الى حد كبير بالرغم من تكذيب جموع الأطباء لها فى العصور الماضية وحتى الآن لأنهم لم يتعلموا أن هناك شيئا اسمه الأرواح بخلاف جسد المريض ولهم عذرهم لأنهم لم يروها بعيونهم ولكن الله خص بعض بنى الانسان بموهبة خاصة لرؤية هذه الأرواح واعطاهم القوة على طردها وتخليص الجنس البشرى من سيطرتها على الانسان) ·

وأحيانا كان الساحر يلجأ الى تلاوة بعض التعازيم السحرية بسرعة كبيرة على بعض التمائم ثم يثبتها على ملابس المريض فوق

(*) A History of Magic & Experimental Science ; by Lynn Thorndike.

منطقة القلب ثم يلف حبلا مرخيا حول الجسد ويترك المريض لمدة يوم وليلة داعين الاله آمون (أو أى اله محلى آخر) أن يستمع الى نداء الساحر وبذلك يتم له طرد الأرواح الشريرة الى الأبد ٠

وهنا نتساءل ٠٠ لماذا عمد المصريون القدماء الى اللجوء الى السحر وطقوسه فى حالة عدم استطاعتهم علاج بعض الأمراض التى لم يكن فى مقدورهم ايجاد سبب لهـا فى حين أنهم كانوا عمالقة الجراحة بغير منازع ؟ قد يكون الجواب بأنه فى عصور ما قبل عهد الأسرات كان التمييز بين الساحر والطبيب عسيرا للغاية حيث انهما كانا شخصا واحدا فى أغلب الأوقات ٠ (ولهذا فعندما لم يجدوا سببا واضحا لمرض ما فان الأطباء كانوا يعزون ذلك الى احتلال بعض الأرواح الشريرة جسد المريض ٠ فهنا كان على الطبيب أن يطردهـا خارج الجسد بالتهديد بالحرق أو بالاستعانة بالعزائم والطلاسم السحرية وقوة الآلهة الخادمة لبعض التعاويذ السحرية فى حالة فشل العلاج بالعقاقير والأدوية والتى كانت معدة لاستخدامها بواسطة الساحر لفائدتها السحرية أكثر من فائدتها العلاجية) ٠

ولهذا فان الطب بمعناه الواسـع العام قد ظهر فى الحقيقة كوليـد طبيعى لممارسـة السحر ولم يختف حتى الآن من الطب لاسيما فى البلدان المتخلفة حضاريا ونجد ذلك يظهر أحيانا حينما يتمتم المرضى بأنهم يثقون فى قدرة طبيبهم على العلاج ٠

ولهذا نجد فى البرديات الطبية مثل برديتى ايبرس وهيرست Ebers, Hearst بان الطبيب كان يطارد الروح الشريرة لاخراجها من جسد المريض أو عزو المرض الى سموم عديدة نتجت من دخول هذه الروح الغريبة الى الجسد ، وعندما كانوا يجدون أن التعازيم السحرية لم تؤد غرضها المنشود فانهم كانوا يلجأون الى المنقوعات ذات الرائحة الكريهة لكى يشربها المريض فيساعد ذلك على طرد تلك الروح الغازية ، ومن أمثال تلك العقاقير الكريهـة بلع بعض

الحشرات الحية أو المهروسة أو الفرازات بعض الحيوانات · ولقد تغلغلت هذه الوصفات السحرية الى كل مناطق أوروبا عن طريق الاغريق والرومان الذين نقلوها ضمن ما نقلوه من علوم وعادات المصريين القدماء الى بلادهم والبلاد التى غزوها ، كذلك انتشرت فى البلدان الاسلامية وظهرت فى جميع كتبهم العلاجية ثم عادت وانتشرت مرة أخرى فى العصور الوسطى فى أوروبا واقتصرت حينذاك على أعمال السحر والشعوذة وظلت تمارس هناك وفى مختلف أنحاء العالم حتى الآن ·

ولقد ظهرت هذه الوصفات السحرية فى أعمال شكسبير حيث نجد فى مسرحيته الشهيرة « ماكبث » تلك الأنشودة والتى كانت أخوات ماكبث الغريبات الأطوار يتشدنها والتى نجد أنها منقولة نقلا حرفيا عن كتب السحر الفرعونية :

عين سمندل واصبع ضفدع ،
شحم خفاش ولسان كلب ،
شوكة ثعبان سام وسم دودة عمياء ،
وساق سحلية وجناح بومة صغيرة ،
وقشرة تنين وسن ذئب ،
ومومياء ساحرة ······

الى آخر تلك الانشودة المقززة ·

ولقد حدد فن السحر عند المصريين القدماء بنوعين وذلك طبقا للشعائر التى تؤدى وهما : الطقوس الكلامية والطقوس المصنوعة يدويا · وتوجد فى بعض البرديات الطبية والتى يمكن اطلاق اسم البرديات السحر ـ طبية عليها ، بعض الارشادات التى تتبع عند اقامة الطقوس المصنوعة يدويا والتى قد تسبق الطقوس الكلامية ·

وتشتمل هذه الطقوس الكلامية على تلاوة بعض الكلمات على دمية من الطين وعقد من الخرز وأنشـــوطة أو حبل معقود عـدة عقدات وقطعة من التيل الأبيض وغيرها من أشياء غريبة وبعدها تصبح هذه الأشياء مشحونة تماما بالسحر ثم توضع أو تربط على جسد المريض • وكثيرا ما يتبعه بعد فترة دواء من الأعشاب الطبية في حالة فشل هذه الأعمال السحرية •

وبعيدا عن السحر نجد أنه قد أمكن للعلم الحديث التعرف على العديد من الأمراض التى كان يعانى منها المصريون القدماء وذلك بفحص العديد من التماثيل والرسومات الحائطية والمحفورة ومن هذه الأمراض شلل الأطفال وأمراض الكساح والعيون مثل التراكوما (الرمد الحبيبى) والرمد الصديدى والبلهارسيا •• هذا المرض اللعين الذى يعانى منه الكثيرون حتى الآن • وكذلك كانت هناك أمراض الأسنان واللثة مثل التسوس والخراريج والتى كانت تعالج بواسطة أطباء أسنان مهرة •

وكان هناك أطباء للعيون وأخصائيون للأمعاء والذين كانوا يسمون « حارسى الشرج » وأطباء باطنيون ذوو معرفة تامة بأسرار سوائل الجسم •

وتحوى البرديات الطبية المكتشفة العديد من الوصفات لعلاج مختلف أمراض الرئة والكبد والمعدة والمثـانة ولمختلف الأعراض المرضية للرأس وفروتها مثل تلك الوصفات لعلاج سقوط الشعر أو الشعر الرمادي • وكذلك لعلاج الروماتيزم والالتهابات المفصلية وأخرى لعلاج أمراض النساء •

ولقد انتقلت معظم هذه الوصـفات الى بـلاد أوروبا بواسطة العلماء الاغريق الذين تعلموا فى مصر أمثال بلينى وديوسقوريدس وجالينوس وغيرهم • وكتابات هؤلاء كانت بمثابة سلم الحضارة الذى ارتفعت عليه مختلف العلوم وازدهرت فى أوروبا وبنت عليها

أسس الحضارة التي تتغنى بها اليوم . ويعود الفضل الى مصر القديمة في تعريف العالم فحوى العلوم الطبية وأساسياتها وكذلك الفحص التشريحي للجسم وأسس العمليات الجراحية المختلفة وآلاتها المستخدمة فيها وكذلك الاصطلاحات الطبية المختلفة .

اننا لا يمكن أن نحط من قدر المصريين القدماء أو نلومهم بسبب أن أطباءهم بدءوا علاج المرضى أولا باستخدام الطقوس السحرية ، لأن كثيرا من الأدوية التي استخدموها كانت لها فوائد علاجية حقيقية والتي لا زالت تجد اقبالا شديدا في مختلف التركيبات الصيدلية في مختلف أنحاء العالم مثل الصمغ العربي واليانسون والشعير والقرفة وبذور الخروع وزيته والزربيح والكزبرة والخيار والكمون والخشخاش والزعفران والكثير من أمثال هذه المواد ذات الأصل النباتي . واستخدموا أيضا بعض الأملاح والمعادن مثل الشبة والنحاس والفلدسبار والكبريت والمغرة الحمراء وكربونات وبيكربونات الصوديوم والزرنيخ والنيتر (وهذا اسم فرعوني قديم) والعديد منها والتي أمكن التعرف عليها في البرديات الطبية ولم ينسوا استعمال بعض أجزاء الحيوانات مثل الدهون والدم ونخاع العظام والصفراء والكبد والطحال وغيرها .

وبمرور الزمن وعبر آلاف من السنين استخدمت بصفة متوالية هذه المواد وغيرها بنجاح كبير لعلاج مختلف الأمراض مما دفعهم الى الاستمرار فيها والتوصية باستخدامها كما دفع الناس الى الاستغناء كلية عن السحر وطقوسه تدريجيا . والبرديات الطبية المتعددة مثل ايبرس وهيرست وغيرها تحوى بصورة طبيعية استعمالات مختلف أنواع المواد لتخفيف آلام المرضى مثل تلك العقاقير التي كانت تستخدم لقتل ديدان الأمعاء وتلك التي تسهل البطن أو تمنع اسهالها بالرغم من احتوائها في البداية وفي بعض الوصفات على جرعات قليلة من السحر والتي لا تشكل أية أهمية .

ومن الوصفات التي تثير الانتباه تلك التي وردت في احدى البرديات الطبية لعلاج الجروح أو القروح المفتوحة وتتكون من فطر

معين ينمو فى الماء الساكن يوضع على المكان المصاب ويربط لبضعة أيام والذى يظن حاليا انه كان نوعا من الفطر الذى يفرز مادة البنسلين المضاد الحيوى والذى يوحى بوضوح انهم كانوا فى ذلك العصر البعيد يعرفون خصائص وفوائد ذلك النوع من الفطر المفيد ·

واحيانا كان المصريون القدماء يضعون قطعة من الخبز المتعفن فوق الجروح والقروح المتقيحة فتشفى لنفس السبب السابق أو يضعون قطعا من اللحم ويربطونها وتترك فترة فوق الجروح ·

التشريح فى مصر القديمة :

كان التشريح فى ذلك الوقت متطورا ويسبق فى انتشاره العلمى كثيرا من البلدان المجاورة وذلك راجع الى تقدم فن التحنيط لديهم ، والذى أمكنهم ولأول مرة فى تاريخ الانسانية الحصول على المعلومات التشريحية المقارنة لمختلف أجهزة الجسم الانسانى ومنها التوافق والتماثل فى الأحشاء الداخلية للانسان وبعض الحيوانات الأخرى والتى كانوا يعرفون عنها الكثير نتيجة للعادات القديمة من تقديم القرابين المذبوحة والمكونة من الحيوانات للآلهة المختلفة وفى مناسبات متعددة · والمعروف ان أقرب الأحشاء الداخلية شبها للانسان هى تلك التى كانت يجدونها فى تشريح بعض القردة العليا ·

ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن الكثير من الرموز التى تحتويها اللغة المصرية القديمة فى خطها الهيروغليفى والذى كان يرسم على الجدران أو يحفر ، كانت تعبر عن صور الأعضاء الداخلية للحيوانات وليست للانسان وهذا يثبت بجلاء أن معرفة الأحشاء الداخلية للحيوانات عند قدماء المصريين كانت تسبق معرفتهم لأحشاء الانسان وانهم استطاعوا التفرقة بين نوعى الأحشاء وذلك عن طريق استنباط رموز خاصة بكل نوع ·

وهناك ما يزيد عن مائتى اصطلاح تشريحى فى اللغة المصرية القديمة مما يثبت أنهم استطاعوا التفرقة بين مختلف أجزاء جسم الانسان الداخلية فى حين أن شعبا آخر غير الشعب المصرى قد

لا تتوافر له خلة الذكاء بحيث يفرق بدقة بين هذه الأجزاء · ولكن بالرغم من تقدم التشريح عند الفراعنة الا أننا نجد بعض الثغرات فى علم تعرفهم على نواح كثيرة فى معرفتهم بها ·

وأمكن للمصريين القدماء معرفة أهمية القلب كأساس وبداية مهنة الطب عند الممارسين لهـــا ·· وعن نوعيـــة ضرباته وحركات القلب والأوعية الدموية التى تتصل به لاحداث كل حركة فى الجسم ولكنهم لم يتعرفوا على خط سير الدورة الدموية بدقة · وكان لديهم كلمة واحدة تعبر عن مجموع العضلات والشرايين والأوردة أى أن الكلمة التى تعبر عن الأوعية الدموية التى تتصل بالقلب هى نفس الكلمة التى تطلق على العضلات · كذلك ظنوا أن القلب هو مركز الذكاء ومنبعه وكذلك بالنسبة للأحاسيس · أما المخ فقد اهتموا به بدرجة أقل من اهتمامهم بالقلب ولكنهم لاحظوا أن أية اصابة له تحدث تأثيرا على عضلات الجسم ·

ومما يدلنـــا على أهمية القلب بالنسبة للمصريين القدماء أن المحنطين كانوا يضعون القلب مرة أخرى داخل الجسد المحنط قبل دفنه فى حين انهم كانوا يتركون أحشاءه فى أوان خارجية ·

ولقد لجأ القدماء المصريين فى تشريح أجسام الحيوانات التى قدموها للقرابين والتى قدسوها وحنطوها والتى آكلوها ·

وبما أن دراسة التشريح لا تتم الا بدراسة الأجنة الا أنه كان مستحيلا فى تلك العصور الغابرة ·

وعرف المصريون القدماء ضرورة الغـــذاء فقالوا انه يدخـــل الجسم عن طريق الفم الى المعدة فاذا لم يلائم الطعـــام هذه المعدة مرضت ومرض الجسم تبعا لها · وقالوا ان حرارة الجسم تشتد فى بعض الأمراض فهم بذلك عرفوا أن الجسم لا يستفيد الا من الغذاء الصحى وأن حرارة الجسم تتأثر بالمرض ·

ولم يكن فى مقدورهم أن يميزوا بين الأوتار والأعصـــــــاب والأربطة ، ولم تكن لديهم فكرة عن الخلايا التى يتكون منها جسم الانسان ·

القسم الثالث :

تطور الحضارة الطبية والصيدلية فى مصر القديمة

كان الاعتقاد ان الطب فى مصر القديمة اقرب الى السحر منه الى العلم ، فلما فحصت البرديات الطبية فحصا دقيقا ، ظهر أن نصوصها علمية الى أقصى حدود العلم ، وأن الطب كان يمارس فى مصر القديمة بنظام وعناية ، وبأن الكثير من عقاقيرهم مفيدة وتستعمل حتى الآن ·

فقد هيأ التحنيط لقدماء المصريين فرصـــة معرفة الأحشــاء الداخلية من حيث الشكل والمادة والعلاقة ببعضـــها · وقد عود التحنيط أذهان الشعب على احتمال قطع الجثث واخراج أحشائها لمدة تزيد على العشرين قرنا ، كذلك تمكن أطباء الاغريق فى عهد البطالمة من تشريح الجثث علميا فى وقت كان هذا العمل محرما فى أنحاء العالم الأخرى (*) ·

(*) A History of Medicine ; by A. Castiglioni, 1947.

واستوجب التحنيط اخراج الأحشاء البطنية والصدرية والتأثير بالعقاقير ـ ففصلوا الأحشاء وغسلوها على حدة ثم حنطوها ـ وكانوا فى نفس الوقت يذبحون الحيوانات ليأكلوها ويقدموها قربانا لموتاهم • وما من شك فى أنهم قارنوا الأحشاء الآدمية بالحيوانية وطبيعى أن ذبح الحيوان لأكله سبق التحنيط • لذلك نجد ان الخط الهيروغليفى (الذى يرجع ابتكاره الى ما قبل حكم الأسرات بكثير) لا يحوى من الاشارات الخاصة بأجزاء الجسم الداخلية الا ما له علاقة بالحيوان ـ وهذا يشير الى أن معرفة المصريين بتشريح الحيوان أقدم عهدا من معرفتهم بتشريح الانسان •

فاشارة القلب وتنطق (أ ب) فى الخط الهيروغليفى تمثل قلب ثور لا قلب آدمى ـ كذلك اشارة الحلق مع العنق تمثل رأس ثور وحنجرته وقصبته الهوائية ـ كذلك اشارة الرحم (٥أ) تمثل رحم البقرة •

وعلى هذا السبيل رسمت الاشارات التى تمثل الأضلاع والعمود الفقرى واللسان والأسنان •

أما اشارات الخط الهيروغليفى الآدمية فتمثل الأجزاء الخارجية فقط كالذراع واليد والاصبع والأنف والعين مما يؤكد عدم معرفة المصريين القدماء للأحشاء الداخلية الآدمية وقت ابتكار الخط الهيروغليفى •

وتعدد الفاظ أى علم من العلوم دليل معرفة القوم لهذا العلم • فاللغة المصرية القديمة تحوى ما يتوف على مائة اسم تشريحى للجسم الأمر الذى يؤكد أن قدماء المصريين كانوا يميزون بين أجزاء الجسم فى وقت تعذر فيه ذلك على غيرهم •

أما معرفتهم بوظائف الأعضاء فكانوا يعتبرون أن القلب هو مركز الأوعية وأن الأوعية تخرج منه متفرعة الى سائر أنحاء الجسم

وان نبضها دليل عليها • ووصفوا النبض بانه كلام القلب الداخلى وانه دليل هذه الأوعية حيث تكون — وبان كثيرا من العلل ناجم عن مرض الأوعية — لذلك حاولوا فى علاجهم أن يبردوا الأوعية أو يهدئوها أو يجددوها أو يبطئوا من دورتها • وكل هذه المعلومات المهمة نسخت من كتاب أقدم عهدا من البرديات الطبية التى اكتشفت حديثا •

كذلك اعتبر القدماء فى مصر أن القلب هو أهم أعضاء الجسم وانه مركز الانفعال ، لذلك لم يعمد المحنطون الى فصل القلب أثناء عملية التحنيط فتركوه محله متصلا بأوعيته الكبرى (*) •

كما قالوا ان الدموع تنتج من افرازات الجفون ، وقالوا كذلك بأن الشعر يتغذى من وعاءين بمؤخر الرأس •

وكان للجراحة شأن كبير يؤيد هذا ما ورد فى بردية ادوين سميث حيث تحوى الكثير من أصول الجراحة ويتضح كذلك أن اسلوبها فى غاية الدقة والنظام حيث تذكر الداء ثم طريقة الفحص ثم التشخيص ثم العلاج ثم الانذار • كذلك يمكن معرفة الكثير من الملاحظات التفسيرية الملحقة به حيث تظهر مهارة عجيبة فى تعرف المرض وأسبابه — حتى المظهر الخارجى اهتم به كاتب البردية — حيث عولجت أسارير الوجه وتجاعيده الناتجة عن كبر السن بالأدهنة (الغريب أن كثيرا من الطب الفرعونى يرجع تاريخه الى عصر الأهرام) •

ويظهر كذلك فى البردية أن الختان كان أقدم العمليات الجراحية فى مصر الفرعونية (وكذلك يوجد فى القسم الأخير من بردية ايبرس عدد كبير من حالات جراحية) •

(*) The History of Medicine ; by Bernard Dawson.

وقد شمل البحث عن أمراض قدماء المصريين نواحي عدة منها فحص المومياوات والنقوش والتماثيل والنصـــوص ـ حيث وجدت الحصوات البولية في جثث عاشت قبل حكم الفراعنة ـ وكذلك على حصوات كلوية في جثث من عهد الأسرة الثانية (حوالي عام ٣٠٠٠ ق٠م٠) كما عثر على حصى صفراوية في موميـاء من الأسرة ٢١ (١٠٠٠ ـ ٩٤٥ ق٠م٠) ـ كذلك عثر على بويضات للبلهارسيا في مومياء من الأسرة ٢١ وبفحص مومياء الملك منفتاح وجد أنه مصاب بمرض في الأورطى٠كما عثر على حالات لدرن العمود الفقرى وتقوسه ودرن الفخذ وسرطان بعظمة ذراع من عهد الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ ـ ٢٤٢٠ ق٠م٠) كما وجد النقرس في جثة رجل عجوز في جزيرة فيلة من العصر المسيحى بها أملاح مترسبة فوق العظام المشطية لأصابع القدمين وفوق عظمتى الساقين والشظيتين والأوتار الخلفية للساقين وعظام اليدين والذراعين ٠

أما تلف الأسنان فكان قليلا في العصور القديمة جدا ، لكنه كثر لما عمت الرفاهية منازل المصريين فأكلوا الطعام الهش المطبوخ جيدا ، ولذلك وجد الطرطير مترسبا بشكل واضح على أسنان قدماء المصريين في الدولة الحديثة ـ كذلك خراريج اللثة صاحبت الترف أيضا حتى ٠

كذلك عثر بكثرة على التهاب المفاصل الشبيه بالروماتزم في مومياوات مصر والنوبة حتى اليلنر وجود جثة من تلك الأزمنة العتيقة سليمة من هذا الداء (*) ٠ كذلك وجدت عدة حالات لالتهاب العظام في جثث من العهد القديم وهذه تشمل التهاب الأنف المزمن والتهاب النتوء الحلمى للأذن وتقيحات عظـام الجمجمة وعدة حالات لخلع المفاصل وكسور العظام مصحوبة بنتائج متباينة من التحام جيد الى مضاعفات خطيرة ٠ كذلك وجـدت مومياء الملك رمسيس الخامس مصابة بطفح جلدى وأيضا بها أثر لقيلة مائية بالصفن ٠ كذلك

(*) Royal Mummies : by Elliot Smith, pp. 71, (1921).

وجدت أعراض التهاب الزائدة الدودية فى مومياء سيدة من العهد البيزنطى وأخرى مصابة بالتصاقات بلورية فى الرئة اليسرى (وجدت فى حالة انكماش) ، وعثر كذلك على حالات لسقوط الأمعاء وسقوط المهبل وعلى ورم فى رحم مومياء من العهد الفارسى (*) .

وعدا الأمراض التى وجدت بالمومياوات المصرية القديمة فانه توجد عدة تماثيل ورسوم على جدران المقابر تظهر لنا حالات مرضية أخرى ، فنجد شاهد قبر الكاهن (روما) السورى الأصل يمثله مصابا بشلل الأطفال بالطرف السفلى الأيمن . كذلك وجدت رسوم وتماثيل لأقزام من العهد الفرعونى بكثرة وهى تمثل مرض Achondroplasia ، وهناك رسوم على الآثار لمرض الكساح ودرن العمود الفقرى . ويلاحظ بوضوح تمثال للملك اخناتون (الأسرة ١٨) وبه أعراض مرض Distrophia Adiposo Genitalis والتى تتلخص فى أنوثة الشفتين وبروز البطن واستطالة الجمجمة وكبر الفك السفلى واستسقاء خفيف بالدماغ (**) .

وبالنسبة لعقاقير قدماء المصريين فان البحث فيها ليس بالهين ، لأنها لا تزال مجهولة المعانى للكثير منا . فهناك أدوية من أصل نباتى ومعدنى وحيوانى واردة ضمن الوصفات ليست معروفة حتى الآن ، وكانوا يستعملون كل النبات أو أوراقه أو بذوره أو ثماره أو عصيره أو جذوره أو راتينجه .

أما السائل الذى كانت العقاقير تخلط به فكان من أهمها الماء أو اللبن أو الشهد (العسل) أو النبيذ أو الجعة .

(*) Arch. Survey of Nubia Report, 1907.

(**) Philosophical Transactions, 1825.

أما الدهان والمروخ فاغلب وصفاتها تحوى العسل أو الصمغ أو الراتنج أو الشحم الحيوانى ٠

وكانوا يتناولون العقاقير بشكل مسحوق او منقوع أو يغلونها. أما العلاج الموضعى فكان يوصف للتدليك أو الدهان أو بشكل لبخة ٠ وكثيرا ما وصف القوم الحبوب والأقراص المستحلبة والأقماع ٠ وكانوا يذكرون آخر كل وصفة طريقة الاستعمال فيقولون مثلا يؤخذ الدواء ليلا ونهارا ، قبل الغذاء أو بعده ، ويذكرون أمام كل جوهر المقدار اللازم مما يشير الى عنايتهم بعلم الأقرباذين ٠

والى قدماء المصريين يرجع الفضل فى ابتكار النشادر بسحق أو حرق قرون الحيوانات ٠ ومن أهم العقاقير النباتية قشر الرمان (لطرد الديدان المعوية) والشبت والكزبرة والكمون والكراوية والحلبة والخروع (كمسهل ولعلاج الجروح وانماء الشعر) وغيرها ٠ وكذلك ذكر المصريون القدماء الكثير من أمراض العيون والأذن ٠

ولقد أثر الطب المصري القديم بدرجة كبيرة على الطب الاغريقى ويظهر ذلك واضحا فى مؤلفات ديوسقوريدس (٥٠م) وجالينوس (١٣٠ - ٢٠٠ م) وبلينى Pliny (٢٣ - ٧٩م) وغيرهم من أطباء الاغريق والرومان حيث وردت المعلومات الطبية المصرية بطريقة مباشرة من البرديات المصرية نتيجة تعلمهم فى مصر ونقل كل العلوم المصرية إلى بلادهم (*) - ولقد لقنت هذه العلوم بواسطة الاغريق الى أطباء القرون الوسطى بأوروبا حيث صارت من أهم أركان الطب الشعبى وتعاليم الطب القيمة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ٠

(*) Science Progress ; by Warren Dawson, p. 283. (1927).

هذا وقد استمر الطب المصرى القديم محافظا على جوهره بعد دخول المسيحية الى مصر ٠

ويبدو من دراسة البرديات الطبية أن الطب الفرعونى كان يحاول التحرر من ربقة السحر والتفكير اللاهوتى ليتحول الى فراشة العلم التجريبى (*) ٠

ولذا يمكن التمييز فى نظرتهم الى المرض بين نوعين منه وهما : الأمراض الخارجية والأمراض الداخلية (أى الجراحـة والأمراض الباطنية) والسر فى تمييزهم هذا هو نظرتهم الى الصحة والمرض عامة ٠ فقد كانوا يعتقدون أن الروح خالدة لا تبلى الا بالقتل ، وأن المرض لا يحدث الا بتأثير عامل قاتل خارجى وهذا العامل اما أن يكون ظاهريا كالسلاح أو النار أو خفيـا اذ أن جهلهم بعلم الميكروبات وكيمياء الجسم الداخلى هو الذى جعلهم يعزون المرض الخفى الى الأرواح الشريرة أو الى الأعمال السحرية أو الى عقـاب تفرضه الآلهة أو الى ميت أو الى عدو ٠

اما الموت فلم ينظر اليه المصريون كعقاب على خطيئة ارتكبها الانسان ولكنهم رأوا فى الموت ظاهرة تتبع الحياة حتما ولا تختلف عنها من حيث الجوهر وإنما هى احدى حلقاتها فى عالم آخر بل كانوا أحياناً يعتقدون أن الموتى يأتون نساءهم وينجبون منهن أطفالا (كما أنجب أوزيريس طفلا من ايزيس بعد موته) ٠٠ وكذلك نرى فى نصوص الأهرام أنها تتحدث عن حقبة لم يكن فيها سماء أو أرض أو انسان ٠٠٠ حقبة سبقت ولادة الآلهة ومجىء الموت ٠٠٠ اذن فقد خلق الموت مع الحياة ٠

A History of Medicine ; by A. Castiglioni, 2nd Editoon, (1947). (*)

ونتج عن تقسيمهم الأمراض الى هذين النوعين اتجاهان عكسيان فى العلاج ٠٠ اتجاه واقعى عقلى مبنى على التجربة والتأمل فى الجراحة ، واتجاه فى الأمراض الباطنية يفترض ضرورة التخلص من الروح الشريرة التى سكنت المريض ، وهذا بالطرق التى تستجيب الروح لها وباشتراك الطبيب مع الساحر وهكذا نجد أن بعض ألقاب كبار البلاط كانت تجمع بين الوظائف الطبية والرتب السحرية ٠

الا أن نشأة التفكير الواقعى أدت فيما بعد الى محاولة تفسير المرض على ضوء النظريات السائدة فى التشريح ووظائف الأعضاء فاعتبروا أن المرض يتسبب من الافراط فى التغذية وأنه يحصل عند انسداد الشرايين أو امتزاج الأخلاط التى تجرى فيها (عرفوا حوالى ٢٥٠ مرضا باطنيا ووصفوها وصفا دقيقا) ٠

ومع ذلك فان جل طب قدماء المصريين يتسم بظاهرة عجيبة وهى البعد عن النظريات والتفسيرات والاكتفاء بوصف الأعراض حتى انهم كانوا يتجنبون التكهن فى الأمراض الباطنية وكأنها مستعصية على ادراك الذهن البشرى ٠

وبالنسبة لمعلومات التشريح عند قدماء المصريين فان الكثير مما عرفوه عن أعضاء الجسم مستمد من تشريح الحيوانات ويظهر ذلك فى أن الأسنان التى استعملت فى الكتابة الهيروغليفية مستمدة من ناب الفيل (ﮔ) وهكذا ٠ وذكرت الغدة الدرقية فقط فى بردية ادوين سميث (حالة ٣٤) ٠

كذلك اكتنف علم التشريح الكثير من التعثر ــ ففى علم العظام مثلا لم تكن هناك أسماء للعظام ذاتها وانما كان الاسم يطلق على الطرف كله بما يحتويه من عظام وعضلات وأعصاب وشرايين ٠٠٠٠٠٠ الخ ٠ وكانوا يربطون بين كل عضو أو طرف وبين اله معين وذلك معين كما هو ظاهر من بعض التعاويذ : « رأسك رع

وذراعك حورس وسرتك نجم الصباح ..... الخ » ويعتقدون أن كل عضو منها ذو حياة خاصة مستقلة وأن له روحه وأهواءه وحياته الخاصة .

وبالنسبة للشرايين والنبض ، فان المصريين القدماء لم يميزوا بين كل من الشريان والوريد والوتر والعصب فقد أطلقوا عليها جميعا اسم « ميتو » . وكانوا يعرفون النبض ويعبرون عنه بقولهم ان القلب يتكلم عن طريق الشرايين ، وان كانوا لم يفطنوا الى وجود الدورة الدموية . وكانوا يصفون نبض الرقبة بأن العنق تتكلم ، وكانوا يعرفون مواقع النبض المختلفة فى الجسم وكيفية جسه (كما ورد ذلك فى بردية ادوين سميث) ، وكانوا يربطونه بالمرض ولكنهم لم يتمكنوا من عده لافتقارهم الى أجهزة لقياس مسافات الزمن الدقيقة (ولم يتمكن من عده وقياسه الا فى عصر تحتمس الثالث فى الأسرة الثامنة عشرة) وكذلك بواسطة ساعة مائية استخدمها هيروفيلوس فى الاسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد .

وكانت للشرايين (ميتو) اهمية كبيرة فى علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) وقد احتوت بردية ايبرس على بيانين عنها جاء فى احدهما أن عددها ٤٦ وفى الأخرى أنها ٢٢ .

وتقول بردية ايبرس ان فى مركز الرأس أربعة شرايين تتفرع الى مؤخر الرأس (وأن الروح تدخل عن طريق الأنف) وتتجه الى القلب والرئتين التى توزعها على تجويف البطن . أما فتحتا الأنف ففيهما شريانان يوصلان الى العين ـ وهناك أربعة شرايين توصل الروح والماء الى الكبد حيث تتكون الأخلاط التى ينقلها الدم وهناك شريانان متصلان بالأذن اليمنى تدخل منهما الحياة وآخران متصلان بالأذن اليسرى يتسلل عن طريقهما الموت .

وكانوا يعتقدون أن الشرايين مليئة بسائل (الدم) وهواء وفضلات وأنها قنوات تنقل الدموع والبول والسائل المنوى ومخاط

الأنف ...... الخ من القلب الى أجزاء الجسم التى تتجه اليها (وان كان يبدو أنهم أدركوا أن الدم يجرى فيها) ـ ودام الاعتقاد بأنها مليئة بالهواء حتى أيام الاغريق وانتقل ذلك الى أطباء القرون الوسطى وهذا لأنها لا تحتوى على دم بعد الموت .

ولقد نتج عن اعتقادهم بأن هذه الشرايين هى الموزعة لكل الأخلاط والسوائل من القلب الى مختلف الأعضاء أن القلب كان يعتبر المحرك المركزى لكل نشاط فى الجسم ـ فاذا اختل الاتصال بين القلب والشرايين أو اذا تسرب الى هذه الأخيرة افراز غير عادى سبب ذلك المرض للجسم ومن هنا كانوا يعالجون العضو المسئول عن ذلك الافراز ـ فاذا ظنوا مثلا أن جزءا من البراز تسلل الى الشرايين عالجوا التشنج .

أما طرق فحص المريض (التشخيص) فقد كانت تعتمد على الخبرة وتتسم بدقة الملاحظة وكان هذا الفحص يبدأ عادة باستجواب المريض استجوابا دقيقا ثم يتبع ذلك فحص شامل بالنظر يبدأ بالوجه فيلاحظ لونه وافرازاته الأنفية والجفنان والعينان ... الخ ثم تشم روائح الجسم من عرق ونفس ثم يأتى فحص البطن فالأعضاء الأخرى (مثل أوديما ـ رعشة ـ دوالى ـ براز ـ عرق ـ لعاب ...... الخ) ويتبع الشم الجس والطرق وتقدير حرارة الجسم .

ففى الجس وصفوا كسر الجمجمة كالنحاس المتجعد تحت تأثير الحرارة ، وورما ينبض تحت اليد بيافوخ الطفل غير الملتئم ، وفرقوا بين الأورام المتموجة وغيرها ، وبين ارتفاع الحرارة الموضعى والارتفاع العام .

وكانت هناك طرق واختبارات خاصة للولادة وأمراض النساء . ولم يفت المؤلفين فى الطب أيام مصر القديمة وصف سير المرض وأهمية ملاحظة أطواره فى التشخيص والتكهن .

ولم يكتف الاطباء بوصف أعراض المرض بل ذيلوا تشخيصهم بما يتوقعونه من نتائج مثل : (ألم فى الذراعين والصدر من ناحية القلب • انه مهدد بالموت) وهذا الوصـــف يلائم وصف الذبحـة الصدرية •

ومن العمليات الأخرى التى كان المصريون القدماء يجرونهـا البتر والخصى ، أما عملية التربنة فقد كانت تجرى حتى ما قبـل عصر الأسرات (حيث كان اجراؤها فى أول الأمر متصلا بالسحر لاخراج الأرواح الشريرة من ذهن المريض) وقد ذكرت بردية ادوين سميث علاجا لحالة كسر فى الجمجمة تحت الجلد •

وعلى جدران معبـد كوم أمبو نقش القـدماء الكثير من الآلات الجراحية منها المخالب والمقصات والمشارط والابر • أما الجروح فان النظيفة منها كانت تعالج بالخياطة والأربطة اللاصقة فى حين كانت النازفة تعالج باللحم الطرى أول يوم ثم بالاعشاب القابضة والعسل المركز •

الجراحة : أوردت بردية آدوين سميث الكثير من المعلومات عن الجراحة ولكن لم تحتو على ما يفيد عن كيفية اجراء العمليات كما كانت تجرى ، ولكن هناك نقوشا كثيرة وجدت على جدران المعـابد تكمل ما كتب على صفحات البردى ـ وتلك النقوش المختفية فى ظلام المعابد كانت بمثابة لوحات تدريسية تكمل تعـاليم الكتب وتصحب التلقين الشفوى ولا تعرض الا على النابهين من التلاميذ ـ شأنها شأن النقوش والرسوم اللاهوتية التى كانت تزين القاعات السرية وغرف الآلهة بالمعابد والتى كانت تصور بشكل حى أسرار الدين الخطيرة للمريدين من التلاميذ •

وفى نقشين متشابهين فى أبيدوس (العرابة المدفونة) وفى سقارة ، وجـد ما يفيد قيام الجراح بعملية فتح القصبة الهوائية (تراكيو تومى) •

الكسور : وجدت آثار عدة لها في الجثث لأن العظام لا تتحلل ـ وكذلك بالجمجمة ـ وحالات كسر في عظم الفخذ بكثرة وكانت تشفي تاركة تضخما حول محل الالتئام وقصرا في العظام ـ أما كسور العضد فكانت نتائجها أحسن من حيث استقامة العضو ووظيفته بسبب ضعف القوى العضلية الجاذبة لطرفي الكسر · وقد وجدت حالات عدة لكسر الزند وحده والمرجح أن تكون نتيجة لضربه مباشرة على العضد المرفوع للدفاع عن النفس وكانت تلك الكسور الفردية تشفي بسهولة ·

وقد عرف المصريون القدماء أهمية قرقرة العظام تحت اليد في تشخيص الكسور وفرقوا بينها وبين الجزع (الذى فسروه على أن الأربطة تصاب دون أن يتغير وضع العظام) وكذلك شبهوا كسر الجمجمة أحيانا باناء من الفخار مثقوب وأحيانا بالنحاس المتجعد تحت تأثير النار · وكذلك عرفوا قيمة جس جرح الرأس وسوء مآل تلك الحالات التي لا يشعر فيها بنبض بالمخ وتلك التي يجس فيها العظم منخفضا داخل المخ ، أو التي يلاحظ فيها تصلب الرقبة والنزف تحت الملتحمة والنزف من المنخرين ومن الأذن ··· كما وصف كسر العمود الفقرى وما يتبعه من شلل رباعى وتبول لا ارادى وانتصاب واستمناء دون فقدان الوعى ـ وخص الاستمناء بكسور وسط الرقبة فقط · ومما يدل على اجراء الصفة التشريحية لتلك الحالات أن البردية بها وصف لتلك الكسور (بأن الفقرة تنغرز في الفقرة التي تليها كما تغوص القدم في أرض منزرعة) ·

ولقد عرفت الجبائر واستعملت منذ ما قبل عصر الأسرات وعثر على كثير منها في مقابر الأسرة الخامسة وكانت مكونة عادة من قطع من الخشب أو القشرة أو الكتان متصلة كل منها بالأخرى بواسطة أربطة ومبطنة بالكتان · أما من حيث وضعها فقد كان العضو المجبر يخاط بها كالاسطوانة وكان يراعى أن تصل الى المفصلين أعلى وأسفل الكسر ـ ولم يعرف المصريون مزايا الشد (التي فطن اليها

الطريق بعضهم) ـ الا أنهم كانوا يردون الكسور والخلوع بمهارة فائقة • وكذلك كان كسر الأنف يعالج بادخال لفائف صغيرة من الكتان داخل فتحات الأنف لحفظ شكله •

الحروق : وهذه ورد ذكر علاجها فى برديات لندن وايبرس ، وكانت تعالج بالعسل والزيوت والمواد الدهنية مصحوبة بالتعاويذ •

الأورام : ورد ذكر ووصف الأورام الدهنية فى بردية ايبرس وكذلك الفتق والتمدد الشريانى ووجوب جسهـا لمعرفة اذا كانت تتموج فانه يتوجب اعتبارها سائلة أو دهنية وتعالج بالمشرط أو الفصـد أو الكى • وذكر أنـه اذا ظهـرت البثرات وتلون الجلد وارتسمت الرسوم على سطحها وأحدثت آلاما شديدة فانهم كانوا يقولون انه ورم الاله خونسو ولا يجب فعل شىء (وهذا الوصف يتفق مع الجمرة الخبيثة أو السرطان) •

وكانت الوسيلة لعلاج الأورام عامة هو اســـتعمال المشرط بشرط تجنب الأوعية الدموية وكذلك استعمال الكى لمنع النزيف • وكان الكى يجرى بواسطة آلة معدنية مدببة يوضع طرفها فى فتحة فى قطعة من الخشب ثم تدار بسرعة حتى ترتفع حرارتها ، وهناك جثة ظهرت على فخذها آثار لمثل هذا الكى •

وقد قيل ان المصريين كانوا يعرفون التخدير وهذا صحيح باستعمالهم بعض النباتات الطبية مثل السكران (Hyoscyamus) والأفيون (Opium) والماندراجورا (Mandragora) •

وكذلك الترقيع بأعضاء أشخاص أخرى ولكن هناك شكا فى صحة ذلك •

الـــولادة :

لم تكن المصريات تضقن بالحمل أو تنفرن منه .. ومع انه وجدت وصفات عدة للحيلولة دونه أو لاحداث الاجهاض الا أنهن كن يلذن بالآلهة مبتهلات لكى تساعدهن على الانجاب (ويتضح ذلك من كتابات دونت على كثير من التماثيل) .

وكان الشباب يتزوجون بمجرد البلوغ وبذلك انعدمت فرص انحرافهم ، وكانت القاعدة هى التزوج بامرأة واحدة ولكن وجدت قرائن تدل على التزوج بأكثر من واحدة مع احتفاظ الزوجة الأولى بكافة الحقوق بصفتها الزوجة الرئيسية (*) .

وكان الاجهاض محرما قانونيا وكان يعاقب من يساعد على الاجهاض ، اذ كانت الدولة تشجع الاكثار من المواليد .

وكانت هناك طرق متعددة للتأكد من خصب المرأة او عقمها ومعظمها مبنى على فكرة وجود اتصال فى المرأة الخصيب بين تجويف الهبل وبقية الجسد وبعض هذه الطرق قد ورد فى برديات كاهون وكارلزبورج ... منها مثلا وضع لبوس من الثوم فى المهبل ثم ملاحظة رائحته فى الفم .

وقد اقتبس ابقراط وصفة لبوس الثوم هذه من قدماء المصريين وذاع صيتها بين العرب واوروبا فى القرون الوسطى وحتى القرن الثامن عشر (وهذه الوصفة ليست خيالية بدليل أن المادة العطرية فى الثوم تمر من البوق الى التجويف البريتونى اذا كان البوق سالكا ومنه الى الرئتين فالتنفس) .

وكانت لدى قدماء المصريين طرق عدة لتشخيص الحمل ومعرفة نوع الجنين (وهذه الطرق بعضها أشبه ما يكون بالسحر والبعض الآخر له أساس علمى) وكان كل تفكيرهم فى هذا الشأن مؤسسا على فكرة واحدة هى أن الجسم الذى يضم جنينا ذكرا لابد وأن يكون

(*) History of Medicine ; by H. E. Sigerist, New York, 1961.

مختلفا عن الجسم الذى يحمل جنينا أنثى • وكان الأطباء يوصون فى تشخيصهم للحمل بوضع بول المرأة الحبلى على مقدار من القمح ومقدار آخر من الشعير فان نبت القمح كان الجنين ذكرا وان نبت الشعير كان الجنين أنثى ، أما اذا لم ينبت كلا النوعين من الحبوب كان ذلك دليلا على عدم وجود الحمل • كما كانوا يضعون البول على مواد مختلفة ويشخصون الحمل اذا لم تحدث عفونة ولم تظهر ديدان •

وكان المصريون القدماء يعتبرون أن مجىء المولود بالرأس أثناء الولادة هو الأمر الطبيعى ، وكانت الولادة تتم والحامل ساجدة ووراءها القابلة (المولدة) والمرضعة والخادمة التى تتعهد المولود بالرعاية فى طوره الأول ، ثم يخرج الوليد من بين فخذيها برأسه ثم ذراعيه • وأحيانا كانت الحامل تجلس راكعة على حجرين وبينهما فراغ وأحيانا تجلس على كرسى له فتحة عريضة أسفله لاستقبال المولود • ووردت فى بردية « وستكار » قصة امرأة وضعت ثلاثة توائم ـ كما يوضح كيفية قطع الحبل السرى وغسل الوليد ـ ويضيف أن الأم قد عادت الى السهر على شئون بيتها بعد أن تطهرت من الولادة بأربعة عشر يوما •

• وكانت أم الوليد ترضعه فترة طويلة تصل الى ثلاث سنوات ـ أما المرضعات المحترفات فلم يكن يستخدمن الا فى الأسر الثرية ـ وربما كانت اطالة فترة الرضاعة ترجع الى عدم الرغبة فى الحمل المتتابع •

وفى بردية ايبرس نجد توصية بملاحظة جودة اللبن والأسس التى يكون عليها التكهن بمصير الطفل من حياة أو موت • وكذلك تشير برديتا برلين وايبرس الى عدة أدوية لعلاج أمراض الأطفال التى من بينها الاضطرابات التى تقترن بظهور الأسنان وكانت تعالج باعطاء الطفل أو أمه فأرا مطهيا (وبالفعل عثر على بقايا فأر

فى أمعاء طفل عاش فى العصر الذى سبق الأسرات) ٠

وقد اقتبس هذا الدواء بالذات ووصفه واستعمله ديوسقوريدس واليونان والرومان ثم الأقباط والعرب والأوروبيون حتى القرن السابع عشر الميلادى ٠

أمراض النساء :

تناولتها برديات كثيرة ومنها جزء كبير من بردية ايبرس وثلاث صفحات من بردية كاهون وخمسة أسطر من بردية برلين وعشرة أسطر من بردية لندن وسبع قطع من بردية كارلز بورج ٠

ومن المؤكد أن الزواج المبكر والولادات المتعددة فى سن صغيرة والأعمال المرهقة التى تقوم بها المرأة قبل الولادة وكذلك حدوث هذه الولادة بواسطة القابلات ٠٠٠٠٠ كل هذا قد أسهم فى مضاعفة عدد الأمراض التى كانت تصيب المرأة فى مصر القديمة ٠ وكانوا يعتقدون أن أعضاء الحوض عائمة متجولة فى التجويف الباطنى فكان يتحتم عليهم فى حالة المرض ارجاع الرحم الى محله واغراؤه على ذلك بأن تقف المريضة ويبخر تحتها بشمع معطر ٠

وقد وصف المصريون سقوط الرحم وعلاجه اما بالتحاميل (لبوس) أو بالتبخيرات المهبلية بالغائط المجفف والتربنتين أو بتمثال من الشمع على شكل أبى منجل ، كما وصفوا الحقن المهبلية بعصير بعض النباتات لالتهاب الرحم واتساع عنق الرحم ، أما المرض الذى سموه بأكل الرحم ، فكان علاجه موضعيا (*) ٠

وقد عزا المصريون الى مرض الرحم أعراضا عدة مثل الآلام التى تصيب أسفل البطن والرقبة والأذنين وأمراض العيون والنوبات العصبية ٠ ووصفت بردية كاهون مرضا يشمل التهاب الرحم وآلام

(*) A History of Medicine ; by Arturo Castiglioni, London, (1947).

المفاصل والعينين (ولعل هذا يطابق ما يسببه مرض السيلان من الالتهاب الموضعى والروماتزم المفصلى والتهاب العينين) ٠ ٠

ولقد وجدت آلات تشبه القرن المجوف ولها طرف على شكل ملعقة أو منقار الطير وقيل عنها انها كانت تستعمل لمناولة المشروبات للمرضى (ولكنها فى الأغلب كانت تستعمل اما للحقن الشرجية أو للحقن المهبلية اذ ورد ذكر ٠٠٠ « يحمل مزيج من العسل والزجاج المدقوق لافراغ كل ما فى داخل المرأة ») ٠ (وقد وردت تلك الآلة على حجر السيدات الممثلة على الاناء المخصص لجمع لبن امرأة أنجبت طفلا ذكرا والذى كانت تستند اليه فوائد علاجية ممتازة) ٠

امراض الرأس :

كان المصريون القدماء يعرفون الجمجمة والأم الجافيـة والمخ والسائل النخاعى ، وكانوا يعتقدون أن ثمة أربعـة شرايين تمده بالغـذاء من ناحية وتسبب الصـــلع من ناحية أخرى (ويقول هيرودوت ان الصلع كان منتشرا بدليل أن أمنحتب الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى كانوا صلعا وكانت الملكة نفرتارى تزدان بشعر مستعار) ٠

ولقد عالج المصريون الصلع بزيت الخروع وكانوا يخلطونه بدهن فرس النهر والتمساح والقط والثعبان والتيس البرى وكذلك بمخالب الكلب وحافر الحمار ٠٠٠٠٠ الخ ٠

ووصف المصريون القدماء الصلع البقعى (الثعلبة) وعالجوه بمراهم خاصة (مصحوبة بتعاويذ موجهة الى الشمس التى كثيرا ما صورت على شكل شـخص يمسـك بشعر عدو شرير قبل أن يذبحه) (*) ٠

The Medical Diseases of Egypt ; by F.M. Sandwith. (*)

وكانت تستعمل مواد غريبة لعلاج الصلع منهـا ما تختزنه الأظفار من قذارة وغائط الذباب (ويذكر أن ديوسقوريدس استعمل رأس الذباب لنفس هذا الغرض) وكذلك المراهم السحرية المركبة من دم الثور وأحشاء الثيلان والأعضاء التناسلية للكلبة .

والصداع النصفى كان يعالج بدهن الرأس بواسـطة رأس سمكة مقلية (وهذا على سـبيل السحر لتحويل الألم من رأس المريض الى رأس السمكة) .

الأنف :

كانت هناك عدة أنواع لعلاج ما يصيب الانسـان من زكام أو عطس ، ولقد وصفت أعراض الزكام وصفا دقيقـا فى التعويذة التالية : « انصرف يا ابن الزكام الذى يكسر العظام ويهشم الجمجمة وينخز المخ وينصب المرض فى فتحات الرأس السبع (أى يسيل مخاط الأنف والدموع ويحدث التهابا فى الأذنين والفم) لقد أحضرت لك جرعة خاصة ضدك ... الخ » - أما الدواء فكان مركبا من لبن امرأة وضعت ابنا ذكرا ومن صمغ ونبـات (لم يعـرف نوعه حتى الآن) ونوى البلح .

الأذن :

كانت الأذن تعتبر من أعضاء الجسم المهمة اذ أنه كان يعتقد أن روح الحيـاة تدخـل من الأذن اليمنى ونفس الموت من الأذن اليسرى ، وكانوا يعالجون أمراضها بالزيوت والأصماغ .

الأسـنان :

ذكر هيرودوت أنه كانت توجد مجموعة من الأخصائيين ومنهم أخصائيو الأسنان وكانوا على درجات مختلفة فمنهم الطبيب العادى ومنهم رئيس الاخصائيين .

وبالرغم من أن التسويس كان نادرا فان البيوريا والخراجات كانت منتشرة لاسيما فى الدولة الحديثة وقد ازداد هذا الانتشـــار بتقدم الحضارة وزيادة الترف حتى فى الطبقات العليا .

ومن أمراض الأســـنان مرض آكل الدم وقـد فسر بأنـه الاسـقربوط (Scurvey) وأحيـــانا بالبيـوريا ، وفى حـــالة حدوث التسويس فانهم كانوا يحشون الاسنان بالعسل والصمغ وسلفات النحـــاس . وكانت الأســنان القلقة تربط بالاســنان المجاورة لها بخيط من الذهب ، وكانت الخراجات تصرف بواســطة عملية تربنة صغيرة فى عظم الفك . ولم يصلنا أى دليل على أنهم كانوا يخلعون الأسنان الا أن الاقباط بعدهم كانوا يخلعونها بالحديد بعد وضع مخدر من نبات الخربق على الخد أو على جذور الأسنان .

ولتقرح اللثة فانهم كانوا يضعون المراهم المركبة من اللبن والبلح الطازج والخروب الجاف أو الينســون والترابنتين وثمـار الجميز .

الرئـــة :

بفحص بردية ايبرس فانه وجد أن المصريين القدماء كانـوا يعتقدون بوجود صله بين الرئة والمعدة ويبدو ذلك من بعض طرقهم فى العلاج كبلع بخار الماء الساخن .

وقد كانت اغلب أدويتهـــم لأمراض الرئة مكونة من اللبن او الزبد أو العسل (وهذه المواد جميعها لاتزال تستعمل حتى يومنا هذا لتخفيف حدة السعال) .

الطحـال :

لم تذكر بردية ايبرس شيئا عن الطحال سوى جملة واحدة هى أن هناك أربعة شرايين بالطحال تمده بالماء وتنقل اليه الهواء .

الكبد :

لم يعرف قدماء المصريين شيئا كثيرا عنه الا أنهم كانوا يصفون لعلاجه تناول التين والجميز وكذلك يوصون بأكله لعلاج عمى الليل .

الكليتان :

لم يأت وصف لهما (وربما يرجع ذلك الى مركزهما فى الجسم فانه لوجودهما خلف البريتون صعب عليهم وصول أيديهم اليهما من الامام أثناء عملية التحنيط) .

على أنه وصفوا المثانة وعرفوا أنها تتصل بشريانين ، كما وصفوا لعلاج احتباس البول أو تعسره أدوية كثيرة وكذلك التبول غير الارادى وانتصاب الذكر نتيجة لانتقال فقرة فى الرقبة ، كما ذكر البول الدموى أكثر من مرة وربطوه بالقلب وعالجوه بدواء للبطن والقلب .

العيون :

كانت أرماد العيون وأمراضها شديدة الانتشار فى مصر القديمة وكان عدد المكفوفين كبيرا وكثيرا ما نجدهم ممثلين فى النقوش وهم يزاولون مهنة الغناء أو الموسيقى ، وهذا نوع من التأهيل .

وقد ذكرت فى بردية ايبرس أكثر من مائة وصفة لأمراض العيون منها واحدة تنسب الى أسيوى من بيبلوس (بلبنان) . وقد نقلت بردية كارلزبورج بعضا من هذه الوصفات .

وكان أطباء العيون يعملون تحت حماية الاله « تحوت » (الذى تقول الأساطير انه شفى عين حورس بعد أن كان عمه ست

الشرير قد مزقه الى أربع وستين قطعة ، وكانوا يعملون كذلك تحت حماية الاله آمون الذى يشفى العيون بغير دواء ٠٠ « فاتح العينين المخلص من الحول » ٠

ولكن كان الاله الخاص بأمراض العين هو « دواو » وكان يعبد فى معبد خاص فى مدينة آنو (عين شمس الحالية) ٠ ومن اشهر أطباء العيون « ميدونفرى » وكان أيضا من كهنة دواو وكذلك « ايــرى » ، « أواوى » ٠ وكذلك « نى عنخ دواو » من الأسرة الخامسة ٠

وكانت دراية الأطباء بأجزاء العين الداخلية دراية سطحية ما عدا الجسم الزجاجى وبالتالى لم يطلقوا عليها أسماء ٠

وكانوا يسمون الحدقة بـ « الفتاة التى داخل العين » وكانوا يظنون أنها منبع الدموع ، أما الجفن فكانوا يطلقون عليه « ظهر العين » ٠

ومن أمراض العيون :

١ ــ التهاب الجفون : وعولج بنقط من الصبر والنحاس وورق السنط فى العين بواسطة ريشة نسر ٠

٢ ــ مرض الشعرة : وكان يعالج بتعديل وضع الرمش أو بنتفه ثم يدهن بمرهم مصنوع من دم البرص والخفاش وصفرة العصافير ٠

٣ ــ الدمامل ٠

٤ ــ الشتر أو انقلاب الجفن للخارج : وكان يعالج بالمواد القابضة ٠

٥ ــ الرمد الحبيبى : وكان يعالج بالجرانيت والنطرون الأحمر المحروق وكبريتات الرصاص ٠

٦ ـ الصنفر (Pterygion) : وعلاجه بيض الرخم (النسر) وحجر الصوان الأسود وغائط البجع والتمساح ٠

٧ ـ دهن العينين (Pinguecula) وتمدد الحدقة ٠

٨ ـ العنبـــة (Staphyloma)

٩ ـ التـدمع (Hetae)

١٠ـ الســحابة (البياضة) وقد أصيبت بها الملكة نفرتيتي ٠

١١ـ الكتاراكتا (وسموه صعود الماء الى العين) (والآن الماء الأبيض) وكذلك سماه الاغريق والرومان بنفس الاسم المقتبس (وذلك لأن المصاب بهذا المرض ينظر وكأن سائلا يحول بينه وبين روية الأشياء) ٠

وكان مرض الماء جدا يعالج بمراهم معينة وبعض التعاويذ ٠٠ (ولم يقدر له أن يعالج بالجراحة بعد ذلك الا فى القرن الثانى بعد الميلاد وكان ذلك فى الاسكندرية حيث نقل أنتيللس (Antillus) هذه الطريقة الجديدة عن كريزيب بقبرص ٠

أما جروح العيون فقد جـاء فى ذكر علاجها غائط الأطفـال المجفف ٠

وكذلك جاء ذكر فى برديتى ايبرس ولندن لمرض « عمى الليل » وكان يعالج بالسحر وبكبد البقر بعد تسخينه (يحتوى الكبد على (Vit. A) ٠ وورد فى بردية ايبرس ذكر فقدان البصر وقد وصف لعلاجه وضع ماء عين خنزيرة فى الأذن وترتيل تعويذة فحواها أن العين تستبدل بالعين ٠

على أن أكثر أنواع العلاج كان مركبا من كبريتات الأنتيمون وكحل صدأ النحاس وسلفات النحاس وكبريتات الرصاص ٠

الصحة العامة :

اورد المؤرخ ديودوروس (عام ٥ ق٠م) فى أحد مؤلفاته ان اسلوب حياة قدماء المصريين يبدو مرتبا كان طبيبا نظمه وفقا لقوانين الصحة لا مشرعا مبتكرا للقوانين ٠

وكان الزواج فى مصر القديمة يتم بمجرد البلوغ مما جنب المراهقين الكبت الجنسى وما ينشأ عنه من عقد ٠ ولم يكن زواج الأخ من أخته معروفا فى غير مصر وان كانت هذه العادة ممعنة فى القدم اذ يروى التاريخ أن أوزوريس تزوج من أخته ايزيس وان نفتيس اقترنت بأخيها ست وقد احتفظ الفراعنة بتلك العادة تقليدا للآلهة وحرصا على صفاء سلالتهم ٠ وكانت من التغلغل الى حد أن ثلثى المتزوجين فى بلدة أرسنوى (الفيوم) مثلا كانوا متزوجين من أخواتهم ٠٠ وقد عاب الاغريق هذه العادة على المصريين زاعمين أنها تتنافى مع القيم البشرية ٠

وكان الاجهاض وتحديد النسل يعاقبان عقابا شديدا ٠ والعلاقات الجنسية محرمة أثناء الحيض ٠

ومع أن تعدد الزوجات كان مباحا فان الزواج بأكثر من زوجة كان محرما على الكهنة وكانت الظروف الاقتصادية تحد من هذا التعدد بحيث كان اغلب المتزوجين من المصريين القدماء يكتفون بزوجة واحدة ٠ وكانت للبغاء مؤسسة رسمية أنشئت من أجل غير المتزوجين والمسافرين والجنود ٠٠ أما الدعارة المقدسة كالتى كانت توجد فى الهند فلم يعثر فى المعابد الفرعونية على اى أثر يدل عليها ٠

الختان :

يقول المؤرخ هيرودوت (عام ٤٥٠ ق٠م) ان الذين زاولوا الختان من أقدم العصور هم المصريون والأشوريون والكولشيديون والأحباش ٠٠ أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه عن المصريين ٠

وكانت عمليـــة الختـــان تجرى للأولاد غالبا بين السادسة والثانية عشرة من أعمارهم فى المعابد ومع ذلك فانها لم تكن فرضا على الشعب (كما صارت فيما بعد عند اليهود أو سنة ** عند المسلمين) ومع أنها لم تكن مقصورة على الملوك والكهنة الا أنها كانت محتمة على من يقومون بطقوس معينة ٠

وقد اتخذ بعض المؤرخين من تتابع الولادة والختـــان مباشرة دليلا على أن هذه العملية كانت تجرى بعد الولادة بأيام ٠

ويوجد لقب الكاهن المختن أى الذى يقوم بالختـــان وهذا ربما يدل على أن هذه العملية كانت لا تدخـل ضمن اختصاصـات الجراح العادى ٠

وقد حاول الرومان تحريم الختان ولكنهم لم ينجحوا لأنه كان مفروضـــا من بعض الطقـوس الدينيـة ، ويروى المؤرخ سترابون (عام ١٠ م) أنها كانت تزاول كذلك بالنسبة للبنات ٠

النظافة العامة :

كان المصرى القديم يتميز بالنظافة الفائقة سواء أكان غنيـا أم فقيرا ٠ وقد أعجب السياح الاغريق بالمظاهر المختلفـــة لنظافة المصريين مثل عادة غسل أوانى الشرب واستعمال المليئات والمقيئات ثلاثة أيام كل شهر بل ان هيرودوت أشفق على الكهنة من تغاليهم فى النظافة (ولاشك فى أن للكهنة فضلا كبيرا فى تعليم المصريين النظافة حيث كان الكاهن يقوم بغسل يديه فى الصباح وفى المساء وقبل الأكل وبعد كل عمل يعتبر نجســا) ٠ ولم يعرف المصريون الصابون بل كانوا يستعملون الصودا فى الغسيل وكذلك الزيوت والروائح العطرية لصيانة البشرة وحفظ نعومتها ٠

وكان المصريون رجالا ونساء يتخلصون مما ينمو على أجسامهم من شعر اما بالحلق أو بالنتف أما الكهنة فقد كانوا يحلقون شعر رؤوسهم ووجوههم ويضعون مكانه شعرا مستعارا ولحى صناعية ٠

وكانوا يستعملون دهونا كثيرة لمنع الشيب ومن هذه الدهون دم الثيران الصغيرة السوداء ودهن الثعابين السوداء وزحم القط وبيض الغراب ، كما كانوا يلجأون الى دهون أكثر ندرة للتخلص من الصلع مثل دهون الأسد وفرس البحر والتمساح والقط وكذلك شوك القنفذ المحروق .

وترجع أولى مدارس الطب فى مصر القديمة الى ما قبل عصر الأسرات ، فقد كان لبعض هذه المدارس شهرة عظيمة ولا سيما مدرسة عين شمس (أون) وكذلك مدرسة منف والتى كانت تضم مكتبة طبية ذائعة الصيت ، وقد ظل الأطباء فى مختلف العصور يترددون عليها الى ما بعد عهد جالينوس (فى القرن الثانى الميلادى) .

وكان الطب والجراحة متقدمين عند قدماء المصريين ولاسيما فى العصور السابقة على عصر الأسرات بدليل وجود عمليات للتربنة فى الجمجمة لا تزال واضحة على جثث القدماء وهذه المعرفة قد وصلتهم عن طريق ممارسة التحنيط حيث أمكنهم اكتشاف محتويات الجسم الانسانى ودراسة أعضائه دراسة دقيقة وعميقة فتفوقوا على غيرهم من الشعوب التى كانت تحرق الجثث أو تدفنها بدون تحنيط (*) .

بيد أنهم عرفوا الكثير من أسرار الجسم البشرى عن طريق آخر غير التحنيط وهو تشريح الحيوانات (مثلما يفعل علماء القرن العشرين الميلادى حاليا) .

(*) كتاب تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء عند قدماء المصريين للدكتور عبد العزيز عبد الرحمن ، طبعة القاهرة ١٩٣٩ .

وكان الأطباء فى مصر القديمة يعرفون الشرايين ومواقع النبض المختلفة فى الجسم وكيفية جسه وعده ويجعلون لذلك اعتبارا كبيرا فى تشخيص المرض وكانوا يعتمدون فى الكشف على المريض فوق ذلك على الخبرة ودقة الملاحظة .. فكانوا يبدءون عادة باستجواب المريض استجوابا دقيقا ثم فحصه بالعين فحصا شاملا ثم جس نبضه وتقدير حرارة جسمه وتحليل افرازاته كما كانوا يهتمون اهتماما كبيرا بسير المرض وملاحظة أطواره ليصلوا الى تشخيصه بناء على هذه الاعتبارات كلها ووصف العلاج اللازم له .

وقد استعمل المصريون القدماء طرقا متعددة لعلاج الأمراض مثل الجراحة والكى والتدليك والعقاقير والتى عرف منها أكثر من ٥٠٠ نوع ومنها المواد المعدنية والتى كان منها الذهب والفضة والفيروز وصدأ النحاس وأملاح الحديد وسلفات الزئبق والبوتاسا والصودا وغيرها ، ومنها كذلك المواد والنباتات الطبية مثل الخردل والخشخاش والأبسنت والانيسون والنعناع واللوز والفستق والزعفران وغيرها ، ومنها كذلك المواد الحيوانية مثل العسل واللبن والزبد والكبد وغيرها .

ويتصل بالطب لدى قدماء المصريين عملية التحنيط ولو أنها كانت أقرب لديهم الى الطقس الدينى من عمل الطبيب اذ كانوا يطلقون اسم « دار الاله الطاهرة » على المكان الذى تجرى فيه عملية التحنيط وكان اجراؤها يستمر سبعين يوما لا يفتأ الكهنة أثناءها يرددون الصلوات ويشرفون على ما تقتضيه من مراسم وطقوس .. بيد أنها من الناحية الطبية كانت عملية دقيقة معقدة وتحتاج الى قدر كبير من المهارة والصبر وكانوا يستخدمون فى ممارستها عددا كبيرا من المواد المعدنية والعضوية والنباتية ومن ثم كانت كثيرة التكاليف.

ولا شك أن سر عملية التحنيط من أروع الأسرار التى حافظ عليها القدماء المصريون ومن أسطع البراهين على امتيازهم وتفوقهم فى

العلوم الطبية عامة ويكفيهم شرفا فى هذا المجال أنهـــم وضـــعوا الأساس الذى أقام عليه أبقراط ومن تلاه مبادىء الطب الحديث .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن رمز الصيدلة الفرعونية فى مصر القديمة كان على شكل ساق نبات أو عمود يلتف حوله ثعبانان متشـــابكان وهو ما اقتبســـه الاغريق وخاصـــة ابقراط حيث كان يستخدمه كشعار للطب والطبيب .

ولقد ساهم ملوك مصر القديمة بقدر كبير فى تقـــدم العلوم الطبية ، اذ كان الملك مينـــا أول ملوك الأسرة الأولى مهتما بزراعة النباتات السامة وطرق استخدامها طبيـــا ، ثم وضع الملك اثوتس ثانى ملوك هذه الأسرة مرجعا طبيـــا مهما اعتمد فيه على أبحاث الملك مينـــا .

وذكرت البرديات الطبية أن الملك تتا وهو ثالث ملوك الأسرة الأولى كان مهتما بعلم التشريح وألف فيه رســـالة كبيرة استخدمها الأطباء القدماء فى الكثير من علومهم ، اذ يذكـــر كتـــاب الموتى « هذا أول مجموع فى التذاكر الطبية النافعة لمعالجة البرص » . وقد نقل هذا الكلام من بردية قديمة جدا وجدت داخل محبرة تحت تمثال أنوبيس فى مدينة ليتوبولس (حاليا مدينة أوسيم) . كذلك ألف الملك زر من الأسرة الأولى كتابا قيما فى التشريح .

كذلك ذكر المؤرخ مانيتون (القرن ٣ ق٠م) ان الملك سنتس خامس ملوك الأسرة الثـــانية كان عالما كبـــيرا ونال احترام الجميع بسبب علمه الغزير وظل كذلك الى عهد اليونانيين بسبب تأليفه رسالة طبية مهمة وجدت فى مدينة سخم . كما كان الملك توسرثرس ثانى ملوك الأسرة الثالثة ماهرا جدا فى العلوم الطبية مثل الملك تتا وألف فيه كتبـــا قيمه ظلت تتداول بين الأطبـــاء حتى القـــرن الأول الميلادى .

وفي عصر الملك خوفو في الأسرة الرابعة وهو باني الهرم الأكبر بالجيزة وجد كاهن في معبد ديوت بالنوبة رسالة طبية بالقرب من المحراب فنقلها الى الملك وكتب بها عن كيفية العثور عليها كالآتي « ... كانت الأرض محدقة بالظلام والقمر يضيء من كل جهة على هذه الرسالة فاحضرتها اعجوبة لجلالة الملك خوفو » . ولقد نسخت هذه الرسالة في عهد الأسرة الثانية عشرة ثم في الأسرة التاسعة عشرة وكانت تدرس في مختلف المدارس وحفظت في دار كتب امحوتب التي استمرت قائمة الى عهد البطالمة واستنبط منها علماء اليونان طرق العلاج المختلفة .

وكانت العلوم عند قدماء المصريين متوطنة لديهم وراسخة في صدورهم وموضوعه في كتبهم تتوارثها الأجيال في عناية كبيرة وحرص عظيم حتى ان الملوك كانوا يؤلفون الكتب الطبية المختلفة عنها وعينوا أمناء لدار كتب الملك من وجوه الأعيان .

ولقد ورد في بردية ايبرس عنوان يدل على ما كان في مدينة عين شمس وصالجر من المعاهد الشهيرة في علم الطب كالآتي :

« ابتداء كتاب ترتيب الأدوية لكل عضو من الانسان « أنا جئت من آن (عين شمس) مع سراة المعبد الكبير وأساتذة الحماية. ورؤساء السلامة .. أنا جئت من « صا » مع أمهات المعبودات اللاتي أكدن لي حمايتهن وها هي التعريفات التي قررها لي سيد الكون لدفع الأوجاع التي تسوقها الآلهة والالهات القاتلة) » .

وكذلك جاء في بردية هاريس (والمحفوظة الآن في المتحف البريطاني بلندن والتي يبلغ طولها ١١٣ قدما) وصف شامل للمعبد في عصر الملك رمسيس الثالث وبداية عهد الملك رمسيس الرابع ـ وقد جاء في اللوحة ٣٦ منها الآتي :

(من أجلك صنعت نقوشا كبيرة دائرية حول معبدك وادخرتها في مكتبة مصر بعد نسخها ورسمها في لوحة ونقشتها بقلم الحفر

فصارت برعايتك أبدية لاتفنى ، وضعت لك ميزانا عظيما من الذهب لا مثيل له من قبل وعلى شاهينه المعبود تحوت جالسا كالحارس له) .

وجاء فى اللوحة رقم ٢٧ الآتى : وصنعت الرحيق والنبيذ ليجدد تقديمه كل يوم لمدينة آن فى المحل المخصوص وفى البساتين المخصوصة وفى الروح المقدسة التى كانت فيها سادة بلد الحياة وأنشأت لك جنات عظيمة معدة بالأغراس فيها رحيق ونبيذ وغرست لك الجهات بشجر الزيتون فى مدينة آن ، ورتبت لها زراعا ورجالا كثيرة ليصنعوا فيها زيتا نقيا مصريا كى يضيئوا به المصباح فى مقرك الفاخر وصنعت لك بيتا من خشب وبقاعا للغابات فيها أشجار ونخيل وحياض ينبت فى جميع جهاتها البشنين الخنزيرى والبردى والآس والأزهار ويخرج منها بذور وصمغ وأخشاب حلوة عطرية لوجههم الجميل (أى وجه المعبودات) .

وهذا يدل على ماكان حول المعابد والمعاهد ودور الكتب من صنوف الرعاية والتكريم كما تدل براعة التنسيق على سلامة الذوق ورقى المدنية .

وقد ذكر سترابون بان هليوبوليس (عين شمس) كانت مشيدة على ربوة صناعية وكانت منبع الديانة المصرية ومركزا للمدرسة التى أظهرت علم اللاهوت والفلسفة فى أقطار الدنيا ومنبعا للطب ، وقد نهل من ينابيعها الفلاسفة والعلماء مثل أفلاطون وأدوكس وفيثاغورث وسولون .

الأوزان والمكاييل فى مصر القديمة

اعتاد قدماء المصريين تفضيل استعمال الأكيـال على الأوزان حتى ولو كانت مادة العقار جافة • ولقد سادت الأوزان الحجرية طوال العصور الفرعونية الأولى ولم تظهر الأوزان المعدنية إلا حوالى عام ١٥٤٠ ق•م ، وفى العصر البطلمي سادت الأوزان المعدنيـة وحلت محل الأوزان الحجرية وذلك راجع لكثرة استعمال النقود المعدنية على غرار النظام الاثينى من توحيد أشكال مختلفة كقاعدة واحدة للتجارة والنقود •

١ ـ الأكيـــال :

(آ) وحدة حكات وتعادل ٤ر٧٨٥ لتر = ٣٢٠ رو = ١٠ هن •

(ب) وحدة $\frac{١}{٦٤}$ حكات = ٧٤ سم^{٣} (واعتبرت هذه وحدة قياسية جديدة) •

(جـ) وحدة هن (هنو) = $\frac{١}{١٠}$ حكات = ٤٧٨ سم^{٣}

(د) وحـدة رو = $\frac{١}{٣٢٠}$ حكات = ١٤ ـ ١٥ ســـم^{٣} (أى ما يعادل ملو ملعقة شربة) •

ولقد تغير وزن وحدة الـ (حن) عدة مرات طوال العصور الفرعونية .

٢ ـ الأوزان :

(آ) وحدة (قدت) « كاد » = ١٤٤ قمحة (= ٩٫٣٣ جراما) .

(ب) وحدة « بكا » (Beqa) = ٢٠٠ قمحة (= ١٢٫٩ جراما وقد استعمل فقط فى وزن الذهب) .

(جـ) وحدة « دبن » (أوتن) = ١٠ قدت (= ٩٣٫٣ جراما) .

(د) وحدة « سب » (Sep) = ١٠٠ قدت (= ٩٣٣ جراما) .

وفى عصر البطالمة ، أصبحت وحدة الدرهم (Drachma) هى السائدة فى الموازين وكانت تعادل حوالى ٣ جرامات .

الجراحة فى مصر القديمة

ظهرت فى مصر القديمة طائفة من الكهنة أطلقوا على أنفسهم إسم كهنة سخمت اى الجراحين (وسخمت كانت آلهة الأوبئة وتمثل دائما بجسم امرأة ورأس لبؤة) وهذه الطائفة انسلخت وتميزت عن باقى جموع الكهنة المتخصصين فى أمور الطب وعلاج المرضى وبمرور الوقت نشأت طائفة الجراحين من غير رجـــال الدين لم انقسموا الى فئات تخصصت كل طائفة فى أمر من أمور الجراحة، فمنهم من كان يختص بعمليات ختان الذكور (وخاصـــة قبـــل الزواج) ومنهم من كان يجبر الكسور ويخيط الجراح ومنهم من كان يجـرى عمليـات جراحيـة فى العيـون ومنهم من تخصص فى جراحة الأسنان ومنهم من زاول حرفة الكى بالنار للجروح العميقة وبعد بتر الأعضاء وغيرها •

كذلك قام الجراحون بتشريح أجسام الحيوانات والتى كانوا يقدمونها كقرابين للآلهـة وكذلك التى كانوا يحنطـونها ويأكلونها فى حين كانت دراسة وتشريح الأجنة الحية أو حتى الميتة محرمة دينيا وقانونيا • وعن طريق دراسة أحشاء المتوفين وخلال عمليات تحنيط أجسادهم عرف الجراحون الكثير من الأعضـــاء الداخلية

للانسان وظهر ذلك في مختلف مؤلفاتهم الطبية وخاصة بردية ادوين سميث الجراحية (والتي يعود تاريخ كتابتها الى حوالى عام ١٥٥٠ ق٠م وان كانت محتوياتها العلمية ترجع الى ما قبل عصر الأسرات أى الى ما قبل عام ٣٢٠٠ ق٠م) وتعد هذه البردية أول وأكمل موسوعة جراحية عرفها التاريخ • كذلك تعاصرها بردية ايبرز والتى تعد موسوعة كاملة لعلاج مختلف الأمراض •

ففى بردية ايبرز وردت معلومات شبه كاملة عن مختلف علوم الطب وتشريح لأعضاء الجسم الانسانى ومعلومات عن وظائف أجهزته • ففى لوح رقم ٩٩ نجد « مبدأ سر الطبيب معرفة حركة القلب (أى الانقباض والانبساط) ، فهناك أوعية تخرج منه لكل عضو ، أما بخصوصها فان أى طبيب أو كاهن سخمت (جراح) أو ساحر (طبيب روحانى — نفسى) يضع يديه أو اصابعه على الرأس (أى على الشريان الصدغى) أو على مؤخر الرأس (أى على شريان مؤخر الرأس) أو على اليدين (أى على الشريان الكعبرى) أو على القدمين (أى على الشريان بظهر القدم) فانه بذلك يفحص القلب لأن كل أعضاء الانسان تحوى أوعيته أى أن القلب يتكلم عن طريق أوعية كل عضو (أى النبض) » •

كما ورد فى نفس البردية (وصفة رقم ٨٥٤ و ٨٥٥) : « هناك أربعة أوعية لفتحتى الأنف ، اثنان يعطيان المخاط واثنان يعطيان الدم • وهناك أربعة أوعية داخل صدغيه ، وكل أمراض العيون تحدث عن طريقها لأن هناك ثقباً للعينين (أى للعصب البصرى) ويمر بها العصب البصرى والشريان البصرى أيضاً • وكذلك هناك أربعة أوعية منتشرة فى الرأس تصب (أى تنتهى) فى مؤخر الرأس وهى التى تحدث الصلع » •

أما بخصوص النفس الذى يدخل الأنف (أى الشهيق) فانه يدخل الى القلب والى الرئة وهذان يوصلانه الى كل البطن •

اما بخصوص الذى يسبب صمم الأذنين فهنــاك وعاءان يسببانه وهما الوعاءان الواصلان الى جذر العين فاذا فقد السمع فقد النطق . كما ورد بالبردية ان أوعية القلب تغذى الأحشاء بالدم والماء والهواء وأن الهواء يدخـــل الأنف ويذهب الى القلب والرئتين ليتوزع على الجسم . أما عودة الدم الى القلب وأكسدته فى الرئتين فلم يرد فى اى من البرديات ما يؤيد معرفة ذلك . كذلك لم يرد مقدرة التمييز بين الأوتار والأعصاب والأربطة ولم يعرفوا دقائق الخلايا التى يتكون منها جسم الانسان ولكن عرفوا أن النبض هو نتيجة قوة القلب وحركته وعرفوا وظيفة القلب وأنواع الأوردة ، وأن القلب هو مركز جهاز الأوعية الدموية كما لاحظوا حركة القلب وقاموا بعد النبض باستخدام الساعات المائية .

وفى بردية ادوين سميث الجراحية ظهر أن كاتبها الاصــل كان يعيش فى عهــد بنــاة الأهرام ورافق الجيش فى زمن الحرب حيث تظهر بجلاء شروح مختلف اصابات الجمجمة والعظام . كذلك حوت البردية تعبيرات طبية قديمة وغامضــــة على من نسخها فى القرن السادس عشر ق.م مما اضطرته الى اضافة فقرات تفسيرية بعد عدة قرون من تداولها . وظهر لأول مرة فى التاريخ لفظ يعنى المخ وحاول الجراح تحديد مراكز المخ باسلوب دقيق وألفاظ ميسرة مثــل هذا كسر بسيط .. وذاك كسر مضاعف .. وذاك كسر مضاعف متفتت .. وفسرها الجراح القديم بعناية . كما ان اى كسر بالجسم مصحوب بجرح وحرارة يصبح أشد خطرا من الكسر الذى ليس به جرح .

كذلك ضمت البردية أقدم البيـــانات التشريحية والوظيفية والمرضية من ناحية علاقة مراكز المخ بحركة الأطراف السفلية نتيجة اصابة الجمجمة والمخ كما راقب الجراح باستمرار الصلة الوثيقة بين اصابة الرأس وهــذه الأطراف . كذلك تدل ملاحظات البردية على

ان الجراح الذى كتبها قد مارس التشريح وعرف القلب واتصالاته وقارب التعـــرف على الدورة الدموية لأنه كان عالما بأن القلب هو المركز والقوة الدافعة للأوعية المنتشرة بالجسم • كذلك تعرف على العضلات المختلفة أما معرفة الأعصاب فلم تتعد المخ والحبـل الشوكى باعتبارهما مركزين مهمين فى الاشراف العصبى • كما ذكر الجراح ملاحظة مهمة وهى أن خلع الفقرات العنقية يحدث افراز السائل المنوى لا اراديا (ولم يرد بالبردية أية معلومات عن الجهاز الهضمى بسبب عدم وجود الجزء الدال عن ذلك) •

وتحوى البردية مصطلحات علمية تخفى على عين المختصـين وهى فذة فى تبويبها وجعل وصفه للحالات مرتبا من قمة الرأس الى الوجـه الى الصــدغ الى الرقبـة ثم الترقوة والعضد ووصف الحالات مبتدئا بأبسطها وأسهلها علاجا • فالبردية تحوى مناقشات لثمان وأربعين اصابة ويبدأ الجراح كل حاله بفحص المريض والتأكد من أن الجرح قاصر على الأنسجة الرخوة أو واصل الى العظم فقط أو الى الأحشاء الداخلية المهمة • وتتبع الجراح أثر الاصابات على وظائف الأعضاء وكان أسلوب فحصه سليما وجديدا واســـتخرج معلوماته عن طريق مناقشة المريض وتوجيهه للقيام بحركات معينة وبهيئات معينة ثم جمع معلوماته من ملاحظاته بطريق الابصـــــار أو الشم أو الحس واستعان فى حسه بالاصابع وبالمعالجة اليدوية •

كذلك استعان الجراح بملاحظة حـــركة القلب عن طريق النبض ، كما ادمج العلاج الميكانيكى فى فقــرة الفحص بأغلب الحالات لا فى فقرة العلاج بالعقاقير مما يثبت أنه منذ تلك العصور القديمة كان هناك فى مصر القديمة فرق بين الجراحة والطب •

وشخص الجراح الحالة على أساس الفحص وهو أقدم اجراء من نوعه ورد بالتاريخ • وكان هدفه اثر فحصه هو الخطوة التالية فى العلاج ، لذلك كان تشخيصه يحوى حكما من ثلاثة •

١ ـ هذه حالة أعالجها واشفيها ٠
٢ ـ هذه حالة اعالجها وسأجتهد فى شفائها ٠
٣ ـ هذه حالة لا أقدر على علاجها ولا أمل فى شفائها ٠٠

وهكذا كان الجراح ينهى رأيه فى موقفه بأحد هذه الأحكام ، وقد سبقت هذه الأحكام الثلاثة ملاحظات فى ٤٩ تشخيصا وردت بالبردية ، وتعتبر هذه أقدم أمثلة للاحظات ونتائج فى التاريخ الطبى ٠

ومن بين ٤٨ حالة موصوفة لم يحاول الجراح علاج ١٦ حالة منها ٠ كما أورد ٤٢ نوعا من العلاج لاصابات فى ثلاث منها كان العلاج ميكانيكيا صرفا أو جراحيا صرفا ، فى حين أن ٢٠ حالة منها كان العلاج جراحيا ومصحوبا بعلاج موضعى وفى ١٩ حالة كان العلاج موضعيا فقط ٠ وهكذا ظهر لأول مرة فى التاريخ أن العقل المصرى يبحث وراء أسرار الجسم البشرى ، ويبحث الحالات والتغيرات التى تحدث نتيجة أسباب طبيعية ومفهومة ٠ واثبت مؤلف البردية حقائق كل اصابة مرتبة ترتيبا واضحا أمام ذهن المشاهد حتى يمكنه أن يستنتج نتائج سليمة مبنية على حقائق مرئية مما يجعل هذه البردية أقدم بحث وأقدم مستند علمى أيضا ٠

وسجل الجراح فى هذه البردية أقدم ما عرف عن استعمال الضماد اللاصق والحياكة الجراحية ، وأكثر من استعمال القماش الماص واستعمل الفتيل فى علاج اصابات الأنف والأذن الخارجية كما استعمل الكمادت والسدادات ٠ ومن بين اللفائف نوع صنعه المحنط الذى يعد أمهر مضمد فى التاريخ لكى يستعمله الجراح ٠ كما استعان الجراح بالجبس اللاصق لتقريب شفتى الجرح الفاغر ، أما الجروح الخطيرة فقد كانت تغلق بالحياكة وذلك لأول مرة فى التاريخ (وكثر

استعمال الحياكة منذ الأسرة ٢١ أى فى القرن ١١ ق·م لسد فتحة البطن بعد اخراج الأحشاء أثناء عملية التحنيط) ·

كذلك استعمل الجراح ثلاثة أنواع من الجبائر :

١ ـ فى حالة الاصابة بمرض الـكزاز (التيتانوس) تمكن الجراح من تغذية المريض بالغذاء السائل عن طريق فتح الفم بواسطة قطعة من الخشب مغلفة بالكتـان ، كما كان هناك نوع آخر من الجبائر وصفت بأنها كتانية بنفس أوصاف السابق وعثر عليها فى جثتين مصريتين من عهـد المملكة القديمة أى من ٣٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ سنة ق·م) ·

٢ ـ جبائر من طبقات متعددة من الكتان ملصقة ومشبعة بالغراء والجبس ومشكلة وقت مرونتها بالشكل الذى يتكيف مع العضو المصاب وتسمى بالجبائر المقواه أو الكرتونية · وقد عثر على عينات منها مشكلة بشكل الأعضاء فى كثير من المومياوات وتشبه الى حد كبير تلك القوالب الجراحيـة الحديثـة المستعملة لحمل الأطراف المكســـورة ·

٣ ـ جبائر عبارة عن لفات مقواه من قماش كان يســتعمل لحالات تحتاج الى جبيرة مرنة مثل كسر عظمة الأنف ·

أما فى حالة كسر تفتتى مضاعف بالجمجمة فقد اضطر الجراح الى رفع المريض عن طريق وضع وسائد من اللبن المجفف تحت حرارة الشمس حول الجسم وتحت الابطين ومشكلة بحيث تتفق مع شكل الجسـم ·

ولم يذكر مؤلف البردية اى شىء عن الآلات الجراحية التى استخدمها فى عمله اللهم سوى مثقاب النار الذى استعمل للكى بعد تسخينه ، كما عثر على فك سفلى من عهد الأسرة الرابعة (٢٩٠٠

ـ ٢٧٥٠ ق٠م) وبه ثقب بجوار الثقب الذقنى لتصريف صديد خراج تحت ضرس طاحن مما يشير الى استعمال آلات جراحية (غالبا من البرنز) ، ومثل هذه الآلات كانت معروفة أيام كتابة البردية بدرجة كبيرة فلم تكن هناك حاجة لذكرها أو رسمها ٠ كذلك كان الجراح كاتب هذه البردية ينصح باستمرار بترك الطبيعة لتقوم بعملها (وهذا ما نقله ابقراط فى كتبه حرفيا) ٠

واغلب الظن أن أصـــل بردية ادوين سميث الجراحية كان متداولا أثناء بناء الهرم الأكبر حيث وردت عبارة بها قائمة بذاتها خاصة بالقلب ، ذكرت أيضا فى بردية ايبرز ، بأنها منسوخة من كتاب قديم عنوانه « الكتاب السرى للطبيب » مما يوحى بأن الكتاب الأخير هو الأصل ٠ وبأن كاتب بردية ايبرز قد نقلها عن كاتب بردية ادوين سميث،وكان عنوان المرجع الوارد فى بردية ايبرز هو العنوان القديم لبردية ادوين سميث ٠ ويظهر بوضوح من البردية أن كاتبها كان ثاقب الرأى،وسليم الفكر وواسع الأفق فى زمانه،وأنه استمد ملاحظاته من الفيزياء والكيمياء والهندسة المعمارية ومن كل نواحى الحياة اليومية كما يظهر من وصفه للمخ وأغشيته والسائل النخاعى للمخ وشبه تعاريج المخ بالنحاس المصهور (وذلك راجع الى ملاحظاته للبوتقات التى يصهر فيها النحاس فقارن بين تلافيف المخ بتعرقصات رغوة النحاس المنصهر) ٠ كذلك وصف الفقرات والكسور التى تحدث لها بحيث تنغرز كل فقرة فى الأخرى التالية لها كما تنغرز القدم فى الأراضى المنزرعة ٠

كذلك عند تشريحه للفك السفلى قارن تشعب مؤخرته بقـدم طائر ذو مخلبين يقبض بهما على عظمة الصدغ ٠ كما أطلق اسم دودة مائية على خيوط الدم المتجلط ، كذلك وصف جيب عظمـة الجبهة بحجرة سر المعبد ، كما أطلق على جسر الأنف اسـم عمود الأنف ، وشبه ثقب الجمجمة بثقب كسر فى الجرة الخزفية ٠٠٠

وغيرها من المصطلحات العلمية القـــديمة والمألوفة للكاتب الأصـــلى للبردية وكان من الضرورى للكاتب الذى انتقلت الى حوزته هذه البردية فى عصور لاحقة أن يفسرها بابتكارات من تعبيرات دارجة سهلة الفهم ٠

وقد لوحظ على بردية ادوين سميث أيضا انه فى أواخر المملكة القديمة (حوالى عام ٢٥٠٠ ق٠م) قد أتى جراح مجهول الاسم مثل الجراح الأصلى المجهول أيضا وأضاف الى نصوص هـذه البردية الجراحية فقرات تفسيرية وشروحا أو جداول تفسيرية الى كل حالة ٠٠ مثال ذلك ان الكاتب الثانى لما لاحظ أن الكاتب الأول يقول للجراح المعالج « أرس مريضك فى أوتاد مرساه » وهو قول عتيق لم يكن مفهوما فى زمانه ولذلك كتب مفسرا ذلك بقوله « أطعم مريضك طعامه العادى ولا تعطه أى دواء » ٠ وعلى منوال ذلك قام بشرح كل التعبيرات التى وصفت الاصابات المتباينة أو وصفت حالة المريض أو أعراض اصابته ٠

كذلك أضاف الجراح الثانى تفاسير عديدة لمصطلحات تشريحية مقتبسة من الطبيعة أو من المهن ، وبلغت هذه المناقشات الستين تفسيرا كونت معجما صغيرا للاصطلاحات الطبية القديمة ٠ وبذلك أصبحت هذه البردية مزيجا من نص الجراح الأصلى مع تفسير قديم لذلك النص ٠ كما حوت البردية معلومات عن الأحشاء والأنسجة تشير الى أن الجراح الأصلى الأول القديم قد مارس تشريح الجسم الآدمى ، كما ولابد وانه قد اشترك فى عمليات للتحنيط ٠

كما عرف كاتب البردية أعراض الالتهاب ووصف الجروح فى مختلف أدوارها المختلفة وصفا دقيقا وعرف أعراض الضغط على المخ وما يتبعه من فقدان للوعى والشلل ٠ كذلك وصف أعراض تهيج المخ والتهاب أغشيته ، وعرف أن شفاء المصاب أو موته يتوقف

على النبض داخل الجمجمة من ناحية وجوده أو عدمه · أيضا ذكر الجراح ان اصابة الرأس تحدث شللا فى أحد نصفى الجسم · كذلك ناقش فتق الكيس المغلف للمخ أى سحاياه فى حالة كسر تفتتى مضاعف بالجمجمة واعتبر ان مركز الوعى والفهم موجود فى القلب والأمعاء أو البطن وربط بين اصابات المخ وأجزاء الجسم وبالأخص الطرفين السفليين حيث لاحظ جر القدم (الشلل الجزئى) نتيجة لاصابة الجمجمة ، ثم جاء الجراح الثانى بعده وفسر بعناية كلمة جر التى أصبحت عتيقة وغير متداولة · وأثبت ملاحظته فوق العادية بان أثر الاصابة المخية على الأطراف تختلف من جانب الى آخر باختلاف جانب الجمجمة المصاب ·· وهذا هو أول تحديد وظيفى للمخ ، واكتشف الجراح القديم بذلك أن المخ هو المركز المهيمن على حركات الجسم ·

كذلك عرف الجراح أن هناك مركزا عصبيا آخر يهيمن على حركات الجسم وهو الحبل الشوكى الا أن الجراح لم يتعرف على ارتباط هذين المركزين (المخ والحبل الشوكى) ببعض من ناحية وبسائر أعضاء الجسم من ناحية أخرى ولهذا لم يذكر أيا من الأعصاب الممتدة منهما الى أجزاء الجسم لأنه ببساطة لم يعرفها (وقد تم اكتشاف هذا الارتباط والفرق بين الأعصاب والأوعية على يد الطبيب الاغريقى ايراسيستراتوس فى القرن الرابع ق·م فى مدرسة الاسكندرية الطبية القديمة ، فى حين أن العلاقة بين المخ والحبل الشوكى والجهاز العصبى قد اكتشفها الطبيب الاغريقى هيروفيلوس فى أواخر القرن الرابع ق·م أيضا أثناء أبحاثه) ·

وذكر الجراح أيضا فى البردية وصفا مدهشا لجذع المفاصل حيث قرر بأنه انفصال عظام بدون أن تتغير علاقة بعضها ببعض ، كما لاحظ تهيج المريض وهيئته الخاصة من ناحية مسح عينيه بظهر يده دون أن يدرى ما عمله · كما قام بفحص المريض عن طريق وضع

اصبعه فى الجرح المسبب من كسر العظام والاحساس بفرقعة الكسور والنبض والحرارة ، كمـــا وصف تصـــلب الرقبة والنزيف تحت الملتحمة والنزيف من المنخرين والأذنين ، ويذكر كذلك الشلل النصفى والكلى وسيل البول والانتفاخ وغيرها من العلامات العامة ٠

كذلك ذكر الدماغ بانه يسيطر على كل أطراف البدن وانه اذا أصيب الدماغ بأذى فى مغرز متصل بأحد الأطراف أصاب ذلك الطرف بضرر ٠ كما أدخل الجراح أصابعه داخل الجمجمة ليحس محتوياتها وليكتشف نبضها وهو ما أسماه بالخفقان والانقباض المتتابعين كالمشاهد فى يافوخ الطفل الرضيع قبل انسداده ٠

أيضا تعرف الجراح دون خطأ على القلب بصفته مركز جهاز الأوعية المنتشرة بالجسم ، كذلك بين أهمية ملاحظة حركة القلب فى تعرف حالة المريض ، ويحتمل أنه قام بعد ضربات القلب ، كما عرف أن النبض ما هو الا نتيجة لقـوة القلب وحركته ، ولكن البردية لا تحوى معرفة الدورة الدموية بدقة ، وان عـــرفوا أن الشرايين والاوردة تتوزع من القلب ٠

كذلك تظهر البردية معرفة الجراح بأجهزة العضلات والأوتار والأربطة وذلك عندما ناقش الجراح عضـلات الفك السـفلى عند الانسان وطريقة تثبتها بعظمة الصدغ ، كما أطلق اسم الوتر أيضا على الوعاء الدموى حيث لم يتمكن من التمييز بين الأعصاب وبين الأوعية الدموية (وهذا ما اكتشفه ايراسيستراتوس) ٠ كما ذكرت البردية وجود وعاءين بالقفص الصدرى يتجه أحدهما نحو الرئتين والآخر نحو القلب ٠

كما عرف الجراح قمة القلب ونبضها ونبض الشرايين الدائرية (عند الأطراف) وعرف أن هذين النبضين يحصلان فى وقت واحد ، كما عرف سرعة النبض وحجمه وتظامه وأن كل هذه تكون دليلا

تقريبا على حالة القلب . وعرف أيضا أن حركة القلب وأثرها (من نبض وقوة دفع) توزع على أجزاء الجسم عن طريق الأوعية ، وأن الاصابات بالجسم لها آثرها على القلب ، وان القلب مقياس يقاس به صحة المصاب .

وورد بالبردية طرق لرد الخلع واصلاح الكسور ووضع جبائر من الكتان الجاف الصلب ، وكذلك خياطة الجروح مع تيقنه بأنها سوف تتقيح لذلك كان يدهنها بالدهن والعسل ، كما كان يضع قطعا من الكتان على الجرح لكى تقرب بين حافتى الجروح بحيث تكون مشدودة ويمنع وضعها عندما تكون الجروح ملتهبة ومتقيحة . كما يربط الجروح فى كل الحالات ماعدا فى حالة ضغط المخ أو شدة القيح حتى لا تظل الافرازات داخل الجروح ، ثم يضع المكمدات على الجروح فى اليوم الأول وذلك لوقف النزيف ، ثم يضع فى الأيام التالية العسـل .

كذلك لم يهتم الجراح كثيرا بالأذن ولم يناقش العين (فى حين كان أول من شرح العين وعرف اتصال عصبها بالمخ هو هيروفيلوس) . كما ذكرت البردية طريقة رد خلع الفك السفلى الى وضعه الطبيعى الأصلى عن طريق وضع أصابع الجراح بطريقة معينة مستخدما ابهامه وسبابته . وأظهرت البردية أن هناك فرقا بين الجراح والطبيب الباطنى وأن الأول كان قوى الملاحظة وقادرا على استخلاص النتائج من مشاهداته وذا عقل علمى الاتجاه .

كذلك تدل عمليات التحنيط على مهارة المصريين القدماء فى التشريح والجراحة ، اذ أنهم كانوا يحنطون جثث الموتى من البشر والحيوانات ، وتدل المومياوات المكتشفة على آثار لعمليات جراحية كبيرة مثل عملية أجريت فى ضرس بالفك السفلى عبارة عن ثقب أحدث به لاستخراج الصديد من خراج به . كذلك أجروا الختان للصبيان والرجال اعتقادا من أنه يمنع عددا من الأمراض .

الفصل الثانى :

القسم الأول :

المدارس الطبية والصيدلية فى مصر القديمة

فى عصور ما قبل الأسرات تمكن المصريون القدماء من معرفة الكثير عن الخواص العلاجية وتأثيراتها الطبية لمختلف أنواع الأعشاب الطبية • وقد بدأت هذه المعرفة في التكوين نتيجة تلقين الأب العارف لكل هذه الخواص لأبنائه في المنزل لكى يتمكنوا من مواصلة مهنته من بعده • وكانت بعض العائلات الشهيرة تحتكر هذه المهنة بسرية تامة والذين نجحوا فى علاج المرضى مستخدمين كافة أنواع العقاقير من نباتية وحيوانية ومعدنية مع تلاوة بعض العزائم والأدعية السحرية وتحضير بعض التمائم لاعطائها للمرضى لكي يثبتوها فى ملابسهم لاتقاء شر بعض الأرواح الخبيثة • وبذلك أصبحت هذه المنازل بمثابة المدارس الأولية لتعليم الأبناء والأقارب أسس الصيدلة والطب وعلومها ، وكذلك فن تحضير الوصفات الطبيـــة المختلفة وأسس القراءة والكتابة •

وعندما أصبحت الكتابة والقراءة ميسورة لعدد كبير من الناس وكان ذلك قبل عام ٥٠٠٠ق٠م ، بدأ هؤلاء الأطباء المشابون فى تدوين كل ما يعرفونه من علوم ومعرفة على أفرخ من ورق البردى متضمنة كل التركيبات الصيدلية وطرق استعمالها وتأثيرها العلاجى ونوعية المرض الذى يمكن شفاؤه بواسطة احدى هذه الوصفات ٠ وقد أعطيت نسخة من هـذه المعلومة القيمة الى كهنة معبد مدينة آنو المقدسة (هليوبوليس) والتى علقوها على الجدران أو حول الأعمدة بحيث يمكن للمرضى الزائرين أن يتباحثوا مع الكهنة حول أمراضهم وبالتالى يتمكن الكهنة من وصف العلاج المتناسب حسب الموجود فى البرديات المعلقة أمامهم ٠ وبمرور الوقت أصبح هذا المعبد قبلة المترددين من المرضى طالبى الشفاء ومكانا للحج المقدس (*) ٠

كذلك قصد هذا المعبد تلاميذ الطب والصيدلة الراغبون فى الاستزادة من التجارب وطرق العلاج باستخدام الأعشـــاب الطبية ولمعرفة فوائدها وكذلك طرق تشخيص الأمراض وكيفية استخدام كل تلك المعلومات وتطبيقها خلال ممارستهم المستقبلية ســواء فى الطب أو الصيدلة ٠

ومن ناحية أخرى فان الكهنة عمدوا الى جمع كل هذه المعلومات الطبية والصيدلية فى مرجع واحد شامل كبير وأطلقوا عليه اسم « كتاب الشعلة أو الكتاب المقـــدس » Book of Ember وكانوا يصفونه بأنه هدية من الاله تحوت وأصبح منذ ذلك الوقت الأساس الأول للمراجع الطبية فى العلاج والتشخيص واستطاعوا اقناع العامة بأصله السماوى وبأنه لا يمكن التغيير فيه ٠

(*) The Story of Medicine ; by Victor Robinson.

وكتاب الشعلة هذا سرعان ما احتكره كهنة هذا المعبد واحتفظوا به داخل حجراتهم فقط وأحاطوه بسرية كبيرة بحيث لم يعد أحد يقرأه للاستفادة به غيرهم . وبمرور السنين ازداد اهتمام المصريين بالعلوم الطبية والصيدلة ورغبوا فى تعلم المزيد منها وأجبروا الكهنة على ازاحة الستار عن هذه المعلومات المهمة الموجودة فى كتاب الشعلة بطريقة مبسطة لكى يفهمها الجميع فى كل المعابد. وبالتدريج أنشأ كهنة المعابد مدارس لتعليم المهن الطبية والصيدلية ومستشفيات خاصة بها لعلاج المرضى وصرف الأدوية اللازمة لهم . وهذه المدارس كانت تتركز خاصة فى المعابد الرئيسية الكبيرة فى عواصم أقاليم مصر كلها وقام بالتدريس فى هذه المدارس كهنة متخصصون وذوو تعليم طبى سابق . وبالتدريج قام هؤلاء العلماء بتدريس كل العلوم المعروفة فى ذلك الوقت وأصبحت هذه المعابد بمثابة جامعات وأكاديميات عصرنا الحديث .

وكان الكهنة ذوو الأخلاق الحميدة يختارون لكى يعدوا علميا للقيام بالتدريس فى هذه الجامعات وكان لهم زى خاص يعرفون به وهو زى خشن الملمس مصنوع من الكتان الأبيض على هيئة جلباب طويل ويغطون ظهورهم بجلد فهد ويسيرون محلوقى فروة الرأس تماما .

كذلك كان التلاميذ الراغبون فى التعلم بهذه المدارس يختارون من هؤلاء القليلى الكلام وزائدى الشجاعة والمتحلين بالصبر العظيم وأن يكونوا قد أجريت لهم عملية الطهارة فى طفولتهم كدليل على نظافتهم وطهارتهم وكذلك أن يكونوا قد حصلوا على تعليم دينى أولى فى أى معبد خشية اختلاطهم مع أشخاص سيئى التربية والأخلاق .

أيضا فى حالة اقتراف أحد الطلبة عملا مشينا واللى يمكن أن يسبب ويؤثر على انضمامه الى هذا المعهد العالى فانه يلقى عقابا

صارما قد يكون السجن أو الاعدام وهذا يكون بمثابة أمثولة ارهابية فى أذهان جميع الطلبة الراغبين فى استكمال تعليمهم فى هذه المدارس لكى يحافظوا على نقاوتهم والسلوك القويم والأخلاق العالية وذلك راجع الى الاعتقاد العام بين الجميع بأن الصيادلة والأطباء هم رسل أمينة من الاله السماوى للعمل على حفظ صحة وحياة المرضى ٠

وكانت الدراسة والتعليم فى هذه المعاهد تمتد لعدة سنوات وكان على الطلبة أن يحصلوا على تعليم أولى عن المبادىء الأساسية للعلوم ثم يختار أساتذتهم أكثر الطلبة ذكاء لكى يسمحوا لهم بمتابعة دراستهم العليا ، وهذا النظام كان يتكرر فى كل مرحلة من مراحل التعليم ٠ وفى نهاية كل مرحلة من التعليم العالى يجتازون اختباراتهم بنجاح فان المسئولين عن هذه المعاهد يحتفلون بهذه المناسبة باقامة حفل تخريج لهذه الدفعة فى أكثر الأماكن قداسة فى المعبد حيث يحضره الأساتذة وكبار المسئولين فى الحكومة والخريجون الذين يرتدون ملابس خاصة بهذه المناسبة ثم يقسمون قسما مقدسا يحوى ما يجب عليهم عمله نحو المرضى من مساعدتهم بكل ما فى وسعهم من علم وأن يعالجوا المرضى الفقراء بلا مقابل وأن يحسنوا معاملة الجميع وعدم افشاء أسرار المرضى وكذلك القسم بالآلهة المقدسة بالعمل على كتمان كل ما تعلموه من علوم حتى لا يتداول بين أيدى العامة فيسيئوا استخدامها وهذا القسم كان يسمى قسم تحوت ٠

وهذا القسم عمل على نقله حرفيا الى الاغريق الطلبة الذين أتوا من جميع البلدان الاغريقية وجزرها وخاصة الطبيب أبقراط الذى تعلم فى جامعة معبد هليوبوليس ونقل هذا القسم الى بلاده حيث عرف باسم قسم أبقراط والذى حمل جميع الخريجين من الأطباء والصيادلة الاغريق على ترديده قبل ممارستهم لمهنهم وانتشر هذا

القسم فى جميع دول العالم ويعمل به حتى الآن بالرغم من أصله الفرعونى القديم والذى وجد مكتوبا فى بردية هيرست (حوالى ١٥٠٠ ق٠م) ٠

وكان خريجو هذه المدارس الطبية والصيدلية يرغمون على قضاء مدة معينة بعد تخرجهم للعمل مجانا فى هذه المعابد ومستشفياتها كوفاء لما فعلته معهم من تعليم وتثقيف ثم يسمح لهم بمزاولة المهنة بكل حرية ٠

وقد أنشأ كل معبد عيادة خارجية ملحقة بالمستشفى الداخلى وكذلك بمدرستى الطب والصيدلة حيث يجرى فيها الكشف على المرضى بالمجان ويصرف لهم الدواء بالمجان أيضا من الصيدلية الملحقة بالعيادة ٠ وهذه الصيدلية كانت تحوى جميع الأدوية والعقاقير اللازمة فى تحضير مختلف أنواع الوصفات الطبية لعلاج المرضى ٠ وكذلك كان بكل معبد حديقة نباتية كبيرة ملحقة به ويزرع بها كافة الأعشاب الطبية التى تدخل فى تركيب الوصفات الطبية ويقوم على العناية بهذه الحديقة صيادلة ذوو خبرة طويلة فى زراعة الأعشاب الطبية وجنيها وحفظها ثم تنقل الى المعامل الملحقة بهذه الحديقة أو المزرعة والتى تحوى كافة الآلات والأجهزة المعملية على أحدث الطرق والقواعد التى كانت سائدة فى تلك العصور ثم يقوم صيادلة متخصصون فى تحضير كافة الخلاصات من هذه الأعشاب لكى تدخل فى تحضير مختلف الأدوية والتركيبات الصيدلية ويمكن التحقق من ذلك بزيارة معبد كوم امبو فى الوجه القبلى ٠

ولقد عمدت العائلات الثرية الى ارسال أبنائهم للدراسة والتعليم فى المعابد الشهيرة ذات الشهرة الواسعة فى مستوى التعليم الممتاز وذلك لتعلم مختلف العلوم والمهن مثل الصيدلة والطب والهندسة والفلك وغيرها بالاضافة الى القراءة والكتابة ٠

ومن اشهر هذه المعابد فى كل تاريخ مصر القديم هو معبد آنو (هليوبوليس المقدس (بالمطرية من ضواحى القاهرة) وكانت كل المدينة تعتبر مقدسة ومخصصة لعبادة الاله الواحد (رع) . وكان هذا المعبد يعد أقدم وأشهر المعابد المصرية والمعروف لجميع البلدان المحيطة بمصر والبحر المتوسط وذلك للمستوى العالى الممتاز فى الدراســـة والتثقيف لجميع العلوم وكان كل الطلبة فى مصر والخارج يعملون جهدهم للالتحاق بهذا المعبد والذى يعتقد أنه أنشىء قبل عام ٤٠٠٠ ق.م. بقرون طويلة (*) .

وهذا المعبد وبخاصة مدرسته الشهيرة للعشابين كانت مشهورة بالمستوى التعليمى لخريجيها بحيث يكفى الخريج أن يقول انه قد تعلم فى جامعة معبد آنو لكن ينال احترام الجميع .

أما مدرستها الطبية فكانت تدرس خــلال السنتين الأوليين معلومات طبية عامة فى حين انها خلال السنوات اللاحقة كان الطلبة يلحقون فى مختلف الاقسام التخصصية الطبية مثل الطب الباطنى أو طب العيون أو أمراض الجلد أو الجراحة أو طب الأســـنان وغيرها .

وكانت مدرسة العشابين تدرس لطلبتها فن تحضير الأدوية والعقاقير والمستحضرات الصــيدلية المختلفة من النباتات والمعادن والحيوانات مع الاهتمام الخاص بطريقة زراعة الأعشاب الطبية ونموها وحفظها وغيرها .

ولقــد زار مصر العــديد من الطلبــة الاغريق لكى يدرســوا ويتعلموا فى هذا المعبد وغيره من المعابد الشهيرة مثل معبد ممفيس ومعبد مدينة سايس وغيرها ومنهم ابقراط وفيثاغورس وجالينوس

(*) A History of Egypt ; by J. Breasted.

وادوكس وســـولون وافلاطون وكورنيليوس كلســوس وسرابيون (حوالى عام ١٥٠ م) وديموكريتس (حوالى ٤٠٠ م) وابيقورس والكثيرون منهـــم ولا ننسى هـــذا الطبيب الأســـطورى الاغريقى اسكليبيوس فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد · وكذلك الكثير من الرومان أمثال هيكاتيوس المالطى (فى عام ٥٢٠ ق·م) وهيكاتيوس من ابديرا (فى عام ٣٠٠ ق·م) والفلاسفة أمثال أريستوفانس وبلينى وزينوفانس وتاكيتس وغيرهم من الاغريق والرومان ولا ننسى كذلك الفيلسوف أيودوكسس فى عام ٣٩٥ ق·م ·

ومن المعابد الشهيرة أيضا والتى تعلم فيها أشـــهر الفلاســفة الاغريق والرومان معبد ممفيس فى مدينة منف (جنوب القاهرة وحاليا البدرشين وسقارة) والتى أصبحت عاصمة مصر الموحدة فى عام ٣٢٠٠ ق·م والتى بناها الملك مينا موحد القطرين ·وهذا المعبد أنشىء فى عهد الدولة القديمة حوالى عام ٢٨٠٠ ق·م وكان للمعبد يحوى مدرســة شهيرة للصيدلة وأخرى للطب (والأخيرة كان من طلبتها الطبيب الشهير امحوتب والذى أصبح بعد ذلك أحد أساتذتها ثم رئيس المعبد كله والرئيس الاعلى للكهنة فى مصر والذى بعد وفاته سمى المعبد باسم معبد أمحوتب) وكان يحوى مكتبة ضخمة بها كل المراجع والكتب المهمة فى كل العلوم · وكذلك كان بالمعبد الكبير معبد صغير آخر لعلاج الأمراض النفسية معتمدا على العلاج بالموسيقى وبعض الأعشاب الطبية المهدئة · وهناك معبد ثالث مهم هو معبد مدينة سايس (حاليا صا الحجر) وكانت على بعد ٦٠ كيلو متر جنوب مدينة الاسكندرية الحالية واشتهر هذا المعبد بمستواه العلمى الرفيع وخاصة مدرستى الطب والصيدلة · ولقد ورد ذكر هذا المعبد فى بردية ايبرس حيث ذكرت أن كاتبها وناسخها قد تخرج من معبدى هليوبوليس وسايس (كدليل قوى على مهارته الفائقة فى الطب) وهذه البردية كانت تعتبر المرجع الرئيسى والأساسى المهم فى تصنيف

الأدوية والعقاقير فى جميع الفروع ولكل أعضاء الجسم . وكذلك كانت ملحقة بالمعبد مدرسة شهيرة للتوليد والعناية بالحوامل والمواليد .

ولقد ذكر المؤرخ سترابون الاغريقى بأن مدينة هليوبوليس كانت المنبع الرئيسى للديانة المصرية القديمة ومركزا مهما للدراسات اللاهوتية والفلسفية، بجانب الدراسات العلمية مثل الهندسة والطب والصيدلة وغيرها . ولما تولى الملك بطلميوس الأول حكم مصر عام ٣٢٠ ق.م ، امر بنقل معظم فلاسفة وعلماء جامعة معبد آنو (هليوبوليس) الى جامعة الاسكندرية الجديدة والتى أصبحت عاصمة مصر الجديدة الى أول الفتح العربى فى عام ٦٤١ م .

ومن الحقائق المهمة أن اثبات وجود مدرسة خاصة لتعليم الصيدلة منذ أوائل العصور الفرعونية وحتى ما قبلها لايمكن انكاره وذلك راجع الى كل الحقائق والاثباتات التاريخية والواردة فى البرديات الطبية المكتشفة وفى مؤلفات المؤرخين المصريين والاغريق .

ومن المعاهد العلمية الأخرى (والتى كانت تدرس العلوم الطبية والصيدلية بخلاف الدراسات الأخرى المهنية) والتى أنشئت طوال العصور التاريخية وعبر الأسرات المختلفة فى مصر القديمة كانت « بر - عنخ » أو « بيوت الحياة » . وهذه كانت مخصصة لتعليم أبناء النبلاء وكبار موظفى الحكومة وكذلك ابناء الأطباء والصيادلة الذين يعملون فى خدمة القصر الملكى ، وهذه المعاهد كانت منتشرة فى مختلف العواصم الكبيرة للأقاليم .

وكان كل واحد من بيوت الحياة يحتوى على قسم خاص يسمى بيت الأدوية أو معهد الصيدلة وكان مخصصا لتعليم العلوم الصيدلية . وكان من الضرورى فيها دراسة الأعشاب الطبية والكيماويات والمعادن ومختلف أجزاء الحيوانات التى تدخل ضمن

التركيبات والوصفات الطبية · وكانت ملحقة بها كذلك حديقة نباتية كبيرة حيث تزرع فيها كل النباتات الطبية المعروفة وبها مخازن مخصصة لتخزين النباتات المقتلعة لحين استخدامها وكذلك أنشئت بهذه البيوت الكثير من المعامل التى كانت تستخدم فى تحضير كافة المستحضرات الصيدلية المعروفة فى ذلك الوقت ·

وكانت الصيدلة والطب تدرس فى هذه البيوت من خلال مراجع مهمة تحوى الكثير من الصور والرسومات ومكتوبة بالخطين الهيروغليفى والهيراطيقى للغة المصرية · وبمرور الوقت ، ضعف وقل استخدام اللغة المصرية وخطيها الهيراطيقى والديموطيقى وذلك خلال العصرين البطلمى والرومانى ولكن هذه البيوت حافظت بشدة على هذه اللغة خشية اندثارها وأصبحت فى النهاية الهيئة الوحيدة التى تعمل على حفظ اللغة المصرية القديمة وعرفت بعد ذلك بأنها لغة وكتابة بيوت الحياة ·

وعادة كانت بيوت الحياة هذه متواجدة داخل المعابد الكبرى ولكن فى بعض الأحيان كانت تنشأ خارجها وكانت تحتوى على صالات كبيرة للدراسة وغرف للتأمل ومكتبة كبيرة بها كافة الكتب والمراجع العلمية المختلفة وكذلك بها تمثال كبير للاله تحوت اله العلوم والمعرفة ومن الأقسام المهمة فى بيوت الحياة كانت غرف للعمليات الجراحية وعيادات خاصة بطب الأسنان ·

وكانت بيوت الحياة مكونة من عدة مدارس لتعليم مختلف العلوم مثل الطب والصيدلة والكيمياء والهندسة ··· وغيرها ومدرسة خاصة لتعليم الدراسات الدينية واللاهوتية · وعندما أصبحت مدينة طيبة عاصمة مصر خلال الامبراطورية الحديثة ، ذاع صيتها فى جميع البلدان المجاورة كمركز مهم للعلوم والثقافة وذلك بسبب وجود واحد من اكبر وأهم بيوت الحياة بها والذى كان يعد بمثابة جامعة أو اكاديمية ·

وكان على هؤلاء الطلبة الراغبين في الالتحاق بأحد بيوت الحياة هذه بغرض تعلم مهنتى الصيدلة أو الطب أن يجتازوا بنجاح اختبارا شاقا وذلك بعد اتمامهم المرحلة العامة الأولى للتعليم • وبعدها يقبلون كطلبة منتظمين فى هذه البيوت ويبدءون بتعلم الدراسات اللاهوتيـة وبعض العلوم الدينية الأخرى لمدة عامين وعليهم عند انتهائها أن يجتازوا امتحانا ثانيا بنجاح حتى يمكنهم البـدء فى دراسة الصيدلة أو الطب لمدة تتراوح بين ٤ ـ ٥ سنوات يؤدون فى نهايتها اختبارا نهائيا وفى حالة نجاحهم يقام حفل التخرج التشريفى حيث يقوم الخريجون بأداء القسم الطبى قبل بدء حياتهم العملية •

وقرب نهاية العصر الفرعونى ، كانت هناك فى مدينة سايس (صـا الحجر حاليا) واحدة من أشهر المدارس الصيدلية ملحقة باحدى بيوت الحياة والتى ظلت مزدهرة وحاملة شعلة العلم الى أن دمرت خلال ثورة نشبت هناك وظلت فترة طويلة مهدمة حتى أمر أحد ملوك الفرس الذين حكموا مصر وقتها (أواخر القرن السادس ق•م) بأن يعاد بناؤها لتكون مثلما كانت قبل التدمير •

وعندما أصبحت مدينة طيبة خلال الدولة الحديثة مركزا لعبادة الآله آمون تحولت بيوت الحياة فى مصر كلها لتكون محورا ومرتبطة ارتباطا وثيقا بمعابد الاله آمون •

ولقد اهتم الكثير من ملوك الأسرات الأولى فى مصر القـديمة اهتماما بالغا بعلوم الصيدلة والطب والجراحة والتشريح • وغيرها ، حيث نجد الملك اثوثيس ثانى ملوك الأسرة الأولى (عام ٣١٦٠ ق•م) والذى كان فى الأصل طبيبا بارعا الى حد قيامه بتأليف كتب مهمة عن العقاقير والأدوية وعلم التشريح ، والملك أوزافايس (حوالى عام ٣١٠٠ق•م) الذى أحدث تطورا مهما فى علوم الشرايين والملك سيتنيس خامس ملوك الأسرة الثانية الذى أحدث وأدخل تطويرات وتعديلات مهمة فى الكتب والملك توسارتوروس ثانى ملوك الأسرة الثالثة والذى

كان ماهرا جدا فى العقاقير والأدوية وألف كتبا فيها ظلت متداولة بتقدير كبير الى نهاية القرن الأول الميلادى والملك سيندا من الدولة القديمة والذى كان طبيبا مشهورا وحاذقا ٠

كل هذه الكتب الطبية والصيدلية جرى نسخها مرارا وتكرارا طوال كل العصور الفرعونية مع دوام تعديلها وتطويرها لتقابل متطلبات كل عصر وكانت تدرس كمراجع رئيسية فى كل مدارس الصيدلة والطب المصرية وكانت أصول هذه الكتب محفوظة وتحت حراسة شديدة فى معبد أمحوتب فى ممفيس ومعبد آنو (هليوبوليس) ٠ وقدم مصر طوال الخمسة عشر قرنا قبل الميلاد وسبعة القرون بعد الميلاد المئات من الاغريق لكى يتعلموا فى المدارس المصرية وجامعاتها ولينقلوا كل ما يستطيعون نسخه من الكتب فى مختلف العلوم من مكتبات المعابد وبيوت الحياة وذلك بتصريح خاص من كهنة وحافظى تلك المكتبات ونقلوها الى بلادهم وقاموا بتدريسها للطلبة الاغريق وهكذا انتشرت العلوم المصرية فى كل بلاد الاغريق وجزرها ومستعمراتها فى آسيا الصغرى ومنها الى كل أوربا ٠

وكانت ادارة أى معبد تعتبر شرفا كبيرا يحظى به هذا الشخص وكان دائما من أعضاء الأسرة المالكة ٠ ففى عهد الدولة القديمة كان أكبر أبناء الملك سنا هو الذى يعين فى وظيفة كبير الكهنة فى حين انه خلال عهد الدولة الوسطى احتكرت بعض العائلات هذا المنصب الخطير بالوراثة ٠ وكان دائما كبير القضاة طوال كل العهود الفرعونية هو فى نفس الوقت كبير كهنة الالهة ماعت الهة العدل وكان الجراحون هم كهنة الالهة سخمت حامية الجراحين (*) ٠

وكان كل معبد يعتبر بمثابة مجتمع صغير متكامل ويعمل به العديد من الموظفين ورجال الشرطة وبه سجن كبير ومجموعة كبيرة من

(*) The Religion of the Ancient Egyptians ; by Steindorff.

الحرفيين وغيرهم وكلهم يعملون فى خدمة المعبد ويعيشون اقامة دائمة فيه ليلا ونهارا ولكنهم لم يكونوا من طبقة الكهنة. وكان المجلس العلمى الأعلى بمثابة مجلس ادارة للمعبد ومكونا عادة من ١٢ شخصا وكان عملهم الرئيسى هو اقامة الشعائر الدينية ليلا ونهارا . وكانت للنساء المغنيات أهمية كبيرة وضرورية فى كل معبد وذلك للقيام بالغناء الدينى خلال الاحتفالات الرسمية الدينية وكن يعملن نهارا فقط ثم يغادرن المعبد الى منازلهن ولكن بعضهن كن يقمن فى غرف خاصة بالمعبد تحت رقابة مديرة تسمى الزوجة المقدسة للاله . وكان الكهنة يسمون أبناء الاله وعادة كانت تبدأ دراساتهم الدينية وهم فى سن الخامسة ، وكان تعليمهم يبدأ بدراسة واتقان اللغة المصرية وقواعدها قراءة وكتابة وكذلك حفظ أسماء الآلهة ومعرفة صورهم التقليدية وأصلهم السماوى والقصص الدينية والاحتفالات والأعياد المقدسة لكل اله وكانوا يختبرون فيما تعلموه من خلال امتحان قاس فى آخر هذه المرحلة الأولية . ومن الجدير بالذكر ان الاحتفالات الدينية كانت تقام فى أكثر الأماكن اظلاما فى المعبد وهى فى الوقت نفسه أكثرها قدسية ويقتصر شهودها على الكهنة فقط .

والمرحلة التعليمية الدينية التالية تتكون من دراسة الكتب المقدسة وحفظها تماما وكذلك الابتهالات الدينية الخاصة بها بالاضافة الى التعليم المدنى العادى لأن جانبا كبيرا منهم قد يختار التدرج فى سلك الوظائف الحكومية أو فى القصور الملكية (حيث يجب عليهم معرفة مختلف الأغانى الدينية الخاصة بالقصور) بدلا من الانخراط فى سلك الكهنة .

ومن المعابد الشهيرة التى أنشئت خلال الدولة القديمة فى صعيد مصر : معبد مدينة قفط وذلك لعبادة الاله مين (والذى كان يحتوى على العديد من القاعات الدراسية ومكتبة ضخمة) وكذلك

معابد فى مدن اسنا وطود وادفو وكلها لعبادة الاله خنوم وفى مدينة ابيدوس والتى كانت من المدن المقدسة المهمة حتى قبل عهد الاسرات حيث كان يعبد بها الاله أوزيريس فى معبده الضخم الشهير (وكانت الجبانة التى اعتاد ملوك تلك الفترة البعيدة من تاريخ مصر أن يقيموا فيها مقابرهم ليدفنوا فيها وكان المصريون القدماء يحجون اليها وخاصة الى معبد الاله أوزيريس) ، وكذلك معبد الرامسيوم وبيت الحياة الشهير فيه وكذلك معبد مدينة هابو ومعبد نفرتارى ومعبد امناسيا وكان به مدرسة شهيرة لتعليم أبناء الأسرة المالكة وأبناء محافظى ومديرى الأقاليم وكذلك معبد مدينة أسيوط ومعبد مدينة طيبة الضخم الشهير ٠

ولقد أقام الملك اخناتون فى عاصمته الجديدة أخيتاتون (تل العمارنة الآن) معبدا كبيرا وملحقا به بيت للحياة وبه أقسام مختلفة ضخمة وأخرى صغيرة وعدة قاعات كبيرة لتلقى المحاضرات (بمثابة مدرجات دراسية فى وقتنا الحاضر) ومكتبة كبيرة وظل بيت الحياة هذا موجودا ويعمل بصورة مستديمة حتى بعد تهدم بنية المعبد الرئيسية ٠

ومن الجامعات التى كانت ملحقة بالمعابد الشهيرة خلال العصور الفرعونية والتى أنشئت فى الوجه القبلى هى معبد فيلة ومعبد الاله خونسو فى طيبة (الكرنك) ومعبد الاله تحوت فى مدينة هرموبوليس ومعابد الآلهة نيت وتخبت وبتاح ومين فى بانوبوليس ومعبد مدينة ادفو ومعبد ايزيس الشهير فى مدينة كوبتوس وغيرها ٠

التعليم فى القصـــور الملكية :

(أ) أثناء الدولة القديمة : أنشئت مدارس خاصـة داخل القصور الملكيـة وذلك لتعليم أبناء العائلة الملكية والنبلاء وموظفى البـلاط كافة العلوم الدينية والمدنية بالاضـافة الى مختلف العلوم

والفنون والتى كانت تدرس فى بيوت الحياة الخاصة فى قصور هليوبوليس ومنفيس • وكان الخريجون من هذه المعاهد يدعون بلقب الكاتب الملكى وأحيانا بلقب « كاتب الاله » •

(ب) أثناء الدولة الوسطى : كانت القصور الملكية فى ذلك العهد تحوى مدارس خاصة لأعضاء الأسرة الملكية وكان الخريجون يدعون بلقب « أبناء الجناح التعليمى » وكانت المدرسة تتكون من قسم داخلى كبير وهو الجزء المهم ويرأسه مدير فى حين أن الجزء الخارجى كان يقطنه الموظفون والسعاة والسكرتيرون والحراس •

(جـ) أثناء الدولة الحديثة : أنشئت عدة مدارس داخلية وشاملة لكل التخصصات وكانت تقع فى معظم عواصم الاقاليم الكبيرة وحلت محل المدارس الخاصة بالقصور الملكية وكانت تقبل الطلبة من أبناء العائلة الملكية وأبناء حكام الاقاليم وكبار موظفى الدولة وكثيرا من أبناء الملوك الأسيويين والشرقيين وكذلك أنشئت الكثير من المدارس التى تدرس النحت والرسم •••• وغيرها •

وكانت مدارس القصور الملكية تحوى الكثير من المعلمين والأساتذة ذوى الخبرة التعليمية العالية ويرأسهم مدير فيلسوف • وكذلك أنشئت مدرسة خاصة لتعليم الاناث من أعضاء العائلة الملكية ولها نظام تعليمى خاص وأساتذة خاصون بها فقط •

وكان تعليم الاناث يلاقى تشجيعا كبيرا طوال كل العصور الفرعونية وخاصة عند الأميرات وبنات كبار موظفى البلاط لدرجة أن من بينهن من أصبحن كبيرة كاهنات الاله آمون وزوجات لكبار الكهنة •

المكتبـــات العلميـــة :

وكانت تسمى « بر ـ مز » فى العصور الفرعونية وملحقة عادة بالمعابد الكبيرة (*) فى عواصم الأقاليم المختلفة فى مصر والتى كانت تحوى كميات ضخمة من الكتب العلمية المختلفة فى كل فروع المعرفة مثل الطب والصيدلة والكيمياء والفلك والهندسة ... وغيرها وكانت هذه الكتب مكونة من لفـــات طويلة من ورق البردى والتى كان يستخدمها الأساتذة والعلماء والطلبة فى مختلف مدارس جامعة المعبد فى دراساتهم .

وكانت هذه المكتبات متمركزة فى معبد هليوبوليس ومعبد الاله بتاح ومعبد ادفو وغيرها . وكذلك كانت هناك الكثير من اللوحات المرسومة على جدران المعابد (بطريقة الفريسكو) ومختلف الكتابات والتى تبين الطرق النافعة فى العلاج والوصفات الطبية .

كذلك كان فى تلك المكتبات بردية خاصة بكل نبات طبى أو دواء علاجى وطرق تحضيره .

وكل مكتبة كانت لها الهيئة العاملة الخاصــة بها من كتبة وناسخين ومفتشين ومديرين وغيرهم .. وبعض هذه المكتبات كانت مخصصة للعلوم الدينية فى حين كان البعض الآخر للعلوم العلمية المدنيــة .

بعض هذه المكتبات كانت شهيرة جدا مثل تلك التى كانت ملحقة بمعابد هليوبوليس وممفيس وأبيدوس وبوباسطه وتانيس وطيبة والرامسيوم (ومكتبة هذا المعبد الأخير كانت تحتل القــاعة الرئيســـية المرفوعة على ثمانية أعمدة ضخمة) ومعبدى ادفو وفيلة .

(*) Introduction to the History of Science ; by George Sarton.

وكانت كل البرديات محفوظة تحت امرة صيادلة متخصصين وكان ما بها من وصفات طبية يجرى تركيبه فى معامل خاصة داخل حرم كل معبد وتصرف فى العيادات الخارجية والداخلية للمستشفى التابع لكل معبد ٠

وكل هؤلاء الصيادلة التابعين لكل معبد مسئولون عن تركيب وتحضير مختلف أنواع العطور الثمينة وذلك للاستعمال الخاص فى الأماكن المقدسة فى المعابد حيث يجرى رشها وغسل قدس الأقداس بها أثناء الاحتفالات الخاصة بعيد الاله ٠

ولقد اعتاد الصيادلة فى مصر القديمة تحضير أدوية وعقاقير عيارية طبقا لدستور الأدوية المقدس لديهم ـ والذى كان محرما تغيير أية مقادير للجرعات فيه ـ وذلك طبقا لتلك الوصفات المكتوبة على أوراق البردى والتى نسخت من هذه الدساتير الطبية وعلقت على جدران المعابد والأعمدة وذلك لاعطاء الفرصة للأطباء المقيمين بجوار هذه البرديات لكى ينسخوا منها الوصفات الناجحة لشفاء الأمراض ٠

وكان كل مستشفى تتبعه معامل متخصصة لتحضير وخلط الأدوية والأمزجة والخلاصات وتصفيتها من خلال مناخل من الكتان وكانوا يستخدمون الماء المغلى فقط فى تحضيراتهم فى حين كانوا يضيفون النبيذ والبيرة واللبن والزيوت والعسل فى بعض التركيبات بمقادير خاصة ٠ كذلك كانوا يحضرون الملينات والمسهلات بعناية شديدة من منقوع النباتات الطبية المختلفة وكذلك الحبوب والمراهم والدهانات الجلدية بمهارة ٠٠ وغيرها (*) ٠

وبفحص الوصفات الطبية التى كتبها المصريون القدماء فى بردياتهم ومقارنتها بالوصفات المختلفة المتداولة حاليا بين المرضى

(*) Le Science Pharmaceutique chez les anciens Egyptiens ; by Dinkler, 1899.

تصاب بالدهشة لعدم وجود فوارق كبيرة بينهما حيث التشابه واضح وذلك راجع لمهارة مصريى ذلك العهد البعيد فى هذا الفن العلمى التليد ٠ وكانت هذه الوصفات تشمل أسماء المقادير بدون ذكر أوزانها وذلك حفاظا للسرية الشديدة ولكن تحمل اسم المريض وبعض الرموز بحيث كان الصيادلة يعرفونها ويحضرون الوصفات وفقا لذلك ٠

وكان بكل مستشفى كبير قسم خاص للأبحاث ملحقا به حتى يمكن للصيادلة والأطباء الحصول على كل ما يلزمهم من معلومات ومساعدة خلال ممارستهم لعملهم اليومى حتى يمكن لهم أن يحلوا أية مشكلة عرضت لهم وذلك بواسطة فريق متكامل من الأخصائيين المهرة وبعد حل المشكلة يعمد الصيدلى المشرف على سجلات هذا القسم الى حفظ هذه المشكلة وحلها فى ملف خاص وبتنظيم دقيق حتى يمكن الرجوع اليها عند حدوث مشكلة مماثلة ٠ وبهذه الطريقة البديعة استطاع كل جيل أن يضيف معلومات علمية جديدة لكى يتمكن الجيل الذى يليه من الاستفادة بها للتقدم العلمى لصالح المجتمع والانسانية وبلدهم مصر ٠

هذه المراجع العلمية المهمة كانت تحفظ بعناية كبيرة فى صناديق محكمة ومدفونة فى ثقوب وفتحات فى حوائط المكتبة الملحقة بجامعة المعبد ٠ وكثير من الصناديق يرجع تاريخها الى عهد الدولة القديمة والتى اكتشفت فى القرن الماضى وكانت تحتوى على العديد من لفائف ورق البردى والتى ترينا مدى حرص المصريين القدماء على الحفاظ على كل أنواع المعرفة والثقافة بكل ما أوتوا من قوة ٠

وفى نهاية الأسرة الثلاثين الفرعونية غزا الاسكندر المقدونى مصر فى عام ٣٣٢ ق٠م ٠ وقضى على آخر الأسرات الفرعونية وبذلك انتهى عهد وجاء عهد جديد على مصر ٠ وبعد أن قضى الاسكندر حوالى

ستة شهور فى مصر هو وجنده المقدونيون أمر خلالها ببناء مدينة جديدة على ساحل البحر على أنقاض مدينة فرعونية تهدمت نتيجة زلزال قديم حطم هذا الميناء الشهير قديما وسماها الاسكندرية وترك على حكم مصر والبيش وغادرها مستئنفا حروبه فى الشرق • ولما توفى على حدود الهند اقتسم قواده ممتلكاته فكانت مصر وقبرص وكريت واليونان وجزرها ملكا لقائده بطلميوس الذى أسس الأسرة البطلمية أو كما يحلو لبعض المؤرخين تسميتها الأسرة الحادية والثلاثين وكان هذا عام ٣٢٣ ق٠م • وفكر الملك بطلميوس الأول فى انشاء جامعة فى مدينة الاسكندرية والتى جعلها عاصمة لمصر ، ولذلك استعان بالعديد من الفلاسفة والعلماء الاغريق حيث جلبهم من بلاده اليونان وصمم مبانيها على الطراز الاغريقى وكذلك نظام التعليم بحيث تكون اللغة المستخدمة فى الجامعة هى اللغة الاغريقية مثلما جعلها اللغة الرسمية للبلاد بدلا من اللغة المصرية القديمة • كذلك استعان بمختلف العلماء من كافة المدارس الفرعونية للمساهمة فى تعليم الشباب العلوم والفنون اللازمة لهذه الحضارة الجديدة وكان من أبرز هؤلاء العلماء أولئك القادمون من معابد هليوبوليس وممفيس وسايس الذين ترجموا جميع العلوم الفرعونية الى اللغة اليونانية بمساعدة هؤلاء العلماء الاغريق الذين كانوا يقطنون مدينة نوقراطيس فى الوجه البحرى مثلما ساهم عمال هذه المدينة اليونانية أو المستعمرة فى بناء مدينة الاسكندرية •

كذلك ساهم بقسط كبير فى التدريس فى جامعة الاسكندرية الكثير من العلماء الذين كانوا يقطنون فى مدينة سايس (٦٠ كيلو مترا جنوب الاسكندرية) ويعملون فى جامعة معبدها الشهير فى الانضمام الى جامعة الاسكندرية •

ولكن بالنظر الى تصميم وتخطيط وتنظيم جامعة الاسكندرية الجديدة نجد أنها نسخة طبق الأصل من جامعات المعابد الفرعونية

والتى نقل نظامها من مصر الى بلاد الاغريق أولئك الذين تعلموا منهم في مصر وطبقوا نظام الجامعات المصرية هناك وصدروا في آخر الأمر نفس النظـام التعليمى ولكن باللغة الاغريقية الى مصر مرة أخـرى (*) ٠

ولقد جرى نظام التعليم فى جامعة الاسكندرية على تدريس مختلف العلوم الأساسية مثل الفلسفة والطب والصيدلة والكيمياء والطبيعيات والهندسة والرياضيات ٠٠ الخ ٠

ولقد كانت جامعة الاسكندرية تشتمل على ثـلاثة أقســام رئيســية :

(أ) المكتبة الكبيرة : أنشأها بطلميوس الأول وكانت تحتوى على ما يقرب من نصف مليون كتاب ولكن حدث أثناء غزو يوليوس قيصر للاسـكندرية عام ٤٧ ق٠م أن احترق جزء كبير من كتب المكتبة ٠

(ب) المكتبة الصغيرة : وكانت تعرف باسم مكتبة السرابيوم وكانت تحتوى على حوالى ½ مليون كتاب وقد احترقت هذه المكتبة جزئيا فى عام ٣٩٠ م أثناء ثورة نشبت بين الاقباط المصريين والحكام الرومان بينما احترق الجزء الباقى منها فى عام ٥٥٠ م أثناء ثورة أخـرى ٠

(جـ) الموسيون (المتحف) Museion : وهذا القسم كان بمثابة العمود الفقرى للجامعة وكان يحتل واحدا من أكبر القصور فى المدينة وبه قاعة كبيرة بها العديد من المناضد والمقاعد ليستعملها

(*) The Story of Medicine ; by Victor Robinson.

الطلبة أثنــاء المحاضرات • وكذلك احتوت على الكثير مــن الغــرف والمعامل للتحليل والتجارب وأخــرى للتشريح مســتخدمين الجثث الآدمية ونماذج أخرى للأبحاث • وكان ملحقا بها حديقة نباتية كبيرة لزراعة العديد من الأعشــاب الطبية المســتخدمة فى دراسة العلوم الصيدلية بالاضافة الى حديقة حيوان بها الكثير من الحيوانات الحية والمحنطة وقسم آخر لمختلف أنواع الأحجار والمعادن وكذلك مرصد كبير •

ولقد تهدم جزء كبير من الجامعة أثناء زلزال خطير أصاب مدينة الاسكندرية قبل سنوات من الفتح العربى ولكن ما تبقى منها ظل يمارس نشاطه العلمى الى حوالى عام ٧١٩ م •

ولقد أنشئت جامعة أخرى فى عام ١٩٣ م بواسطة الفيلسوف الاغريقى أمونيوس وسماها الجامعة الفيلسوفية وذلك لنشر الفلسفة الأفلاطونيــة الجديدة ولكنها انحرفت عن خطها المرســوم منذ عام ٣٦١ م وانصرفت الى تدريس السحر الأسود مما دعا الحاكم الرومانى الى غلقها نهائيا فى عام ٥٢٩ م •

وهناك جامعــة ثالثة أنشئت بالاسكندرية بواســطة القديس مرقص أثنــــاء مكوثه فى مصر حوالى ٦٠ م وذلك لدراســة الديانة المسيحية الناشئة ومبادئها وسميت بالجامعة اللاهوتية • وبعد فترة وسعت فى مجال دراستها بحيث شملت علوما أخرى مثل الفلسفة والعلوم المدنية والآداب •• وغيرها وحافظت دوما على علاقاتها الطبية مع جامعة الاسكندرية •

ولقد أرست هذه الجامعة اللاهوتية أساس الديانة المسيحية فى مصر والتى جابهت بشدة الوثنية الاغريقية والرومانية وبذلك انتشرت هذه الديانة الجديدة للتشابه بينها وبين الديانة الفرعونية •

ولقد أصبحت هذه الجامعة من الأهمية القصوى بمكان الى درجة أن مديرها أصبح فى المرتبة التالية لبابا الاسكندرية ويليه فى المقام والقداسة مباشرة وفى أحيان كثيرة كان ينتخب بابا الاسكندرية من ضمن مديرى هذه الجامعة ٠ ولكن اهمية هذه الجامعة تضاءلت حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى وانتقلت الى دير منقطع فى الصحراء نتيجة اضطهاد الرومان لها وظلت تمارس نشاطها الى ما بعـــد الفتح العربى بفترة (يســـمى دير أبو مقار فى وادى النطرون) ٠

ولقد دأبت جامعة الاسكندرية الاغريقية الصبغة الى قبول ضمن طلبتها فقط أولئك المنحدرين من أصل اغريقى وبعض اليهود المقيمين فى الاسكندرية وفئة قليلة جدا من المصريين من أبناء الموظفين الكبار المهمين فى الحكومة ٠

واستمر الكثير من جامعات المعابد المصرية والمدارس الجديدة التى أنشئت فى الأماكن النائية (خوفا من بطش الأسرة البطلمية الحاكمة ثم الرومان) فى تعليم المصريين كافة كسابق عهدهم وحافظت على التقاليد العريقة للحضارة المصرية بدون انقطاع الى ما بعد الفتح العربى ٠

وهذه المدارس الفرعونية حافظت على وجودها أثناء انتشــار المسيحية فى مصر واعتناقها لهذا الدين الجديد وسماها الرومان « المعاهد القبطية » والتى اضطرت الى اللجوء الى الأماكن البعيدة عن العمران هربا من بطش الحكام وحافظ رهبانها على التقاليد الفرعونية القديمة والتراث الحضارى الخالد للمصريين القدماء ٠

وعندما غزا الامبراطور الرومانى أغسطس حوالى عام ٣٠ ق٠م الاسكندرية وباقى مصر عمل على نقل جميع العلماء والفلاسفة الذين كانوا يعملون فى جامعة الاسكندرية الى روما حيث ألحقهم بالمعهد

الجديد الذى أنشاه وبذلك انتقلت العلوم الفرعونية ذات اللسان الاغريقى الى اللسان اللاتينى ومنها الى كل أوروبا .

مكتبة رمسيس الثانى :

ذكر الرحالة اليونانى القديم هيكاتيوس فى كتابه « تواريخ مصر » الذى ألفه بعد أن زار مصر أيام عهد الملك بطلميوس الأول (أوائل القرن ٣ ق.م) انه كان داخل ضريح كبير للملك رمسيس الثانى بمعبد آمون بمدينة طيبة مكتبة كبيرة مقدسة (وكان معبد آمون يقوم على مساحة كبيرة تليه مقابر الملوك ثم مقابر الملكات) . (وكتاب هذا المؤرخ فقد ولكن نقل منه الكثير المؤرخ ديودوروس الصقلى فى كتابه) .

وكان مدخل الضريح عبارة عن بوابة واسعة تدلف الى بهو به أعمدة مربعة والسقف مكونا من قطعة واحدة من صخر ملون بالأزرق الداكن ومرصعا برسوم تمثل نجوما بيضاء . وبعد ذلك توجد بوابة أخرى تشبه الأولى لكنها مزينة بنقوش بارزة وقد اعتلتها ثلاثة تماثيل كل منها منحوت من كتلة من الحجر الأسود وأحدها ضخم جدا لدرجة ان طول القدم حوالى أربعة أمتار ويمثل الملك رمسيس الثانى والتمثالان الآخران والواقفان على جانبى الأول أقصر منه لدرجة ان رأس كل منهما لم يكن يصل الى أعلى من ركبة التمثال الأول ويمثل أحد التمثالين أم الملك رمسيس الثانى والآخر ابنته . وعلى القاعدة التى قامت عليها هذه التماثيل الثلاثة نقشت هذه العبارة « انا رمسيس ملك الملوك ان أراد أحد أن يعلم مدى قوتى ويعرف مكانى فليسبقنى فى عمل واحد من أعمالى » .

وبعد بهو التماثيل تفرعت منه ثلاثة ممرات تؤدى جميعها الى بهو آخر كان به أعمدة بنيت على شكل قاعة (وقد اقتبسها الاغريق

فيما بعد وأطلقوا على هذا الشكل اسم « الاوديون » أى قاعة مخصصة لسماع الموسيقى والغناء فى اثينا القديمة) . وكان هذا البهو ممتلئا بتماثيل من الخشب تمثل أشخاصا يترافعون أمام القضـــاه وهم شاخصون اليهم بابصـــارهم ويبلغ عدد القضاه ثلاثين يتوسطهم القاضى الأعلى بعيون مغلقة حتى لا يرى الا الحقيقة ولا يتاثر بأى شىء .

وبعدها كان هناك ممشى تحيط به قاعات مختلفة زينت جدرانها بنحت بارز تعلوه هذه العبـــارة « صيدلية الروح » ، وتنتشر على الجدران صور لكل الآلهة المصرية حيث رسم الملك رمسيس الثانى يقدم للاله المرسوم قربانا خاصا . وكل هذه القاعات كانت تمثل المكتبة الضخمة وتمتد أيضا الى قاعة أخرى مبنية بطريقة فاخرة وتضم منضدة محاطة بعشرين ثلاثية من تماثيل تمثل كل ثلاثية الاله آمون وزوجته والملك رمسيس .. وفى هذا المكـــان دفن جثمان الملك رمسيس الثانى . كذلك زينت جدران الغرف التى أحاطت بالقاعة بصور للحيوانات المصرية المعبودة .

وفوق هذه القاعات كان مدخل المقبرة المقامة فوق هذا الضريح وفوق المقبرة من الخارج وكان يوجد نطاق ذهبى طوله ٣٦٥ حجرا وبارتفاع حجر واحد وفوقه نقشت بترتيب خاص أيام السنة وأسماء النجوم وموعد شروق كل نجم وغروبه والدلالات المســـتنبطة من حركتها حسب ما رآه الفلكيون المصريون القدماء . وعندما غزا قمبيز ملك الفرس مصر نهب هذه النقوش وأخذها معه عند رجوعه الى بـلاده .

القسم الثانى :

النظريات الطبية عند قدماء المصريين

كان الطب الفرعونى يحاول على مدى العصور التى سبقت عهد الأسرات أن يتحرر من شرنقة السحر والتفكير اللاهوتى ليتحول الى فراشة العلم التجريبى .

ولهذا فانه يمكن التمييز فى نظرتهم الى المرض بين نوعين منه وهما : الأمراض الخارجية والأمراض الداخلية ، وذلك راجع فى نظرتهم الى الصحة والمرض عامة . فقد كانوا يعتقدون أن الروح خالدة لا تبلى الا بالقتل وأن المرض لا يحدث الا بتأثير عامل قاتل خارجى وهذا العامل اما أن يكون ظاهريا كالسلاح والنار .. أو خفيا . وهم فى ذلك معذورون فان جهلهم بعلم الميكروبيولوجيا وكيمياء الجسم الداخلى هو الذى جعلهم يعزون المرض الخفى الى أرواح شريرة أو الى أعمال سحرية أو الى عقاب تفرضه الآلهة أو الى ميت أو الى عدو وكثيرا ما كانوا يقرنون اسم المرض بلفظ عدو (Enemy) كمخصص له .

كذلك كانت الآلهة فى اعتقادهم غير مصونة من المرض فايزيس مثلا شكت من خراج فى الثدى بعد أن أنجبت والاله رع عضه ثعبان فى نعله وشفته ايزيس من العضة والاله حورس أصيب بالدوسنتاريا ..... الخ .

أما الموت فلم ينظر اليه المصريون كعقاب على خطيئة ارتكبها الانسان ويقتضاها يحرم من الحياة الأخرة ولكنهم رأوا فى الموت ظاهرة تتبع الحياة حتما ولا تختلف عنها من حيث الجوهر وانما هى احدى حلقاتها فى عالم آخر . بل وربما كانوا يعتقدون أن الموتى يزورون نساءهم وينجبون منهن أطفالا كما أنجب اوزيريس طفلا من ايزيس بعد موته ـ وهكذا نرى أيضا أن نصوص الاهرام (Pyramid Texts) تتحدث عن حقبة لم يكن فيها سماء أو أرض أو انسان ، حقبة سبقت ولادة الآلهة ومجيء الموت ـ اذن فقد خلق الموت مع الحياة .

ونتج عن تقسيمهم الأمراض الى هذين النوعين اتجاهان عكسيان فى العلاج .. اتجاه واقعى عقلى مبنى على التجربة والتأمل فى الجراحة ، واتجاه فى الأمراض الباطنية وهو ضرورة التخلص من الروح الشريرة التى سكنت المريض وهذا بالطرق التى تستجيب الروح لها . وباشتراك الطبيب مع الساحر ، فلا يجوز اذن أن نستغرب ألقاب بعض كبار أطباء البلاط الذين كانوا يجمعون بين الوظائف الطبية والرتب السحرية .

الا أن نشأة التفكير الواقعى ادت فيما بعد بالمصريين القدماء الى محاولة تفسير المرض على ضوء النظريات السائدة فى التشريح ووظائف الأعضاء ، فاعتبروا أن المرض يتسبب من الافراط فى التغذية وأنه يحدث عند انسداد الشرايين أو امتزاج الأخلاط التى تجرى فيها .

ومع ذلك فان جل طبهم يتسم بظاهرة عجيبة هي البعد عن التفسيرات وعن النظريات والاكتفاء بوصف الأعراض حتى انهم كانوا يتجنبون التكهن في الأمراض الباطنية وكأنها مستعصية على ادراك الذهن البشري ·

أما طرق فحص المريض فكانت تعتمد على الخبرة وتتسم بدقة الملاحظة ، وكان هذا الفحص يبدأ عادة باستجواب المريض استجوابا دقيقا ، ثم يتبع الاستجواب فحص شامل بالنظر يبدأ بالوجه ، فيلاحظ لونه وافرازات الأنف والجفنـــان والعينان ····· الخ ثم تشم روائح الجسم من عرق ونفس ، ثم يأتي فحص البطن فالأعضاء الأخرى (يتبع الشم الجس والطرق وتقدير حرارة الجسم) ·

على أنهم لم يذهبوا الى أبعد من ذكر الأعراض لافتقارهم الى علوم أخرى تعين على ذلك ومن هنا كانوا يذكرون العرض على أنه المرض نفسه ، مثال ذلك أن يقال : « دم في البول ······ الخ » ·

ولم يغب المؤلفين في الطب وصف سير المرض وأهمية ملاحظة أطواره في التشخيص والتكهن (كما جاء في بردية أدوين سميث حين وصف مرضا لا شك أنه العيتانوس) ·

ولم يكتف الأطباء بوصف أعراض المرض بل ذيلوا تشخيصهم بما يتوقعونه من نتائج مثل « ألم في الذراعين والصـــدر من ناحية القلب ، انه مهدد بالموت » وهذا الوصف يلائم وصف الذبحـــة الصـــدرية ·

وكما ذكر سابقا فلقد نشأ الطب القديم عن مجموعة معلومات دينية وطب الركة امتزجا معا وكونا الطب البدائي ·· ولكنه ما لبث أن تشعب الى ثلاث شعب متباينة هي الطب الروحاني والطب الديني والطب الحقيقي وهذا التشعب قد حدث منذ أزمنة غاية في القدم ·

وكانت حالات الطب الباطني غامضة ومحيرة في وقت واحد خصوصا عندما كان الطبيب يحاول تشخيص الحالة ليحدد علاجها وقــد نجح الطبيب المصرى القديم فى حل كثير من عقــد الطب البـاطنى ٠

وفى فترة تطور الطب المصرى القديم من مرحلتى الروح والدين الى المرحلة الطبية السليمة ظهر فى اللغة المصرية القديمة تعبير طبى هو (أوخـدو) ــ كان له دلالة مهمــة فى الأمراض الباطنيــة وعـلاجها ٠

وقد فسر لفظ (أوخدو) بأنه يعنى افرازا مفسدا له صلة بمحتويات الأمعاء البرازية ٠ وكانوا يعتقدون أن هـذه المـادة اذا امتصها الجسم أحدثت به تجلطا وتلفا بالدم وهذا بدوره يحـدث الالتهاب أو العفن أو الفساد (*) ٠

ولقد نشأت نظرية الـ (أوخدو) من آراء دينية وتحنيطية ، حيث ورد ذكرها فى برديتى برلين وايبرس وفى الأخيرة وصفة جاء بها أن كتاب الـ « أوخدو » وجد تحت أقدام المعبود أنوبيس فى شمال مدينــة ممفيس (امبــــابة الحالية) ٠ ولم تكن عــلاقة انوبيس قاصرة على الطب بل شملت أيضا التحنيط ٠

وكان من واجبات (انوبيس) منع تعفن الجثث حتى يبلغ صاحب الجثة مرتبة اوزوريس ــ وكما أن الطبيب يمكنه بالأدوية تأخير القوة المدمرة فى الـ (أوخدو) أثناء الحياة فان المحنط Embalmer يمكنه أن يمنع تحلل الجثة بعد الوفاة ٠ ومن أجــــل ذلك كانت كلمة (ميروخ) التى تعنى (حنط) فى كتاب الموتى تعنى أيضا « عالج » فى النصوص الطبية ٠

(★) A History of Medicine, Primitive and Archaic, by Henry Sigrest, 1951, New York, U.S.A.

ويظهر أن قدماء المصريين جمعوا بين تحلل وتعفن الجثث بعد الوفاة وبين التقيح المرضى فاعتبروهما مظهرا من مظـــاهر التحلل العضوى • ولابد أن المحنط كان يعتقد بأن التعفن الرمى يبدأ أول ما يبدأ فى الامعاء ، وأن الرائحة النتنة هى أولى علاماته • اما الطبيب فتصور أن المـادة أو الافراز الفاسد المعروف باســـم (أوخدو) قد يكون هو الآخر ذا صلة بدائية بالأمعاء وبالتالى بالمواد البرازية (حس) • وهكذا أصبحت المواد البرازية واسطة لافراز فاسد اذا امتصه الجسم اصبح قادرا على احداث أنواع من الأمراض اهمها التقيح ، وكذلك فسر كلمة (أوخدو) بأنها المادة المحدثة للألم ـ وأن قدماء المصريين اعتقدوا أن الأوعية هى التى توزع هذه المادة وأنهم وصفوا لها الوصفات •

وقد تخيل الطبيب المصرى القديم مرور هذا الافراز الفاسد ـ وهو العامل الضـار ـ من الأمعاء الى الأوعية الدموية (ميتو) حيث يؤثر على الدم فيحوله الى صديد (ريت) وأن مرور هذا الافراز الفاسد (أوخدو) من الأمعاء الى الدم كان يعبر عنه (بارتفاعه) ذلك الارتفاع الذى فى زعمهم يحدث الحمى وتغير النبض (ولقد نقل ابقراط ذلك حيث تحدث فى كتبه عن « فيضـــان يحـــدث الحمى ») •

واعتقدوا كذلك أن امتصاص (الأخدو) فى الشيخوخة يحدث تفاعلا حتميا ينتهى بتلف الجسم ـ لهذا الســبب سمى الجهاز الدموى بالجهاز الآدمى الموصل الذى تنشأ فيه كل الأمراض (بردية برلـــين) •

واعتبروا أن ال (ميتو) أو الأوعية عامل حيوى للصحة • وفى الشيخوخة يتحول الدم الى جلطة ـ فيبدأ المرض يتكون موضعيا ويحرم

الدم من قدرته على مساعدة أجزاء الجسم للقيام بوظائفها . (وهذا الرأى نقله ابقراط حيث ذكر بأن الاخلاط تمتزج بالدم فتجعله سميكا ، وأن هذا التغير يحصل مع الشيخوخة) .

هذه الآراء عن الأمراض وأسبابها ذات الصلة بمادة ال (اخدو) تمثل النظرية الطبية التى كانت بمثابة التحليل الفكرى للمرض حينذاك ، والتى كانت مهيمنة على أذهان الأطباء أو مفهومة ضمنا عن علاجهم . من أجل ذلك اهتم الطبيب المصرى القديم بطرق الوقاية من مادة ال (أوخدو) فكان يوجه همه الى نظافة القناة الهضمية من عنصر الصديد الناشىء من ال (أوخدو) المنبعث من المواد البرازية .

ولقد أيد ذلك هيرودوت (٤٨٤ ـ ٤٢٤ ق.م) فى كتابه «التاريخ» (The Histories) حيث ذكر أن قدماء المصريين أكثروا من استعمال المقيئات والمسهلات والحقن الشرجية لمدة ثلاثة أيام شهريا . وذكر ديودور الصقلى بأنهم فعلوا ذلك على مرات أكثر .

ولقد اتفق هذان المؤرخان على أن هذه العادة قد نشأت من الاعتقاد بأن المرض انما ينشأ من الكميات الفائضة من الغذاء الذى يتناوله الانسان . حيث ذكر هيرودوت بأن قدماء المصريين قد نادوا بأن أغلب الغذاء الذى يتناوله الانسان فائض أى زائد عن اللازم ومن هذا الفائض نشأت الأمراض . وباستعمالهم العلاج السابق ظنوا أن فى امكانهم استئصال الأمراض فى بدايتها . (وهذا القول قد حققه علماء الفسيولوجيا فى القرن العشرين حيث قالوا ان الجسم يحتاج الى كميات قليلة من السعرات تكفيه للحياة الطبيعية ولكن الانسان دائما يتناول فى طعامه كميات كبيرة فائضة وهذا الاسراف فى الطعام والشراب مرهق للمعدة والأمعاء والكليتين والقلب . وعلى هذا فان النظرية المصرية القديمة القائلة بأن من هذا الفائض تنشأ الأمراض صحيحة) .

ولقد وجه الطبيب المصرى همه فى بداية ظهور المرض الى استئصال ال (أوخدو) مع المواد البرازية عن طريق استعمال المسهلات والحقن الشرجية وهذا هو سر وصف الحنظل وزيت الخروع والصبر . وكان أساس وصف الحقن الشرجية اعتقاد الطبيب المصرى بوجود علاقة بين الشرج والجهاز الدموى (ميتو) لذلك وصفوا أحيانا وصفات لحقن شرجية مطلوب اتباعها بقصد انعاش القلب والشرج وطرد الحمى (كما ورد فى بردية تشستربيتى) .

وبمجرد دخول المادة الصديدية أو الافراز الفاسد فى الجهاز الدموى (ميتو) وقبل تجلط الدم اعتقدوا أنه من الممكن التخلص من الدم الملوث بطريق الفصد Venesection (كما ورد فى بردية ايبرس) .

ولقد نقل ابقراط هذا الرأى حرفيا فى كتبه الطبية ، وكان اعطاء الشربة أو الحقنة الشرجية مساويا للفصد . واستمرت هذه العقيدة متداولة بين أجيال الأطباء حتى العصر الحديث حيث كانوا يسمون هذه العملية بالتحويل كما كانوا يسمون العقاقير الموصوفة « بالمحولات » .

وهكذا كان اعتقاد قدماء المصريين بأن مادة ال (أوخدو) تؤثر على الدم فتكثفه ثم تخثره ثم يحدث الصديد (ريت) وتكون الخراج . فاذا تكون الخراج كان العلاج افراغه بالطريق الجراحى حتى لا يعود ويتكرر (كما ورد فى بردية ايبرس) . ولقد استعان الجراح المصرى القديم باللبخات والمراهم لاخراج مادة ال (أوخدو) أو الصديد من الخراج أيضا .

ونقل الأطباء الاغريق عن قدماء المصريين فكرة أن العفن هو سبب التقيح ، فقد اعتقدوا بأن تحلل الدم والبلغم والسائل الصفراوى هو بسبب الصديد . (فى حين اعتقد قدماء المصريين بأن الصديد هو تحويل أو تحوير لمادة ال (أوخدو)) . ومع أن مادة

الى (أوخدو) اعتبرها قدماء المصريين عاملا للمرض ، فان هذا الاعتبار يمثل رأيا من الآراء الطبية يقول بأن العفن والصديد وفساد الدم نتيجة تكون الصديد فيه (أى التسمم الدموى بلغة العصر الحديث) • وهذا الرأى نقله أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق٠م) فى كتبه الطبية ، حين تكلم عن فساد الدم •

ولقد تحدث أرسطو عن الافراز المسمى « بريتوما » (Pretoma) (الخاص بالبلغم والسائل الصفراوى) وهذا مغاير لآراء أبقراط الذى اعتبر الاخلاط كفوائض) وهذا المعنى يعتبر تلك الاخلاط كافرازات من تعفن سام من افراز البريتوما •

فلقد ذكر أرسطو ان البريتوما (من الناحية البيولوجية) مكونة من أربعة عناصر هى السائل المنوى والبراز والبلغم والمرارة (الصفراء) وذلك حسب نشأة البريتوما من أغذية مفيدة أو غير مفيدة • كذلك ذكر أرسطو البريتوما بأنها حثالة الغذاء •

ويخلص أرسطو بأن افراز البريتوما لم يكن السبب الحقيقى للأمراض بل هناك علاقة متينة بين افراز البريتوما وبين التقيح والتحلل وأن هذه الصلة او العلاقة هى أنجح الطرق لفهم أسباب المرض •

وهكذا نجد ان البلغم والصفراء معتبران من مشتقات البريتوما بمعنى انهما افرازان ناجمان عنها – وبهذا المعنى لا يمكن مقارنة البلغم والصفراء برأى أبقراط عن فيضان الأخلاط •

كذلك ربط أرسطو بين التقيح وعملية الهضم – فقال ان هناك درجتين فى الهضم هما درجة الطبخ فى القسم العلوى للبطن ودرجة العفن فى القسم السفلى منها • وذكر أرسطو أسباب المرض فقال : ان عملية الهضم فى حالة الصحة تنتهى الى مواد برازية يخرجها الجسم • وهناك تكون عملية العفن عملية وظيفية ضرورية ومفيدة أما فى حالة المرض فتكون افرازات البريتوما نتيجة عملية

غير طبيعية يكون فيها العفن حالة مرضية واعتبر الحمى دليل افراز البريتوما ٠

أما نظريات عملية الهضم ، فقد كثرت وتشعبت وكذلك اعتبر السائل المنوى عنصرا فى احداث المرض أحيانا ٠

واعتبر الطبيب الصقلى فلستيون (قرن ٤ ق٠م) أن من ضمن مسببات المرض العناصر الأربعة (النار – الأرض – الهواء – الماء) وعن مسببات المرض الخارجية ذكر بأن الطعام يتحول الى مادة ضارة ٠ وذلك الرأى يدل على الاعتقاد بحدوث تعفن للطعام وفساده وعلاقة ذلك باحداث الأمراض (*) ٠

ثم ظهرت نظرية بأن البول هو نتيجة تعفن السوائل الغذائية بالمثانة ، واعتبرت السوائل الغذائية نوعين مفيد وغير مفيد ، وهذا الأخير يفرز بولا ٠

ودار نقاش كبير حول هذه النظرية ، فى حين أن بردية ايبرس ذكرت صدق النظرية المصرية القديمة والتى توجب ازالة احتباس البول بالمثانة المصحوب بالم بالعانة ، وهذا يدل على أنهم اعتبروا البول افرازا يجب اخراجه وأن احتباسه فى المثانة حالة مرضية تتطلب العلاج ٠

وأخذ أرسطو بنظرية النشوء الذاتى للأمراض من المواد المتعفنة واعتبر أن المياه الراكدة من أسباب النشوء الذاتى للأمراض وكذلك اعتبر الاغريق أن التقيح هو نتيجة للتعفن الغذائى ٠

ولا يبعد أن الاغريق اعتبروا الحمى نتيجة العفن (ورد ذلك فى كتابات أبقراط) ولا يبعد أيضا ان كان هذا الاعتبار مأخوذا عن

(*) الطب المصرى القديم ، الدكتور حسن كمال – جـ ٣ ، ٤ – القاهرة طبعة ثالثة ١٩٦٤ ٠٠

مصر القديمة ، على الرغم من أن الطب المصرى القديم لم يقل بنظرية الاخلاط .

ولقد اعتبر كثير من المؤرخين الأوائل أن الطب المصرى القديم كان عملا روحيا فى الحلبه ودينيا فى بعضه – فلما ترجمت بردية ادوين سميث الجراحية (عامى ١٩٢٢ ، ١٩٣٠) اتضح للعالم أن هذه البردية تحوى معلومات جراحية وطبية مؤسسة على ملاحظات اكلينيكية حاذقة وممارسة للمهنة سليمة ، وكان من أثر ذلك ان اعاد المؤرخون دراسة النصوص الطبية بالبرديات الأخرى فاتضح لهم انها تحوى معلومات طبية سليمة أكثر بكثير مما كان يظن .

ان خلو بردية ادوين سميث من العناصر الدينية الى حد بعيد لم يكن بمستغرب لأنه بحث جراحى واسباب الاصابات فيه واضحة وحالات الكسور المدرجة به لا يمكن أن تشفيها الرقى والتعازيم ، أما حالات الطب الباطنى فانها غامضة ومحيرة فى وقت واحد .

ومن أهم النظريات التى شغلت بال العلماء المصريين القدماء نظرية نشأة الكون والحياة ونادوا بأن الانســـان يتكون من أربعـة عناصر هى : –

١ – المـــاء : وقد خلقه الإله أوزيريس ويتحكم فيه .

٢ – النـار : وقد خلقه الاله ست ويتحكم فيه .

٣ – التراب : وقد خلقه الاله جب ويتحكم فيه .

٤ – الهـواء : وقد خلقه الاله شو ويتحكم فيه .

ولقد انتقلت هذه النظرية الى بلاد الاغريق وأيدهـا بشدة الفيلسوف امبيدوكليس (القرن الخامس ق.م) وكذلك الفيلسوف فلستيون (القرن الرابع ق.م) وأبقراط وجالينوس ثم انتقلت الى

العلماء المسلمين وناقشها الشيخ الرئيس ابن سينا وغيره وظلت معمولا بها الى ما قبل عصر النهضة الأوربية ٠

التشريح ووظائف الأعضاء

بدأ قدماء المصريين فى تشريح أجسام الحيوانات التى قدسوها للقرابين والتى قدسوها وحنطوها وأكلوها ٠ وبما أن دراسة التشريح لا تتم الا بدراسة الأجنة فقد كان هذا مستحيلا فى تلك العصور الغابرة ٠

عرف المصريون القدماء ضرورة الغذاء فقالوا بأنه يدخل الجسم عن طريق الفم الى المعدة فاذا لم يلائم الطعام هذه المعدة مرضت ومرض الجسم تبعا لها ٠ وقالوا ان حرارة الجسم تشتد فى بعض الأمراض ٠ فهم بذلك عرفوا أن الجسم لا يستفيد الا من الغذاء الصحى وان حرارة الجسم تتأثر بالمرض ٠

ولم يكن فى مقدورهم ان يميزوا بين الأوتار والأعصاب والاربطة ولم تكن لديهم فكرة عن الخلايا التى يتكون منها جسم الانسان ٠

(ولما شرح جالينوس جسم الحيوان فانه قسم العظام الى مفرطحة وطويلة وشرح عظام الجمجمة ـ واعتبر الأسنان عظاما وتعرف على ٢٤ فقرة من العمود الفقرى وقال بأنها تنتهى بعظمة العجز ٠٠ ووصف الفقرات والأضلاع وعظمة القص والترقوة وعظام الأطراف وقسم المفاصل الى ثابتة ومتحركة وتعرف على العضلات وميز عضلات العين والحنجرة واللسان ٠٠ ولم يتعرف بدقة على تشريح المخ والدورة الدموية وقال بأن الأعصاب تبدأ من المخ) ٠

وميز قدماء المصريين أوتار العضلات المتوترة والحبال وكذلك بين العضلات المتوترة والمرتجفة ، ووصفوا العقاقير لاحياء العضلات وتنشيطها وتهدئتها ·

وعرف المصريون القدماء الدم بأنه سائل أحمر يتجلط من نفسه بعد مدة ولم يتعرفوا على كرياته الحمراء ولا البيضاء ولا صفيحاته ·

ولقد عرفوا القلب ولكنهم لم يتعرفوا على دورة الدم الحقيقية (من دورة في الرئة ودورة في سائر الجسم) ـ ولم يرد ما يفيد معرفتهم بصمامات القلب ولا سير الدم في القلب ـ كما لم يرد ما يفيد معرفتهم للأوعية الدموية الشعرية واتصال الأوعية الشعرية الشريانية مع الوريدية ·

وتعرف الطبيب المصرى القديم على القلب بصفته مركز جهاز الأوعية الدموية ، وقام الجراح المصرى القديم بعد ضربات القلب (وهذا يكذب ما قيل عن أن هيروفيليس الطبيب الاغريقى السكندرى (المولود فى ٣٠٠ ق·م) والذى عاش فى الاسكندرية من أنه أول طبيب نسب اليه عد النبض مستخدما الساعة المائية المصرية والذى أوشك أن يكتشف الدورة الدموية وأول اغريقى ذكر هذه الحقيقة) ـ فى حين أن بردية ادوين سميث قد ذكرت بأن مؤلفها كان يعلم بأن النبض نتيجة قوة القلب وحركته وأن القلب صـــاحب القوة المركزية ومنها عرف هيروفيليس هذه المعلومات ·

كذلك ورد فى بردية ايبرس معلومات عن الأوعية تفيد بأنهم كانوا يعرفون أنه يوجد نوعان من الأوعية الأول وعدده ٤٦ وعاء والثانى ٢٢ وعاء ـ وهاتان القائمتان تشيران الى اختلاف فى أمور أخرى غير العدد كاختلاف الصفات واختلاف الوظائف · فمن النوع الأول جاء ذكر أن النبض أو كلام القلب يمكن جسه على طول جميع الأوعية وأن هذه الأوعية هى التى تسبب افراز الأنف (المخاط) والخصيتين (السائل المنوى) والمثانة (البول) وأنها ترسل السوائل كما

ترسل الهواء الى بعض الأحشاء الباطنية كالكبد والطحال والشرج والرئتين – أما النوع الثانى من الأوعية فوصف بأنه قنوات تنتشر بواسطتها الأمراض فى الجسم وأنها تستلم هذه الأمراض وتوزعها ٠

ومن ذلك يتضح أن هناك شيئين مختلفين مقصودين بالذات وأن هـذا الاختلاف هو نتيجـة اختـلاف الأوعيـة (من شرايين وأوردة) - فقد ورد عن النوع الأول (الشرايين) أنه يوصل النبض او كلام القلب – مثل هذا الوعاء هو الشريان قطعا – وبالتالى فان النوع الثانى هو الأوردة ٠

القسم الثالث :

الأطباء فى مصر القديمة

يدل التراث الفنى خلفه المصريون القدماء سواء فى بردياتهم الطبية او نقوشهم الحجرية على الدور البارز الذى اداه الأطباء فى مصر حتى ازدهرت الحضارة الطبية العظيمة منذ آلاف السنين ، بالرغم من انه كان بجانبهم عدد كبير من المتطبيين الذين استخدموا مختلف انواع السحر والشعوذة ٠

وكانت مهنة الطب فى مصر القديمة تحظى بأعظم تقدير باعتبارها فنا سماويا يهدف أساسا الى الحفاظ على الحياة ، وكانت من المهن البشرية النادرة التى كانت الآلهة تزاولها أحيانا ٠٠٠ فقد كان الاله تحوت يلقب بطبيب عين حورس وطبيب البالتين كما كان الاله حازور يلقب بكبير أطباء أبية دح ٠

كذلك ذاع صيت أطباء مصر خارج بلادهم اذ لجأ أمراء سوريا واباطرة فارس الى الاستعانة بأطباء اخصائيين من وادى النيل كما احاط اليونانيون أطباء مصر بهالة من التمجيد والاجلال ٠ فقد ذكرت

أوديسة هوميروس دواء مهدئا للأعصاب عد من معجزات الطب فى مصر كما أشادت هيلانه به بعد تلقيها له من بوليدااما زوجة الملك الاسطورى المصرى القديم ثون بقولها « ·· مصر تلك الأرض الخصبة التى تخرج هذا العدد العظيم من العقاقير السامة والشافية ·· تلك الأرض التى يعتبر اطباؤها أعلم الأطباء على الأرض لأنهم متحدرون من أصل بيون طبيب الآلهة » · كذلك أرسل قورش ملك فارس الى فراعنة مصر يرجوهم ارسال بعض أطبائهم لكى يعالجوا المرضى فى بلاطهم ، كما كان عشاق هذه المهنة النبيلة يحجون الى مصر من كافة أنحاء العالم المعروف وقتذاك يلتمسون الشفاء والتعلم على أيدى اطباء مصر الذين اشتهروا باعتمادهم على ملاحظاتهم الواقعية للأمراض وعلى خبراتهم العلمية الواسعة ·

وقد انقسم المعنيون بالعلاج فى مصر القديمة الى :

١ ـ الكاهن : وكان يلعب دور الوسيط بين المريض والاله متوسلا له لكى يمنح المريض الشفاء من أمراضه وكانت لديه معلومات متوسطة فى مهنة الطب والتطبيب ·

٢ ـ الساحر : وكان يعمل فى مجال طرد الشياطين من جسم المريض أو فك أعمال الأرواح الشريرة ·

٣ ـ الطبيب « سونو » : وكان يعالج المرضى بواسطة العقاقير وأحيانا يتلو عليهم بعض السحر أو مقتضيات الطب الكهنوتى حسب أساليبه العلمية المجربة · وكان الطبيب يتدرج فى اطار وظائف تصاعدية فى الادارات الحكومية المختلفة من طبيب الى كبير أطباء ثم الى مفتش أطباء ، ومنهم من كان ملحقا بالقصر الملكى أو بالزوجة الملكية أو بالحكام المحليين والنبلاء · كذلك كانت هذه المهنة انسانية خالصة فلم تكن تعالج الأغنياء فقط بل شملت كذلك كافة افراد الشعب من العمال والفلاحين والجنود والتجار والموظفين الصغار وغيرهم ·

ولقد لعب بعض الأطباء دورا مهما في البلاط الفرعوني مثل الطبيب « بنتو » الذى حمل لقب « الذى يدخل القصر ويخرج منه » (اى يقابل الفرعون فى أى وقت) مما يدل على مكانته العالية • كما كان هناك أطباء باطنيون وعيون وللشرج ولتفسير الفن السرى منها مرتباتهم •

وبتقدم مهنة الطب فى مصر الفرعونيـــة ، اســتدعى ذلك تخصص بعض الأطباء فى فروع مختلفة من الطب ، مثل الطبيب حسى رع من عهد الملك زوسر الذى لقب بكبير أطباء أسنان القصر • كما كان هناك أطباء باطنيون وعيون وللشرج ولتفسير الفن السرى أو الســوائل الخبيثة (أى افرازات الغدد الصــماء) ، كما جمع بعضهم بين عدد من التخصصات المختلفة مثل ايرى نختى •

كذلك فـرق المصريون بين الطبيب المختص والمحترف غـير الطبيب ، فكان هناك سونوابح اى طبيب الأسنان مثل منكاو رع عنخ ، وايرى ابح صانع الأسنان مثل نى عنخ سخمت • كذلك كان بعض كبار الموظفين المختصين بأمور الصحة والعلاج ينتخبون من بين كبار الموظفين الاداريين أو السياسيين ولم يكونوا من بين الأطباء مثل المسئول الأول عن الصحة (بمثابة وزير الصحة) أو مديرى المستشفيات •

وتعددت أيضا القاب بعض الأطباء فكان منهم من تدرج فى وظائفه مثل أطباء البلاط حيث كان هناك طبيب القصر الملكى ثم مراقب أطباء القصر الملكى ثم عميد الأطباء •

كذلك وجدت القاب لأشخاص لم يمكن الاستدلال على معناها مثل مريروكا الذى كان لقبه « رئيس جناحى مركب أطباء القصر » بينما لم يكن فى الأصل طبيبا •

أيضـــا تقدمت مهنـة الطب البيطرى للعنـــاية بالحيوانات المختلفة ، اذ ظهرت بالعديد من النقوش صــــور للماشية وأمامها

المشرف عليهـا وكان يسمى الطبيب وأحيانا بالكاهن الطبيب مما يوحي بأنهم كانوا مكلفين بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية · كذلك كان بعض الكهنة من غير الأطباء وبعض البيطريين من غير الكهنة ·

وليس بالامكان معرفة أسماء أو وظائف جميع الأطباء الذين مارسوا مهنتهم طوال العصور الفرعونية ولكن أمكن التوصل الى أسماء حـوالى مائة طبيب أو تزيد ، بعضهم وجد مجهول الاسـم وبعضهم وجدت آثاره مهشمة أو لم يمكن العثور الا على اسمه مكتوبا على جزء من بردية أو من صورة ويفترض وجود المئات منهم زالت آثارهم · ومن أشهر هؤلاء الأطباء :

نتر حوتب : طبيب عاش فى عصر الأسرة الأولى (حوالى عام ٣٢٠٠ ق·م) ·

حسى رع : طبيب عاش فى عصر الأسرة الثالثة (حـوالى ٣٠٠٠ ق·م) أثناء حكم الملك زوسر ، وكان رئيس أطباء الأسنان ورئيس الأطباء المعالجين وكاهن الاله حورس وغيرهـا من الوظائف ·

نفريريتس : طبيب فى عصر الدولـة القديمة (حوالى عام ٣٠٠٠ ق·م) وكان طبيبا للأسنان ·

عنخ : طبيب عاش خـلال عصر الدولة القديمة حوالى عام ٢٧٣٠ ق·م وكان ممارسا عاما ·

ميثن : طبيب عاش فى عصر الأسرة الرابعة (حوالى عام ٢٧٠٠ ق·م) أثناء حكم الملك سنفرو ·

واح دوا : طبيب أخصائى عاش خـلال عصر الدولة القديمة وعمل كرئيس لأطباء العيون فى البلاط الملكى ·

رع : طبيب عاش خلال الدولة القديمة وعمل فى بلاط الملكة ·

عنخ الثانى : طبيب عاش خـلال عصر الدولة القديمة وكان عميد أطباء البلاط الملكى .

خاى : طبيب عاش خلال عصر الدولة القديمة وكان رئيس أطباء بلاط الملكة .

نسى ـ ام ـ تاو : طبيب عاش خـلال عصر الدولة القديمة وعمل كمفتش على أطباء البلاط الملكى .

امحوتب بن كا ـ نوفر : طبيب ووزير وفلكى ومهندس معمارى وحكيم ورئيس للكهنة وغيرها من الوظائف . ولد حوالى عام ٢٩٨٠ ق.م فى منف وخدم فى بلاط الملك زوسر فى الأسرة الثالثة واستمرت ذكراه حية نحو ثلاثة آلاف عام .

ايبى : طبيب عاش خلال الأسرة الرابعة (٢٧٢٠ ـ ٢٥٦٠ ق.م) وعمل كرئيس للأطباء فى مصر العليا واشتهر كطبيب للعيون.

مر ـ كاو ـ رع : عاش خلال الأسرة الخامسة وعمل كطبيب أسنان للملك ساحورع .

نى ـ عنخ ـ دواو : طبيب عاش فى عصر الأسرة الخامسة (حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م) وعمل كطبيب لأمراض العيون فى مدينة آنو (هليوبوليس) .

واج ـ دواو : طبيب عاش أيام الأسرة الخامسة وعمل طبيبا للعيون .

ون ـ نفر : طبيب عاش أيام الأسرة الخامسة وعمل مفتشا للأطباء وبيطريا كاهنا ومسئولا عن طهارة حيوانات الأضحية .

بسيشت : طبيبـة عاشت أيام الأسرة الخامســة وعملت رئيســة للطبيبات .

نى ـ عنخ ـ رع : طبيب عاش أيام الأسرة الخامسة (حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م) وعمل مفتشا للأطباء فى القصور الملكية .

نى ـ عنخ ـ سخمت : طبيب عاش أيام الأسرة الخامسة (حوالى ٢٤٨٠ ق·م) وعمل كبيرا للأطباء فى القصور الملكية ·

نفريتيس : طبيب عاش أيام الأسرة الخامسة (حوالى عام ٢٤٥٠ ق·م) خلال عهد الملك نفر ـ ف ـ رع سادس ملوك هذه الأسرة وعمل طبيبا لأمراض العيون ·

نفر ـ حور ـ ان ـ بتاح : طبيب عاش أيام الأسرة الخامسة (حوالى عام ٢٤٥٠ ق·م) وكان معاصرا للطبيب نفريتيس ، وعمل ممارسا عاما ·

ايرى ـ ان ـ اخت : طبيب عاش أيام الأسرة الخامسة وعمل طبيبا فى البلاط الملكى ·

ميرا : طبيب عاش أيام الأسرة السادسة (حوالى عام ٢٤٠٠ ق·م) وعمل وزيرا للملك تيتا ·

ون ـ نفر (الثانى) : طبيب عاش أيام الأسرة السادسة (حوالى عام ٢٤٠٠ ق·م) وعمل مفتشا للأطباء ·

ايرى : طبيب عاش أيام الأسرة السادسة (حوالى عام ٢٤٠٠ ق·م) وعمل رئيسا للأطبـاء فى البلاط الملكى ومسئولا عن فحص الحيوانات المعدة للتضحية والقربان للتحقق من طهارتهم (أى خلوهم من الأمراض) ·

خوى : طبيب عاش أيام الأسرة الســـادسة ابان عهد الملك تيتى (حوالى عام ٢٣٨٠ ق·م) وعمل كبيرا للأطباء فى القصور الملكية ·

سشم ـ نفر : طبيب عاش أيام الأسرة السادسة (حوالى عام ٢٣٥٠ ق·م) وعمل مفتشا للأطباء ·

حيرى ـ شيف ـ نخت : طبيب عاش أيام الأسرة الحـادية عشرة (حوالى عام ٢١٥٠ ق·م) وعمل كبيرا للأطباء فى البلاط الملكى ورئيسا للسحرة ·

ان ـ ان اختى (الثـــانى) : (وكان يـــدعى ايضـــا « ايرى الثانى » و « نى ـ عنخ ـ بيبى ») طبيب عاش حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م وعمل فى البلاط الملكى كمستشار للأطبـــاء فى القصور الملكية وأخصائى فى أمراض العيون .

اتمحات : طبيب عاش حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م وعمل كبيرا للاطباء .

ابى : ابن نفر ـ حتب ـ عنخ ، طبيب عاش أيام الدولة الوسطى (حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م) .

ايمنى : طبيب عاش أيام الدولة الوسطى وعمل كبيرا للاطباء .

نخت : طبيب عاش أيام الدولة الوسطى وعمل طبيبا ومفتشا على الحالة الصحية للحيوانات المعدة للاستعمال الآدمى .

احا ـ نخت : عاش خلال الدولة الوسطى وعمل فى وظيفة كاهن من كهنة الالهة سخمت أى جراحا .

اكمو : طبيب عاش أيام الأسرة الثانيـة عشرة (٢٠٠٠ ـ ١٧٩٠ ق.م) وعمل ممارسا عاما .

ايوتى : طبيب عاش أيام الأسرة الثامنة عشرة وعمل كبيرا لأطباء القطرين .

امنحوتب بن حابو : طبيب عاش حـوالى عام ١٥٥٠ ق.م وعمل كبيرا للاطباء .

نب ـ آمون : طبيب عاش أيام الأسرة الثامنة عشرة فى عهد الملك امنحوتب الثالث (حـوالى عام ١٣٩٠ ق.م) وعمل كبيرا للاطباء .

بنثو : طبيب عاش ايان الأسرة الثامنة عشرة خـلال عهد الملـك اخناتون (حوالى عام ١٣٧٠ ق.م) وعمل كبيرا للاطباء .

حوى : طبيب عاش أيام الأسرة الثانية والعشرين (حوالى عام ٩٠٠ ق٠م) وعمل ممارسا عاما ٠

بف - تايو - ام - آوى - نيث : طبيب عاش أيام الأسرة السادسة والعشرين (حوالى عام ٥٤٠ ق٠م) خلال حكم الملك احمس الثانى (امازيس) الذى حكم من ٥٦٨ - ٥٢٦ ق٠م وعهد اليه باعادة بناء بيت الحياة فى مدينة ابيدوس ٠

الفصل الثالث :

القسم الأول :

البرديات الطبية المصرية القديمة

اكتشفت العديد من لفائف البرديات الطبية فى مصر فى القرن (التاسع عشر الميلادى) بحيث ألقت الضوء على تلك الحضارة العظيمة للمصريين القدماء والتى تثبت خطأ الاعتقاد العالمى بأن حضارة الاغريق القدماء كانت أول ما ظهر على وجه الأرض وتثبت كذلك بأن مصر هى المهد الحقيقى وأصل الحضارة التى انتشرت فى كل أرجاء الأرض ٠

وبفحص هذه البرديات وجد أن فن تحضير الأدوية والعقاقير عند المصريين القدماء وكذلك معرفة خواص النباتات الطبية العلاجية كان يسبق بكثير فى الاكتشاف المبكر عن فنى التشريح والجراحة (*) ٠

(*) كتاب الطب المصرى القديم ـ د٠ حسن كمال ج ١ ، ٢ ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ٠

ولقد عنى الأقدمون طوال العصور الفرعونية المختلفة بنسخ هذه البرديات بواسطة كتبة مهرة لهم دراية ومعرفة بسيطة بالطب وليسوا من الأطباء • ويتبين منها أن الصيدلة عند قدماء المصريين كانت أقدم مهنة علاجية ظهرت هناك والتى قام بممارستها العشابون منذ عصور بعيدة وقديمة قبل ممارسة الطب والجراحة •

وتعتبر هذه البرديات بمثابة دساتير للأدوية والعقاقير والعلاج الطبى فى تلك الأيام البعيدة • وتتضمن معلومات غاية فى الأهمية عن ذلك التراث الحضارى الخالد والذى يظهر مدى ما وصل اليه القدماء من درجة عالية من المجد فى حضارتهم الدوائية فى عصور تاريخية ماضية بينما كان سكان أوروبا يعيشون فى مجاهل وظلمات أدنى درجات الحضارة (*) •

هذه الحضـــارة المصرية الخالدة فى مجال الطب والصيدلة تظهر نوعا فريدا فى التخصص فى تلك المهنتين وكذلك فى مجال التاليف الطبى العلمى وأيضا فى تقدم الفن الجراحى • ويرجـع الفضل كذلك لتلك البرديات الطبية والتى حفظها الزمن لهذا الجيل وللأجيال القادمة والتى عنى القدماء بنقلها مرارا وتكرارا وحاكاهم فى ذلك سكان البلدان المجاورة بما فيهم الاغريق حتى وصـلت الى أوروبا كلها وأصبحت جزءا لا يتجزأ من تراثها الحضارى والطبى فى مجال العلاج والوصفات الشافية مبرهنا على تأثير الحضـــارة المصرية القديمة على العالم كله • ويجدر بنا أن نذكر أن برديتى ايبرس وادوين سميث اكتشـفتا فى جرة واحدة بمدينـة الأقصر وكانت البردية الأولى تعتبر بمثابة المرجع الأساسى للطب فى حين كانت الثانية تعتبر كذلك فى الجراحة •

والبرديات الطبيـة كثيرة العدد وتناقش جميع فروع الطب والجراحة وحتى الطب البيطرى وهى :

(*) All Medical Papyrus, by Wreszinski.

١ ـ بردية ايبرس : Ebers Medical Papyrus

اكتشفت هذه البردية فى عام ١٨٦٢ م بحالة جيدة نوعا ما بواسطة أحد سكان الأقصر ثم باعها الى الألمانى جيورج ايبرس فى عام ١٨٧٢ م وعرفت باسم بردية ايبرس وحتى الآن ، وتعتبر هذه البردية أطول وأهم بردية وأكثر المخطوطات الطبية شهرة ومحفوظة فى مكتبة جامعة ليبزج الألمانيـة · ويدل حسن خط الكتابة على الأهمية الكبيرة التى روعيت فى كتابتها وهى بالمداد الأسود بينما رؤوس الموضوعات بالمداد الأحمر ومكتوبة بالخط الهيراطيقى للغة المصرية القديمة وتحتوى كذلك على تعليقـات على بعض الوصفات الطبية والتى تصفها أحيانا بأنها جيدة أو جربت من قبل وهـذه توحى بأنها من اسلوب صيدلى كتبها عندما حضر هذه الوصفات وجربها وثبتت فائدتها ·

وترجع كتابة هذه البردية الى عام ١٥٥٠ ق٠م · فى بداية عهد الأسرة ١٨ وذلك ثابت من ورود اسم ملك من تلك الفترة بين سطور البردية · ويظهر جليا من سياق الكلام ان هذه البردية نقلت من مخطوط أقدم عهدا منها ، ويتبين منها أن الصيدلة فى ذلك الوقت كانت قد بلغت منزلة كبيرة من الناحية الحضارية (*) ·

ولقد ترجم هذه البردية الى اللغـة الألمانيـة فريزنسكى عام ١٩١٣ ثم الى الانجليزية ايبيل عام ١٩٣٧ ولكن ينقص الترجمتين الكثير من الصـدق فى ترجمة النباتات والعقاقير واسـتنباط بعض الأمراض ·

(*) The Papyrus Ebers ; by B. Ebbell, Copenhagen, 1937.
The Papyrus Ebers ; by C. P. Bryan.

ويمكن ملاحظة الآتى :

١ ـ رتبت الوصفات الطبية فى هذه البردية طبقا للأجهزة المختلفة فى جسم الانسان ويعتبر هذا أول خطوة فى تمهيد الطريق نحو تقدم العلم بالدرجة التى وصل اليها الآن ٠

٢ ـ تبدأ البردية بثلاثة أدعية للآلهة ، وهنا نجد أول ذكر للفصل بين السحر والطب حيث ان البردية تحتوى على عدد يربو على ٨٧٧ وصفة طبية بينما الأدعية لا يزيد عددها على ١٢ ٠ وهذا دليل واضح وقوى على أن الاعتماد كان كله على العقاقير الطبية وليس على السحر ويثبت لنا كذلك أن الصيدلى كان هو الشخص الوحيد المسئول عن تحضير الوصفات الطبية ومقاديرها ٠

٣ ـ تحتوى البردية كذلك على طرق علاج الأمراض مثل التى تسببت عن الاصابة بالديدان وعن البول الدموى والبهاق والجذام والأمراض التى تصيب العيون (والتى كانت متوطنة دوما فى مصر القديمة منذ عصور بعيدة) وكذلك الجروح والأورام والخراريج والتهابات الأنف والأذن وأمراض النساء ٠٠ وغيرها بالاضافة الى ذكر الأدوية التى تقتل الحشرات والعقارب والسحالى والفيران وغيرها ٠

٤ ـ تعتبر تقريبا البردية الوحيدة التى تذكر التشخيص للأمراض المختلفة وتتبعها بوصفات للعلاج ٠ وهذا شيء نادر جدا حدوثه بالمقارنة الى البرديات الأخرى المكتشفة ٠ وكذلك تبين لنا هذه البردية أن المصريين القدماء استطاعوا معرفة الفرق بين الأمراض المتشابهة مع بعضها البعض وعن استطاعتهم اجراء العديد من التجارب والمحاولات المستمرة للوصول الى العلاج الأمثل ويظهر ذلك جليا فى الوصفة المخصصة لعلاج تساقط شعر الراس والتى قامت بتجهيزها والدة الملك تيتا (ثالث ملوك الأسرة الأولى) والتى تثبت

بصفة قاطعة أن هذه البردية هى نتاج تجارب سنين طويلة من الأبحاث التى أجريت حتى قبل كتابة هذه البردية والتى يرجح بقوة ان الأصل الذى نسخت عنه هذه البردية يرجع الى ما قبل عهد الأسرات وكذلك يظهر بجلاء أن الطب ومعرفته كانا دائبى التنقل بين مصر القديمة وجيرانها مثل مدينة بيبلوس اللبنانية والتى كان الطب المصرى القديم مزدهرا هناك بدرجة كبيرة نتيجة نقل اهلها لكافة العلوم المصرية .

كذلك يظهر من البردية أنها تحتوى على كثير من الكلمات التى بطل استخدامها أيام كتابة هذه البردية ونسخها مما استدعى من ناسخها أن يعلق عليها بمعان تفسر هذه الكلمات التى يرجع عهدها الى ما قبل الأسرات .

٥ ـ يصل طول هذه البردية الى ٢٣ر٢٠ مترا وتحتوى على ١٠٨ اعمدة ما بين ٢٠ ـ ٢٢ سطرا .

٦ ـ تذكر البردية وصفة تحمل اسم مبتكرها وهو صيدلى يدعى « خوى Khoy » من مدينة هليوبوليس لعلاج بعض أمراض العيون . وهذا يثبت ويبرهن على أنه كان فى مدينة هليوبوليس صيادلة اعتادوا تحضير بعض أنواع الأدوية الخاصة بهم وتحمل اسمهم كنوع من أنواع العلامات المسجلة الاحتكار كما فى أيامنا هذه .

٧ ـ كان صيادلة ذلك الوقت ماهرين جدا فى تحضير الأدوية واختيار أصلحها واستخدموا فى مكوناتها النباتات الطبية الطازجة وأحيانا المغلية وكذلك أجزاءها المختلفة مثل الثمار غير الناضجة ، والناضجة ، والناضجة جدا وأحيانا أشواكها أو الراتنج المستخلص منها مع اهتمامهم الشديد بالوقت المناسب لانتقاء هذه الأجزاء من النبات والأماكن الصالحة لانباتها .

كذلك اعتادوا اضـــافة مواد لتحسين طعم هــذه الأدوية أو تحليتهــا وذلك لاخفــاء طعمها الكريه مثــل البيرة واللبن · أيضا عرفوا كيفية التمييز بين أنوع البيرة وكذلك بين أنواع اللبن الطازج والحمضى والمطبوخ وكذلك بين مصادره المختلفة مثل لبن الاتان أو البقر أو الانسانى · كذلك عرفوا صمغ الجميز اللبنى وأنــواع المياه من عادية ومعدنية ومستحلب زيت بذرة الكتان وماء الدقيق وماء النطرون وغيرها ·

٨ ـ كذلك تحتوى الوصفات على أنواع متعددة من الأغذية ودهانات الجلد والشـــعر والحبوب التى تمضغ فى الفم لتعطيره وأنواع الحقن الشرجية وغســول للأذن وحمامات البدن وقطرات الأنف والغرغرة واللبوسات والسعوط والبخور والأبخرة التنظيفية والمطهرة للجيوب الأنفية ومختلف أنــواع العطور والاستنشـــاقات والأشربة واللبخات وتركيبات لأمراض العيون مثل القطرات والمراهم والكحل ومختلف أنواع التركيبات الأخرى ·

أما بالنسبة للجزء الجراحى فى هذه البردية فانه كتب على غرار ونســـق ذلك المكتوب فى بردية ادوين ســميث الجراحيــة (مما يقطع بأن كاتب هاتين البرديتين هو شخص واحد) ·

٢ ـ بردية ادوين سميث الجراحية :
Edwin Smith Surgical Papyrus

اكتشفت هـــذه البردية فى عام ١٨٦٢ فى نفس الجرة مع بردية ايبرس واشتراها العالم الأمريكى ادوين سميث فى عام ١٨٧٢ ومحفوظة الآن فى مكتبــة الجمعية التاريخية فى نيــويورك (*) · ويرجع عهدها الى عام ١٧٠٠ ق·م·و يتبين من فحواها أنها نسخت

(*) The Edwin Smith Surgical Papyrus ; by James Henry Breasted.

من مخطوط أصلى كتب بواسطة أمحوتب (ذلك الطبيب الشهير والذى عاش عام ٢٨٠٠ ق٠م) ـ وقد ترجمها للانجليزية من الخط الهيراطيقى للغة المصرية القديمة الانجليزى جيمس بريستيد عام ١٩٣٠ م ٠

ويتبين من البردية الآتى :

١ ـ تتكون البردية من ١٧ عمودا تحوى ٤٦٩ سطرا ويبلغ طولها ٤ر٦٨ م وبها الكثير من الرسوم والكتابة الهيراطيقية أحيانا عموديا أو رأسيا والمعتقد أن ناسخها عدة أشخاص وذلك ظاهر من تباين أنواع الخطوط المكتوبة بهـا ولكن تشبه فى مجموعها تلك الكتابة التى كانت متداولة فى مصر القديمة أيام حكم الهكسوس ٠

٢ ـ تحوى البردية تفسيرات وتشخيصات لحالات مرضـية كثيرة بدون ذكر أى علاج لها وعلى حالات أخرى لم يمكن ايجـاد علاج لها وعلى وصف لحالات جروح وكسور فى مختلف أجزاء الجسم وعلى بعض الأدعية والابتهالات وعلى بعض الوصفات التى تساعد على تجديد شـباب المتقدمين فى السن وبهذا أعطت لنا فكرة عن قـدم الحضارة المصرية واصالتها وعن مدى تقدم الجراحة عندهم ٠

٣ ـ كذلك اظهرت علاج بعض الحالات الجراحية مسبوقة بتلاوة بعض الأدوية والعزايم (ابتهالا للاله بأن يكلل مجهود الجراح بالنجاح أثناء اجراء العملية وبعدها حفاظا على حياة المريض) ٠٠ وتعطينا فكرة كبيرة عن عظمة الفكر المصرى وتخطيطه لاكتشـاف الأسرار الخفية عن تركيب الجسم الانسانى وعن تقدمهم الكبير فى تقسيم وترتيب الدراسات الخاصة بالحالات الجراحية بحيث تبدأ أولا بوصف الحالة عامة ثم فحصها وتشخيصها ثم اختيار العـلاج الصالح والناجع لها ثم طريقة تحضير العقاقير الخاصة بها ثم طريقة استخدامها ٠

وكان الجراحون فى مصر القديمة مشهورين بالمهارة والحذق التام فى مهنتهم ومن بينها العناية بالجروح وارتجاجات المخ وكسور الأطراف وغيرها مستخدمين فى ذلك العديد من الآلات الجراحية من مختلف الأنواع والأشكال مثل السكاكين المعقوفة والمثاقيب البرميية والمناشير وغيرهـا (وتجد رسومات كاملة لهذه الآلات مرسـومة ومحفورة على واجهات معبد كوم أمبو فى الصعيد) .

كما كانوا على دراية كاملة بعمليات فتح الجمجمة فى حالات الصـدمات والارتجاجات واستخراج الدم المتجمد ووقف النزيف الحادث ثم تنظيف الأنسجة التالفة ويتبع ذلك اعادة وضع قطعة الجمجمة المرفوعة الى مكانها الأصلى ثم ربطها بالضمادات والمـواد اللاصقة .

وهذه العمليات وغيرها كان يقوم بها الجراحون المصريون منذ عصور ما قبل الأسرات وتدل بعض الجماجم التى وجدت منذ تلك العصور على وجود عمليات تربنة بها والتى تدل على التحامها وأن المريض عاش سنوات طويلة بعد اجراء هـذه العمليـة مثل تلـك المومياء التى عثر عليها سليمة .

ويدل وصف العمليات التى وردت ذكرهـا فى بردية ادوين سميث الجراحيـة على أنهـا من العمليـات التى كانت تجـرى بصفة مستمرة والتى تدل على مهارة جراحى تلك العصور وكذلك على أن هذه البردية تعتبر أقدم مرجع أساسى للجراحة فى العالم وأن الحالات التى ذكرت بها تتراوح ما بين وصف اصابات الجمجمة حتى أسفل العمود الفقرى ومرتبة ترتيبا منظما .

وكل حالة من الحالات الثمانى والأربعين المذكورة فى البردية كانت تسبقها نبذة موجزة عن ملخص للتشخيص ويتبعهـا شرح واف لها مفصل ثم فكرة عن المرض وأحيانا العلاج الواجب اتخاذه حيالها .

وفي معظم الحالات أضاف اليها شخص أو أكثر بعض التعليقات الى الوصف الموجود بالبردية متضمنة شرحا مفصلا لبعض ما يغلق فهمه ويصعب تفسيره على الشخص القارىء والتى تدل على أن بعض الفقرات الأصلية مكتوبة بأسلوب عفا عليه الزمن لقدمه واحتاجت إيضاحات حديثة عنها ·

وتعتبر هذه البردية احدى المراجع الأساسية فى تدريس الطب الجراحى فى المدارس الطبية القديمة وتدل على أنها أقدم تاريخا عن تلك الفترة التى كتبت فيها بحيث ترجع الى ٦٠٠٠ عام مضت على الأقل ·

٣ ـ بردية هيرست الطبية : Hearst Medical Papyrus

اكتشفت هذه البردية فى مصر عام ١٩٠١ م وسميت على اسم السيدة الأمريكية فيبى ابرسون هيرست والتى مولت البعثة التنقيبية عن الآثار المصرية برئاسة الدكتور رايزنر · وتحتوى البردية على ١٨ عمودا و ٢٧٣ سطرا و ٦٦٠ وصفة طبية (*) ·

ويرجع تاريخ هذه البردية الى عام ١٥٠٠ ق·م· ومحفوظة الآن فى متحف كاليفورنيا · ويعتقد أنها نسخت فى نفس الوقت الذى نسخت فيه بردية ايبرس ، ولكنها ليست نسخة حرفية منها بالرغم من أن الوصفات تشبه تلك الوصفات الأخرى بدرجة كبيرة ولكنها تحتوى على معلومات أكثر منها فى حين أن بعضها متماثل تماما ومتكرر · كذلك نجد أن ترتيب الوصفات فيهما مختلف وكذلك رؤوس وبداية الوصفات المتماثلة جد مختلفان · ولقد ترجم هذه البردية الدكتور رايزنر فى عام ١٩٠٥ الى الانجليزية وترجمها فرزنسكى الى الألمانية عام ١٩١٢ ثم لوتز فى عام ١٩٣٥ ·

(★) The Hearst Medicinal Papyrus ; by G. A. Reisner, Leipzig, 1909.

ومن فحص هذه البردية نجد أن ناسخها قد استقى معلوماته من بردية ايبرس · وكذلك من بعض الوصفات التى جمعها العديد من الأطباء من الطب الشعبى فى مختلف قرى مصر القديمة والتى انتقلت من جيل لآخر بواسطة السمع أو بالكتابة ، وتعتبر بذلك أحيانا بأنها كتاب وصفات المدارس الطبى ·

ومن الثابت أيضا عند دراسة هذه البردية أنها كتبت فى قرية صغيرة وليست فى مدينة طيبة الكبيرة التى كتبت فيها بردية ايبرس بما فيها من معلومات طبية هائلة ومتحضرة ·

ويمكن ملاحظة الآتى على هذه البردية :

١ ـ قام قدماء المصريين بترتيب طرق العلاج بالنسبة لمختلف أعضاء الجسم طبقا لنظام معين يبدأ بذكر ما يمكن تلاوته من ادعية لطرد الأرواح الشريرة ومنع الخوف والقلق من المريض·

٢ ـ عمد الصيادلة المصريون الى تحضير بعض أنواع المنقوعات من النباتات الطبية فى الهواء الطلق وجهزوا بعض المراهم بقواعد مكونة من الدهن أو الشحم أو زيت الزيتون أو غيرها ·

٣ ـ لجأ محضرو بعض الوصفات الطبية الى تلاوة بعض الأدعية والابتهالات أثناء وزن مكونات الوصفات ويدلنا هذا على أن المصريين القدماء كانوا يراعون كل الدقة فى تحديد نسب وأوزان كل مادة من موادها ·

٤ ـ كان لبعض السوائل مثل الزيوت والعسل والبيرة اهتمام خاص بها وكلما أضيفت احداها الى بعض المواد الأخرى عمدوا الى تلاوة دعاء خاص بها ·

٥ ـ عادة كان اسم المريض يكتب على أول الوصفة بالمداد الأحمر

في حين كانت مكوناتها تكتب بالمداد الأسود والجرعات بالمداد الأحمر ٠

٦ ـ كان لقدماء المصريين طرق خاصة لعلاج أمراض الأسنان والتهاباتها وآلام الصداع وانتفاخات الصدر وآلام المعدة واضطرابات القلب والعظام المكسورة والأورام والخراريج وعضات التماسيح والخنازير والجاموس البرى الأسود والانسان ٠٠ وغيرهم ٠ وكذلك لعلاج مختلف أنواع الجروح والتهابات الجهاز البولى والمثانة والهزال العام ٠٠ وغيرها ٠

٧ ـ اعتاد المصريون القدماء علاج أمراض فقر الدم عن طريق اطعام المرضى كبد الثور المشوى أو شرب دمائه وكذلك كانت لديهم وصفات لعلاج مختلف آلام الجسم وأخرى لطرد الأرواح الشريرة مكونة من عدة نباتات طبية مخلوطة بالعسل وهذا دليل قاطع وقوى على أنهم لم يستخدموا السحر فقط وحده لعلاج الأمراض ٠

٨ ـ تحتوى البردية كذلك على وصفات تفصيلية لتحضير مختلف التركيبات الصيدلية مثل الحبوب والأشربة والغيارات واللبخات وجبائر الأطراف وأغذية خاصة للمرضى وأنواع الكريمات والمراهم والمساحيق والتعازيم السحرية ٠٠ وغيرها ٠

٩ ـ تشبه بردية هيرست محتويات بردية برلين وبدرجة حرفية كبيرة لوصفات بردية ايبرس ٠

٤ ـ برديات برلين الطبية : Berlin Medical Papyri

وتسمى أحيانا بردية ارمان (أرقام ٣٠٣٨ ، ٣٠٢٧) ٠ وقد اكتشفت فى عام ١٨٢٥ م بواسطة الايطالى « جيوسبى باسالاكوا » بالقرب من مدينة سقارة (ممفيس) وتوجد الآن محفوظة فى متحف برلين ٠

وهاتان البرديتان تماثلان بدرجة كبيرة وخصوصا تلك المرقمة ٣٠٣٨ (حسب ترقيم متحف برلين الخاص بالمحفوظات) لبرديتي ايبرس وهيرست • وبفحص برديتى برلين وجد أنهمـا قد كتبتـا بالمداد الأسود للموضوعات ورؤوسها بالمداد الأحمر (كما هو متبع في كتابه البرديات الطبية) ـ وكانتـا تعتبران أنفس المراجع الرئيسية الطبية في مكتبة الاله أمحوتب في ممفيس • وقد ترجمهما ارمان في عام ١٩٠١ •

وتعتبر البردية الأولى (رقم ٣٠٣٨) أهمهما ويصل طولها الى ١٦ر٥ مترا وتحوى ١٥ عمودا ويرجع تاريخ نسخهـا الى عام ١٥٥٠ ق•م• وتبدأ البردية ببضع كلمات يفهم منها أن هذه البردية عبـارة عن مقدمة ومدخل للوصـفات الطبية المخصصـة لازالة الآلام ، وأنها منسوخة من بردية أقدم منها كانت قد وجدت تحت قدم الاله أنوبيس في بلدة أوسيم (حاليا امبابة من ضواحى القاهرة الكبرى) في عهد الملك أتوثيس (Athothis) ثانى ملوك الأسرة الأولى (والذى كان في الأصل طبيبا وألف كتابا قيما في التشريح) ثم انتقلت ملكية البردية القديمة الى حوزة الملك سند (Send) في نفس الأسرة (ولقد نقل جالينوس في مؤلفـاته الطبية الكثير مما تحويه هذه البردية حسب قوله) •

وتتكون البردية من ٢٧٩ سطرا و ٢٠٤ وصفات طبية وكتبها الطبيب نترحوتب (Neterhotep) الذى عاش حوالى عام ٣٠٠٠ ق•م •

ويمكن ملاحظة الآتى على هذه البردية :

١ ـ تحوى البردية وصفات طبية لعلاج الألم وطرد الأرواح الشريرة وعسر البول المؤلم والبول الدموى (البلهارسيا) والديدان المعوية (مثل الاسكارس والدودة الشريطية) وكذلك لعلاج

القيء والحميات وأورام الصدر واضطرابات المعدة والقلب وكذلك ضد لدغ العقارب والحروق وآلام الأذن ٠٠٠٠ وغيرها ٠

٢ ـ ورد ذكر المروخ فى وصفتين لاستعمالها داخليا بدلا من الاستخدام المعتاد كدهان جلدى ٠

٣ ـ تحوى ثمانى وصفات للكشف على النساء لمعرفة مدى امكانية حدوث الحمل لديهم من عدمه مما يدل على مدى اهتمام وتقدم هذا الأمر عند قدماء المصريين الى درجة أنهم أطلقوا على الاله امحوتب لقب « مانح الأطفال الى اللواتى ليس لديهن » ٠

٤ ـ تحوى كذلك ثلاث تعازيم سحرية منها واحدة تتلى قبل شرب الدواء والثانية لتخفيف الآلام والثالثة ضد ألم المعدة ٠

أما البردية الثانية المرقمة (٣٠٢٧) فيرجع تاريخها الى عام ١٣٥٠ ق٠م وتتكون من ٢١ عمودا وبها ثلاث وصفات وثلاثون عزيمة سحرية وقد قام العالم فريزنسكى عام ١٩٠٩ بترجمتها من الكتابة الهيراطيقية الى اللغة الالمانية ٠

٥ ـ بردية لندن الطبية : London Midical Papyrus

(رقم ١٠٠٥٩) :

هذه البردية عبارة عن قرطاس ملفوف صغير اكتشف عام ١٨٦٠ م ومحفوظ الآن فى المتحف البريطانى فى لندن ومكتوب كذلك بالخط الهيراطيقى للغة المصرية القديمة ، ولكن للأسف وجد بحالة بالية للغاية وتحوى الكثير من التعازيم السحرية وبعض الوصفات الطبية ويرجع تاريخها الى عام ١٣٥٠ ق٠م٠ ٠

وبفحص هذه البردية نجد أنها تحوى ٦٣ وصفة منها ١١ منقولة بالتمام من بردية ايبرس ٠

ولقد ظن فى البداية أنها تعود الى عصر الأسرة الرابعة (٢٧٠٠ ق٠م) وذلك لوجود ذكر اسم الملك خوفو بها ولكن بالتوفيق فى طريقة الكتابة ونظامها فى هذه البردية وجد أنها كتبت على

الأرجح فى عهد الأسرة ١٩ وأن معظم ما بها من وصفات طبية منقولة حرفيـا من برديات أقدم منها عهدا ولكن نظرا لوجود العديد من الأدعية والتعازيم السحرية بها فنعتقد أن السحر فى تلك الفترة من تاريخ مصر قد تغلب على الطب وأصبح هو الملجأ السائد للعلاج . وقد ترجم هـذه البردية من الخط الهيراطيقى العالم فريزنسكى عام ١٩١٢ م الى اللغة الألمانية .

ويتبين من هذه البردية الآتى :

١ ـ احدى الوصفات كانت مخصصة لعلاج الحمى المزمنة الطويلة والتى تتكون من الدعاء والابتهال للآلهة لكى تزيل من جسد المريض تلك الغدد الضارة (أغلب الظن انها كانت حالة أورام سرطانية خبيثة متأخرة) .

٢ ـ تحوى البردية كذلك ١١ وصفة مكونة من لبخات موضـعية وكذلك على ٦ وصفات من المراهم و ٢٦ ابتهالا وعزيمة .. وغيرها .

٣ ـ قلة عدد الوصفات الطبية بالنسبة الى عدد التعازيم السحرية وكذلك على بساطة تركيبها مستخدمة الأعشاب والنباتات التى كانت تستخدم عادة فى المنازل مثل القمح والشعير والشحم الحيوانى والخس والعسـل والخروب ولبن الجميز وحبوب لقاح النخيل .. وغيرها .

٤ ـ كثرة ورود ذكر المواد الكيميائية كمركبات تدخل فى تركيب الوصفات الطبية مثل الرصاص الأبيض واكسيد الرصـاص الأحمر وكبريتور الخارصين وغيرها ..

٥ ـ خصصت معظم الوصـفات لعـلاج مختلف الجروح وذلك باستعمال مركبات الرصاص فى حين استخدمت مستحضرات من الخشخاش لتسكين آلام غرغرينة الحروق شربا ودهانا .

٦ ـ تتكون البردية من ١٩ عمودا مكتوبة راسيا ٠

٦ ـ بردية تشيستر بيتى الطبية :
Chester Beatty Medical Papyrus

يرجع تاريخ كتابة هذه البردية الى عام ١٢٥٠ ق٠م٠ واشتراها الانجليزى تشيستر بيتى بعد اكتشافها فى نهـــاية القرن ١٩ م وأهداها بعد ذلك للمتحف البريطانى ٠

والبردية بها ٨ أعمدة وبكل عمود ١٤ سطرا و ٤١ وصفة طبية مخصصة لعلاج أمراض الشرج ٠ ويتطابق بدرجة كبيرة كل ما جاء فى البردية من آراء ونظـريات علمية لتلك التى اقتبسـها منهـــا ابقراط فى أعماله ومؤلفاته الطبية والتى تختص بأمراض وتشريح الشرج (*) ٠

كذلك تنقسم الوصفات الطبية بالبردية الى عدة موضوعات ومنسقة على منوال ونظام موحد مما يدل على أن كاتب هذه البردية كان متخصصا فى علاج أمراض الشرج ٠

وقد ترجم هــذه البردية من الخط الهيراطيقى للغـة المصرية القديمة العالم يونكير فى عام ١٩٤٧ م ٠

ويماثل المستوى العلمى لتلك البردية ذلك المستوى الموجود فى برديات ايبرس وكاهون الطبية وكذلك تماثل بردية برلين فى الأهمية العلمية والطبية ولكنها تخلو من اية معلومات طبية جديدة لأن محتوياتها سبق ورودها فى برديات هيرست وادوين سميث وايبرس ٠

(*) Le Papyrus Medical Chester Beatty ; by Dr. F. Jonckheere, Bruxelles, 1947.

وهناك عدة برديات طبية أخرى اشتراها تشيستر بيتى من مصر وأهداها للمتحف البريطانى وسجلت تحت أرقام (١٠٦٩٠ ، ١٠٦٩٥ ، ١٠٦٩٨) الأولى منها مخصصة كلية لذكر الوصفات الطبية لعلاج الضعف الجنسى فى حين أن الأخريات بها وصفات طبية عامة وبعضها عن السحر ٠

٧ ـ بردية كاهون الطبية : Kohun Medical Papyrus

اكتشفت هذه البردية عام ١٨٨٩ وتعتبر من الوجهة التاريخية أقدم البرديات الطبية حيث يظن أنهــا كتبت حوالى عــام ١٩٠٠ ق٠م٠ (*) وتختص هــذه البردية بعــلاج أمراض النســاء ويبدأ وصف كل مرض بذكر الأعراض الرئيسية فى حين تذكر آخر صفحة منها طرق معرفة الحمل من عدمه وكذلك جنس الجنين ٠ ويصل طول البردية الى متر واحد وعرضها ٥ر٢٢ سم ومكونة من ثلاثة أعمدة ، وتشبه بدرجة كبيرة فحوى ومحتويات بقية البرديات الطبية (مما يؤكد أن كل البرديات الطبية منقولة عن أصل قديم جـدا معروف لكل ناسخى البرديات منذ آماد طويلة) ٠ وهذه البردية لا تحتوى على أية معلومات جراحية ولكنها زاخرة بالعقاقير والأدوية ٠ وهذه البردية محفوظة الآن فى المتحف البريطانى وتتكون من ١٥٤ سطرا و ٣٤ وصفة طبية ، وقد ترجمها من الخط الهيراطيقى العالم جريفيث عام ١٨٩٨ م ٠ (اكتشفت هذه البردية فى منطقة اللاهون بالفيوم وحرف الاسم الى كاهون وذلك بواسطة العالم الأثرى بترى وهو مكتشف بردية كاهون للطب البيطرى أيضا) ٠

وهذه البردية تؤكد كل التأكيد وتثبت اثبــاتا قاطعا بأنهــا الأصل الذى نسخت منه برديتا ايبرس وادوين سميث وذلك راجع

(*) The Petrie Papyri, Hieratic Papyri from Kahun & Gurob, London, 1898.

الى التماثل الواضـح فى محتويات هـذه البرديات من الوصفات الطبية ·

برديه كاهون البيطرية : Kahun Veterinary Papyrus

اكتشف العـالم الاثرى بترى بردية أخرى خاصـة بالطب البيطرى وسميت بردية كاهون البيطرية وترجع الى نفس الفترة التى كتبت فيها البردية الطبية الأخرى (حوالى عام ١٩٠٠ ق·م·) وترجمها من الخط الهيراطيقى كذلك العالم جريفيث عام ١٨٩٨ م ·

والبردية تحوى وصفات لعلاج أنواع الأسماك المختلفة والطيور والحيوانات ومحفوظة الآن بالمتحف البريطانى ·

٨ ـ برديات الرامسيوم : Ramesseum Medical Papyri

هذه البرديات عبارة عن خمس برديات طبية صغيرة تحوى كل واحدة ٢٠ سطرا وبهـا وصفات طبية لعـلاج مختلف أمراض العيون والحروق والتهـابات الجهاز البولى ولطرد الديدان المعوية وغيرها ويرجع تاريخها الى الأسرة التاسعة عشرة ·

٩ ـ بردية كارلسبرج الطبية : (رقم ٨) :
Carlsberg Medical Papyrus

تتكون هذه البردية من قطع صغيرة بالية ومحفوظة الآن فى جامعـة كوبنهاجن بالدانمـارك ويرجع تاريخهـا الى الفترة ما بين الأسرتين ١٩ ، ٢٠ فى الدولة الحديثة ·

ويوجد على وجه البردية عدة أعمدة تحوى سـطورها بعض الوصفات الطبية لعلاج أمراض العيون فى حين يحوى ظهرها وصفات لعلاج أمراض النساء وأعراض الولادة منظمة ومرتبة وكيفية معرفة جنس الجنين ······ وغيرها · وتماثل هذه البردية بردية برلين

(رقم ٣٠٣٨) وكذلك بردية كاهون ، ولقد ترجم هذه البردية العالم ايريك انفرسون عام ١٩٣٩ ثم بواسطة العالم جرابو .

وتحوى هذه البردية عدة نظريات نقلها حرفيــا أبقراط فى مؤلفاته الطبية والتى تسربت الى التراث الشعبى الطبى فى انجلترا فى القرن الثانى عشر الميلادى وفى ألمانيا فى القرن السابع عشر الميلادى وذلك راجع الى مجهودات العالم الشهير قسطنطين الأفريقى (المولود فى قرطاجنة فى القرن الحادى عشر الميلادى) والذى تعلم فى المدرسة الطبية فى سالرنو بايطاليــا والذى ترجم الكثير من مؤلفات العرب الطبية والمؤلفات الاغريقية الى اللغة اللاتينية وبذلك ساعدت تلك المدرسة على القيام بدور مهم وعظيم فى نشر الطب المصرى القديم فى كافة أرجاء أوروبا والذى يثبت أن هذا الطب المصرى القديم قد اقتبسه الاغريق والذى انتشر مع غزو الرومان لكل أوروبا .

ومما هو جدير بالذكر أن بردية كارلسبرج الطبيــة نسخت حرفيا من الفصل الخاص بأمراض العيون فى بردية ايبرس .

١٠ ـ بردية جاردنر الطبية : Gardener Medical Papyrus

هذه البردية نسخت حوالى عــام ٢٠٠٠ ق٠م٠ وتتكون من ٢٩ سطرا وتحتوى على وصفات طبية لعلاج أمراض النساء والولادة .

١١ ـ بردية ليــدن : Lieden Medical Papyrus

هذه البردية محفوظة فى متحف ليدن بهولندا ويرجع تاريخها الى نفس الفترة التى نسخت فيها بردية برلين (رقم ٣٠٣٨) أى حوالى عام ١٣٥٠ ق٠م ، ولكنها ليست بتلك الدرجة الكبيرة من الأهمية وذلك لقلة عدد الوصفات الطبية وكثرة التعازيم السحرية بها ، وتحتوى على ١٠ أعمدة .

١٢ ـ بردية اللوفر الطبية : Louvre Medical Papyrus

هذه البردية محفوظة فى متحف اللوفر بفرنسا وهى قصيرة الطول اذ تحتوى فقط على ٣ أعمدة ·

١٣ ـ بردية تورينو : Turin Midical Papyrus

هذه البردية صغيرة الحجم وبها العديد من التعازيم السحرية ومحفوظة في متحف تورينو بايطاليا ·

١٤ ـ بردية لندن الديموطيقية الطبية :
London Demotic Medical Papyrus

هذه البردية مكتوبة بالخط الديموطيقى للغة المصرية القديمة ويرجع تاريخها الى القرن الثالث الميلادى وتحتوى على كمية لا بأس بها من المعلومات الطبية القديمة ومحفوظة الآن فى المتحف البريطانى ·

من دراسة البرديات الطبية السابقة يمكن لنا التوصـــل الى نتائج مهمة منها : ـ

١ ـ تعتبر هذه البرديات الطبية مراجع ومستندات رئيسية ومهمة جدا وكذلك شبه رسمية ومنسوخة من مراجع قديمة واحدة بها أو بدون اضافات أو تعديلات · وكانت تستخدم كمراجع تعليمية والتى أرست قواعد ثقافيـة قـوية لعلمى الصيدلة والطب وفروعه المختلفة بما فى ذلك الجراحة وكانت تعتبر بمثابة دساتير علمية وعلاجية لتلك الأيام البعيدة ·

٢ ـ بعض البرديات خاصة كلية للطب مثل بردية ايبرس والبعض بالجراحـة مثل بردية ادوين سميث والبعض الآخر خـاص بالتعازيم والأدعية السحرية مثل بردية برلين ·

٣ ـ بعض هذه البرديات منسقة ومنظمة علميـــا وفقا للترتيب الآتى : ـ

(أ) نوع المرض ٠

(ب) طريقة الفحص ٠

(جـ) التشخيص ٠

(د) وصف العلاج اللازم ٠

(هـ) طريقة تحضير الوصفة ٠

(و) طريقة استعمال العلاج ٠

وتكفى نظرة بسيطة الى واحدة من الحالات المذكورة فى بردية ادوين سميث الجراحية لكى تريتا دقة المصريين القدماء فى تسجيل معرفتهم العلمية ٠

٤ ـ تحوى البرديات الطبية المكتشفة أنواعا متعددة من الأدوية العلاجية مكونة من أصول نباتية وحيوانية وكيميائية (أكثر من النصف من الأصول النباتية) ٠

٥ ـ كثير من النباتات المستخدمة فى تركيب مختلف الوصـفات العلاجية فى هذه البرديات غير معروفة أسماؤها الحقيقية وحتى الآن لأن معظمها مكتوب بأسـماء مستعارة وصـفية وليست الأصـلية امعانا فى السرية المطلقة وهذه النبـاتات لم تعد متواجدة فى التربة المصرية الآن لاندثارهـا على مدى تاريخ مصر الطويل فى حين أن بعضها قد جلب من البلدان المجاورة واعطيت لها أسماء غير أصلية ٠

٦ ـ تعتبر هذه البرديات الطبية تراثا خالدا وعظيما لمصر وللعالم المتحضر والتى تظهر بجلاء شديد عظمة ومجد المصريين القدماء فى ثقافتهم وعلومهم الطبية الرائدة منذ عصـور بالغة القدم وترينا المثلة ممتـازة عن التخصص المهنى فى مختلف فروع

الطب والصيدلة وكذلك فن الكتابة الطبية وعن التقدم البارع في مهنة وفن الجراحة الذى وصلوا اليه ٠

٧ ـ المعلومات الواردة فى تلك البرديات الطبية المتعددة تبين لنا انها نسخت مرارا وتكرارا بواسطة علماء البلدان المجاورة وبخاصة أشور وبابل فى الشرق وحتى فارس وجميع دول البحر المتوسط بما فيها الاغريق القدماء والتى انتقلت الى كل دول أوروبا منذ ذلك الحين وذلك ظاهر فى التماثل العجيب لكل تلك الدول فى التراث الطبى الشعبى وخاصة فى تركيب الوصفات الطبية للطب المصرى القديم ، وهذا يبين لنا فضل الحضارة المصرية القديمة على كافة هذه الدول ٠

ويجدر بنا الاشارة هنا الى أن القسم الأكبر من الطب الاغريقى منقول حرفيا من حضارة مصر القديمة ويظهر ذلك واضحا فى علم الأدوية والعقاقير العلاجية حيث وجدت أعداد كبيرة من الأدوية والوصفات الطبية مذكورة حرفيا فى كتاب الحشائش لديوسقوريدس الاغريقى والتى تعالج نفس الأمراض كما ذكرت فى البرديات المصرية وهذا يؤيد الرأى القائل بأن الاغريق القدماء قد استعاروا ونقلوا الى علومهم كل الثقافة العلمية وبخاصة الطبية والتى ابتدعها المصريون القدماء ٠ ومثال ذلك فى فحوى بردية ايبرس الطبية فى قسم أمراض الأنف والنظريات المرضية والتى ظهرت فى مؤلفات ابقراط وجالينوس وارسطو وكذلك بالنسبة لبردية كاهون الطبية والخاصة بأمراض النساء والتى وجدت فى مؤلفات ابقراط وخاصة كتاب « الأمراض المميتة » ٠ وكذلك نجد فى مقدمة بردية ادوين سميث الجراحية وصفا لمختلف اصابات الجمجمة بترتيب منظم متسق حيث تم وصف الجروح الخارجية أولا ثم وصف الجروح

الداخلية وهو ما ورد فى كتاب أبقراط بالتمام واسمه « اصابات الرأس » (*) ·

وكذلك نجد فى بردية ايبرس أن الوصفات الطبية والمسجلة تحت الأرقام من ٣٦ حتى ٤٣ والخاصة بأمراض « فم المعدة » والتى قد تحدث أمراضا تصيب مختلف أعضاء الجسم نجد انها وردت فى كتاب ألفه العالم الاغريقى الكساندر تراليانوس Alexander Trallianos حيث ذكر انه عندما يصـــاب فم المعدة بأمراض وعلل نجد أنها تكون مصدرا لأمراض عديدة مثل الصرع والتقلصات ······ وغيرها ·

كذلك نجـد فى بردية ايبرس الجـزء الخـاص بالجراحـة (وصفات ١٠٦ ـ ١١٠) والتى تختص بعلاج مختلف أنواع التورمات ونجد لها نظيرا فى كتاب جالينوس « الأورام غير الطبيعية » والتى بدون شك تعتبر منسوخة من البردية حرفيا ·

أيضـــا نجد أن النظريات السلمية القديمة عند الاغريق عن اختلاف الأمزجة واحداثها للأمراض المختلفة عند اضطرابهـا مثل نظرية البلغم تبرهن على أنها منقولة من مصر القديمة وذلك واضح من التماثل الشديد بين محتويات بردية ايبرس وكتـاب أبقراط الخاص بأمراض الغدد ·

وبذلك ثبت أن الطب الاغريقى ما هو الا اقتباس حرفى للطب المصرى القديم والذى يعتبر بذلك امتدادا له يؤيده الدليل القوى الواضح عن التقدير البالغ الذى ناله الطب المصرى الذى استطاع أن يحافظ على قواعـده المتينـة طوال آلاف السنين ، وان تنتقل

(*) Hippocrate, L'Ancienne medecine, Introduction, traduction et commentaire, Paris, 1948.

النظريات والمبادىء والتطبيقات العلمية له حرفيا بحيث ظهرت فى مؤلفات العلماء الاغريق أمثال ديوسقوريدس وأبقراط وجالينوس والتى عن طريقهم انتقلت الى الأجيال التى ظهرت بعدهم وانتشرت فى كل العالم ٠

ولهذا فان مصر القديمة وليست اليونان القديمة هى الأصل والمنشأ الأول للفن الحضارى الطبى ويجب ألا نعتبر الطبيب الاغريقى اسكليبيوس هو الأب الروحى العبقرى للطب بل الطبيب المصرى القديم أمحوتب الذى يستحق هذا التقدير والتكريم بدلا منه ٠

كذلك يظهر بجلاء أن الحضـــارة المصرية القديمة الخالدة تبين لنا نوعا متطورا ومتميزا من التخصص فى المهن الطبية والصيدلية وكذلك فى طريقة الكتابة العلمية الطبية مع التقدم المذهل فى فن الجراحة ٠ وبفضـــل هذه البرديات الطبية المصرية القديمة والتى حفظت للأجيال الحاضرة تراثا علميـــا أصيلا تمكنت البلدان المجاورة لمصر عبر آلاف السنين من نسخها ونقلها مرات عديدة حتى تغلغلت فى الطب الشعبى لديهم وأصبحت جزءا لا يتجزأ من تاريخها العلاجى مما يدلنا على مدى تأثير الحضارة الطبية المصرية القديمة على العالم أجمع ٠

وقد استخدم المصريون القدماء مختلف أنـــواع العقـــاقير فى تحضير الأدوية العلاجية المخصصة للأمراض المتنوعة وكذلك لطرد الأرواح الشريرة التى سكنت جسد المرضى حتى يتم شـــفاؤهم ٠ وأحيانا كان الصيدلى أو الطبيب يحلم فى نومه بالوصفة التى تلائم وتشفى تماما المريض من المرض الذى أصابه ثم فى اليوم التالى يقوم بتحضيرها واعطائها للمريض وتكون سببا فى شفائه ٠

ولقد ذكرت بردية هيرست عن كيفية وصف الآلهة للعقاقير الخاصة بشفاء الأمراض المختلفة التى تصيب الانسان ٠

ومن العسير الشك فى مدى فاعلية بعض هذه العقاقير الخاصة ببعض الأدوية العلاجية والتى تدل على التدرج فى تطور المعرفة الطبية والصيدلية وكذلك الفائدة العظمى للأبحاث والتعديلات الخاصة بهما .

ولقد استخدم المصريون القدماء العديد من الأدوية ذات المنشأ النباتى أو الحيوانى أو المعدنى والتى ورد ذكرها وأصبحت من أساسيات الدساتير الطبية الأوروبية المستخدمة فى العلاج حتى القرن الثامن عشر الميلادى والتى لا تزال تستخدم فى الطب الشعبى فى مصر حتى الآن .

ومن المهم أن نذكر أن السحر وطقوسه وطريقة العلاج بها لم تكن من الأساسيات المهمة فى العلاج الطبى أيام المصريين القدماء بل على العكس فقد علموا بدقة فائدتهـا النفسية والسيكولوجية التأثيرية بنفس المبادىء المتعارف عليها حاليا والمتبعة فى علاج الأمراض العصبية ذات المنشأ الخاص بالاضطرابات فى العواطف النفسية وبذلك تبرهن على أن علاج المرضى كان مؤسسا على طريقة تشخيص الأمراض ثم وصف العلاج الأمثل لها بالرغم من قوة السحرة الطاغية فى ذلك الوقت والذين كانت لهم شعبية قوية وكبيرة والذين كانوا ينافسون الأطباء فى عملهم وكذلك الصيادلة فى تركيباتهم العلاجية .

ولقد استخدم المصريون القدماء مختلف أنواع الأدوية لاستعمالها ظاهريا على الجلد وداخليا عن طريق الشرب وذلك بنفس الطريقة التى تستخدم فى الوقت الحاضر وكانت لديهم أدوية متعددة لعلاج المرض الواحد (كما هو ثابت فى نصوص بردية ايبرس الطبية) ، أو عدة وصفات علاجية لعدة أمراض (كما هو وارد فى نصوص بردية ليدن الطبية) ، وكان لديهم اعتقاد قوى فى أن تلك الوصفة التى تحتوى على مكونات عقاقيرية متعددة سوف تزيد

من قوة فاعلية الدواء • وهذه النظرية نقلها حرفيا الاغريق القدماء وظهرت جلية فى مؤلفات الملك ميثريداتس (الذى حكم حوالى عام ٣٠٠ ق•م) مملكة بونتوس (شرق آسيا الصغرى) والذى كان شديد الاهتمام بطريقة تحضير مثل هذه المركبات المتعددة المكونات والتى سميت بالترياقات المضادة لكل أنواع السموم • ونفس هذه الفكرة نقلها العرب بعد الاسلام فى علومهم التى ترجموها من الكتب الاغريقية أمثال مؤلفات أرسطو وأبقراط وجالينوس وديوسقوريدس وروفوس والتى اشتهروا بها وفاقوا الاغريق فى تنوع امثال تلك الترياقات •

وقد حفظ التاريخ لنا للأجيال القادمة أسماء بعض الأطباء العلماء المصريين وذلك خلال مختلف عصور التاريخ ومنهم :

١ ــ نترحوتب (حوالى عام ٣٢٠٠ ق•م)
٢ ــ حسى ــ رع (حوالى عام ٣٠٠٠ ق•م)
٣ ــ أمحوتب (حوالى عام ٢٨٠٠ ق•م)
٤ ــ امنحوتب بن حابو (حوالى عام ١٥٥٠ ق•م)

وعشرات من الأطباء المتخصصين كذلك فى العلوم الصيدلية •

ولقد كان أمحوتب واحدا من أشهر الأطباء طوال عصور مصر القديمة والذى عاش ابان حكم الدولة القديمة فى الأسرة الثالثة وكان الوزير الأول ومستشار الملك زوسر فى تدبير شئون الحكم وكان فى نفس الوقت صيدليا ومهندسا وفيلسوفا وفلكيا وساحرا • ولقد لعب دورا مهما وبارزا فى الحياة المصرية القديمة وذلك نظرا للمكانة العالية التى حصل عليها ككبير كهنة مصر • وبعد وفاته عمد اتباعه ومساعدوه الى تاليهه كاله للطب ، بوصفه شافيا جميع الأمراض ومخففا لآلام البشر المعذبين (*) •

(*) A History of Egypt ; by J. H. Breasted, p. 88-100, (1946).

وكان علم العقاقير الطبية دائما فى العصور قبل عهد الأسرات، فى أيدى السحرة ويظهر ذلك فى حوالى نصف البرديات الطبية المكتشفة حيث نجد أنها تحوى مقدمة بها تعازيم وأدعية سحرية وابتهالات للاله الشافى وذلك لمنح المريض الشفاء التام والصحة القوية السليمة .

وفى العصور المصرية القديمة كانت كافة العلوم والتقاليد الطبية والصيدلية مركزة فى مدينة آنو (اسمها أون عند العبرانيين وهليوبوليس عند الاغريق وتقع حاليا فى منطقة المطرية من ضواحى القاهرة) وفى داخل معبدها الهائل الذى كان يحوى أكبر واهم وأقدم جامعة تعليمية فى مصر والشرق والعالم كله والتى يعتقد أنها بنيت قبل عام ٥٠٠٠ ق.م بقرون طويلة . وفى بداية الأسرة الأولى (حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م) قام ملوك هذه الأسرة ببناء عاصمة موحدة للقطرين فى مصر فى مدينة منف (حاليا البدرشين وسقارة) على الضفة الغربية لنهر النيل وبنوا فيها معبدا كبيرا لمنافسة معبد مدينة آنو وشيدوا فيها جامعتها الضخمة . وكلا المعبدين كانا مخصصين لعبادة الاله رع الاله الواحد الذى خلق كل شيء .

وفى مدينة منف (ممفيس عند الاغريق) كان الطبيب أمحوتب يزاول مهنته فى جامعة ـ معبد المدينة وفى علاج المرضى فى المستشفى الكبير الملحق بمدرسة الطب هناك ، وعند وفاة أمحوتب دفن داخل المعبد وبعد ألفين من السنين أله أمحوتب ورفع الى مرتبة الآلهة المعالجين للمرضى . ولقد زاول مساعدو أمحوتب بعد وفاته نفس مهنته وبدءوا ـ بعد تسمية المعبد الى معبد أمحوتب ـ فى انشاء معابد مماثلة فى معظم عواصم الأقاليم المصرية الكبيرة حيث كان يمارس المهنة فيها أطباء متخصصون وصيادلة مهرة فى مستشفياتها والبعض كان يدرس العلوم الطبية والصيدلية فى المدارس الخاصة بذلك .

وكان الناس يحجون الى قبر امحوتب بعد وفاته ملتمسين بركة الشفاء من أمراضهم المستعصية ولا تزال هذه العادة المصرية القديمة تمارس في مختلف بلدان مصر الحديثة من ناحية التماس العامة بركة الشفاء من زيارتهم لقبور الأولياء الصالحين سواء المسلمين منهم أو الأقباط ٠ كذلك انتشرت هذه العادة المقتبسة من مصر فى بلاد الاغريق وكل أوروبا وأهمها عادة انشاء مدارس طبية خاصة عند الاغريق القدماء الذين نقلوا فكرة مدرسة الطب عند امحوتب وطبقوها على طبيبهم الاسطورى اسكليبيوس Asclepios الذى عاش حوالى عام ١١٠٠ ق ٠ وقد عاصر عهد حرب طروادة وبعد وفاته أنشأ مساعدوه العديد من المدارس الطبية الحاملة اسمه فى المدن الاغريقية الكبيرة بعد أن رفع الى مرتبة الاله اسكليبيوس الشافى للأمراض وقد دأب المرضى فى بلاد الاغريق على زيارة قبره داخل معبده للحصول على بركة الشفاء من أمراضهم المستعصية ٠

وفى عهد الأسرة البطلمية فى مصر أطلقوا على امحوتب اسم اموثيس وعرفت معابده بنفس اسم اسكليبيوس المعروف به فى اليونان ٠

وكانت بردية ايبرس الطبية واحدة من الكتب المقدسة الستة فى الطب والتى كانوا يعزون تاليفها للاله تحوت والتى كانت على الأرجح من تاليف الطبيب امحوتب ٠

ومن الجدير بالذكر أنه خلال عصور ما قبل الأسرات فى مصر القديمة كان الطب والروحانيات والسحر متلازمين ومتشابكين بدرجة كبيرة للغاية وكانوا يعتقدون فى امكانية شفاء الأمراض بواسطة هذه القوى الخفية وكذلك كانت تلهم الأطباء والصيادلة فى أثناء ممارستهم لمهنتهم بالعديد من الوصفات والتشخيص السليم للأمراض ٠ وكانت هذه القوى الخفية مرهوبة الجانب من جميع المصريين القدماء بلا استثناء وكانوا يعتقدون بأن كل دواء يحتوى على جزء من روح

الاله الشافى وان الآلهة كانت أول من ابتدع طرق العلاج واستخدام العقاقير وهذا يشكل اعتقادا قويا عند بعض المؤرخين بأن هذه الآلهة الشافية كانت يوما ما أشخاصا أثناء حياتهم على الأرض ووهبوا ملكة الشفاء من الأمراض مما حدا بأتباعهم أن يرفعوهم الى مرتبة الآلهة عند موتهم حفاظا على مكاسبهم من الزوال بعد موت هؤلاء الأطباء الموهوبين .

وكان هؤلاء الأطباء والصيادلة المحترفون بالغى المهارة فى احاطة أنفسهم بكل مظاهر التقديس والغموض والخوف ابتغاء للوصول الى أعلى مراتب التقديس والاحترام البالغين من عامة الشعب وبهذا تحقق للمعرفة الطبية الفرعونية تلك المكانة العالية فى نفوس المصريين قاطبة والتى لم تتأثر عبر آلاف السنين وحتى اليوم .

آلهة الشفاء

كان المصريون القدماء بالغى الاعتقاد فى الآلهة السماوية بأنها قادرة على مساعدتهم فى جميع المسائل التى يطلبون تدخل الآلهة عن طريق الابتهال والدعاء لهم وخاصة فى حالات طرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى . وكانت هذه المعرفة الروحية والعلوم المتعلقة بها لا تقدر بثمن وبمثابة هدية وعطاء خالد وبذلوا الجهد البالغ فى الحفاظ عليها طوال العصور التاريخية المختلفة من الزوال والنسيان وظل الناس على اعتقادهم بأن الآلهة من أصل سماوى ولها القدرة على منح الشفاء للمرضى (*) .

(*) Healing Gods of Ancient Civilisations : by Walter Addison Jyne.

وكان السحرة يعتقدون بأن الجسم البشرى مكون من ٣٦ عضوا وكل منها يحكمه اله سماوى خاص يتجه اليه فقط بالدعاء والابتهال أى معالج للأمراض خلال ادعيته السحرية طالبا مساعدته فى شفاء المرض ٠

كذلك ارتبط العديد من الآلهة السماوية بمختلف المهن الطبية خلال كل العصور الفرعونية ومن أهم الآلهة :

١ ـ **أوزيريس** : كان هذا الاله مشهورا جدا منذ قديم الزمان حتى قبل بداية الأسرات بوقت طويل بأنه متمكن وبالغ المعرفة وحاذق بخبرته الطويلة فى خواص النباتات وزراعتها ٠

٢ ـ **ايزيس** : كانت هذه الالهة تعتبر الأخت التوأم والزوجة للاله أوزيريس والتى اعتبرت الخبيرة الكبيرة فى النباتات الطبية والتى أطلق عليها لقب « مانحة الشفاء » ٠ واعتاد المصريون عبادة الالهين أوزيريس وايزيس منذ عصور ما قبل الأسرات باعتبارهما اول آلهة اخترعت الطب والعقاقير فى كل العالم ٠ وظل هذا الاعتقاد قائما وسارى المفعول حتى أيام جالينوس وبعده بكثير عندما صرح بأن بعض ادويته العلاجية كانت من اكتشاف الآلهة وهذا يبرهن على انه اقتبس الكثير من النظريات الطبية لقدماء المصريين وهذا ليس بالمستغرب بتاتا حيث انه قد تعلم الطب فى جامعات مصر ٠

ومن الجدير بالذكر أن ايزيس كانت تلقب كذلك بانها حامية صحة النساء (كما هو مذكور فى برديتى تورينو وايبرس) وأن الصلوات والدعاء لها كان دائما يتردد فى صدور أولئك المختصين اثناء تحضيرهم للوصفات الطبية المختلفة وهذا العمل يعتبر أول ذكر فى العالم للعناية بالأم والأطفال ٠

٣ ـ رع : كان يلقب باله الشمس وأحيانا بلقب اله الأعشاب ٠

٤ ـ **تحوت** : كان يشـــار اليه بأنه أول من اخترع علمى الصيدلة والطب وكذلك المؤلف الرئيسى لحوالى ٤٢ كتابا فى مختلف الفروع العلمية منها ستة كتب تختص بالطب والصيدلة ٠ وكذلك كان يعتقد أنه اخترع كذلك علم الكيمياء والزراعة والكتابة ٠

٥ ـ **انوبيس** : كان مشهورا بأنه اله الموتى والتحنيط وكان يعبد فى كل أنحاء مصر وخاصة فى مدينة ليكوبوليس (حاليا أسيوط فى مصر العليا) ٠ وكان يعرف بأنه صيدلى الآلهة والحافظ لبيت الطبيب ولغرفة التحنيط ٠ وكان من المعتقد أنه سلم شخصيا كتابا عن الأدوية الى الملك سيمتى خامس ملوك الأسرة الأولى ٠

٦ ـ **ختوم** : كان هذا الاله يعبد بصفته مانحا للخصوبة وعرف فى العصور المتأخرة بأنه حامى الحوامل واللاتى ترغبن فى الحمل ٠

٧ ـ **سخمت** : كانت هذه الالهة تعبد فى ممفيس باعتبارها الهة الجراحة ولهذا كان الجراحون يعرفون باسم كهنة سخمت ٠

٨ ـ **خونسو** : كان معروفا بأنه اله الشفاء بواسطة الأعشاب ٠

٩ ـ **امحوتب** : يعتبر الاله الوحيد الذى استطاع الحفاظ على سمعته أو مكانته المتميزة طوال جميع العصور الفرعونية وكان يعبد بصفته اله العلاج وذلك راجع الى مهارته الفائقة فى الطب وظل مقدسا الى نهاية الأسرة البطلمية ٠

القسم الثانى :

المركبات العطرية فى مصر القديمة

اشتهر المصريون القدماء بحبهم الشـديد للمركبات العطرية ووجد الكثير منها فى أوان خاصة فى الكثير من المقابر الفرعونية ولكن للأسف لم يسـتدل على مكونات هذه الدهانات وعلى طريقة تحضيرها حيث لم يرد ذكر أى منها فى البرديات الطبية (*) .

ومن المركبات العطرية والتى أمكن معرفتها (**) :

الدهانات العطرية ـ الزيوت الطيارة والعطور ـ البخور .

(*) History of Pharmacy ; by E. Kremers & G. Urdang. London.

(**) Ancient Egyptian Materials and Industries ; by A. Lucas.

ا ــ الدهانات العطرية

١ ــ دهان ساجلاس العطرى :

كان أسود اللون ويصنع فى الدلتا ومعروفا فى كافة البلدان المجاورة لمصر ولقد امتدحه الاغريق مثل بلينى واثينايوس وذكرا بعض خواصه وأهميته ·

٢ ــ الدهان الشفاف العطرى :

كان لا لــون له ويصــنع فى مدينة طيبــة بالصعيد وذكره ثيوفراستوس فى أحد كتبه ·

٣ ــ دهان الابسترون العطرى :

سمى بذلك الاسم نســبة الى الاوانى التى كان يحفظ فيها والمصنوعة من المرمر (الابستر) بالرغم من أن الأوانى كانت أحيانا تصنع من الزجاج أو العاج أو العظام أو الاصداف البحرية أو من الأحجار الكريمة · وقد عثر على الكثير من هذه الأوانى وبها بقايا من هذا الدهان العطرى وكان مخصصا لتقديمه قرابين للآلهة فى المعابد وكان كل اناء يحمل اسم الاله الذى سيقدم اليه القربان ·

٤ ــ دهان تلينون العطرى :

ذكر هذا الدهان ديوسقوريدس وأثينايوس وكان مكونا من الحلبــة ·

٥ ــ دهان ابرا العطرى :

كان هذا الدهان محبوبا جدا لدى النساء فى كافة العصــور الفرعونية ولكن لم يرد ذكر مكوناته ·

٦ ـ دهان سانيان العطرى :

هذا الدهان كان يستعمل بكثرة فى ماء الحمامات لتعطير كافة اجزاء الجسم ٠

٧ ـ دهان منديسيوم العطرى :

كان من الدهانات المشهورة جدا وأخذ اسمه من اسم مدينة منديسيا المصرية حيث كان يصنع هناك بكميات هائلة ٠ ولونه داكن وكان مكونا من زيت اللبان والمر والدارصينى والراتنج ٠

٨ ـ دهان ميتوبيوم العطرى :

كان مكونا من زيت اللوز المر والعسل والنبيذ والراتنج والمر وعرق ايكر ٠٠٠ وغيرهم ٠

٩ ـ الدهان الابيض العطرى :

كان لونه أبيض وهو عطرى للغاية وذو رائحة نفاذة قوية ومكونه الأساسى الدارصينى ، وكان يستخدم كدهان للأيدى والأقدام وأحيانا كان يخلط بالمشروبات الخفيفة والتى اعتاد المصريون القدماء شربها أثناء الجو الحار صيفا قبل الأكل ٠

١٠ ـ دهان القمع الجنائزى العطرى :

هذا الدهان كان يوضع داخل قمع مخروطى الشكل مربوطا على قمة رأس كل شـــخص يحضر أثناء اقامة الشعائر الجنائزية للموتى ، وبتأثير حرارة الجو وسخونة رأس الشــخص يبدأ هذا الدهــان فى الذوبان ببــطء ويسيل على هيئة قطرات على العنق والكتفين مكسبا لها رائحة عطرية جميلة ٠ ولقد حافظ المصريون على هذه العادة لدرجة انهم رسموا صورة هذا القمع على جدارنهم بكثرة ٠

١١ ـ دهان كيفى العطرى :

يعـد أشهر عطـر عرفته مصر طوال عصورها القديمة وكان يستخدم أيضا كبخور معطيا رائحة عطرية زكية عند حرقه ، وكان يحضر داخل معامل المعابد بواسطة كهنة متخصصين . وذاع صيت هذا العطر خارج مصر لدرجة أن الاغريق والرومان استوردوا كميات كبيرة منه من مصر وقلدوا المصريين فى استخدامه وورد ذكر هذا العطر فى كتاب ديوسقوريدس على أنه مكون من عشرة مركبات فى حين ذكر بليتى انه مكون من ستة عشر مركبا .

١٢ ـ الدهان المنعم العطرى :

كانت تستخدمه النســاء المصريات بكميات كبيرة لمـا له من فوائد كثيرة فى اكساب جلدهن ملمسا ناعما حريريا ويخفى تجاعيد الوجه عند تدليكه على الوجه .

١٣ ـ دهان الشعر العطرى :

استخدم المصريون القدماء دهانا عطريا تدليكا على الشــعر لاكسابه رائحة عطرية جميلة .

١٤ ـ دهان التماثيل العطرى :

كان يستخدم كدهان على التماثيل المقدسة .

١٥ ـ دهان للومياوات العطرى :

كان يستخدم كدهان على جسد الموتى بعد تحنيطهم .

١٦ ـ دهان عطرى آخر :

ذكره ثيوفراستوس الاغريقى وأورد اثنين من المركبات المحتويه عليه وهما الدارصينى والمر .

١٧ ـ دهان عطرى آخر :

ذكره ثيوفراستوس أيضا على أنه دهان ممتاز وخاص ، اذ كانت رائحته تتعتق أكثر كلما حفظ لمدة أطول • وعند فحص هذا الدهان حديثا وجد أنه يتكون من قاعدة أساسية مكونة من الدهن وشحم الخنزير ولونه برتقالى وغليظ القوام مما رجح أنه يحتوى على مادة راتنجية وزيت غير طيار • كذلك أظهر التحليل الكيميائى والمصلى أنه يتكون من مادة دهنية ثابتة مخلوطة مع زيت طيار عطرى •

١٨ ـ دهان النوبة العطرى :

اعتاد سكان بلاد النوبة والسودان فى العصور الفرعونية على دهان أجسادهم بنوع خاص من الدهون العطرية يحتوى على زيت الخروع كقاعدة أساسية بالاضافة الى بعض المواد والزيوت العطرية الطيارة وذلك لكى تكسب جلدهم نعومة وطراوة وخصوصا فى تلك الأجواء الحارة • ولقد نقل الاغريق والرومان هذه الطريقة وطبقوها فى بلادهم بالرغم من ارتدائهم الملابس بالنسبة لبرودة الجو عندهم • ومن الطريف أن سكان النوبة والسودان الحاليين لا يزالون يستعملون هـذا الدهان بنفس المكونات وخاصـة عند الطبقات الفقيرة الذين استبدلوا الزيت بمادة شحمية حيوانية واضافوا اليها زيتا عطريا لاخفاء رائحة التزنخ التى قد تظهر بعد فترة •

وكان القدماء يحفظون هـذا الدهان فى أوان من المرمر أو الزجاج أو الصينى أو بعض الأحجار الصلدة مثل الجرانيت أو البازلت أو الفخار المحروق أو العظام أو غيرها •

١٩ ـ دهان النبى موسى العطرى :

كان هذا الدهان يستخدمه اتباع النبى موسى فقط اثناء اقامتهم فى مصر كدلالـــة على طهارتهم وكان يحتـــوى على المر والدارصينى وعرق ايكر وقرفة وقنه ولبان ذكر وزيت زيتون .

٢٠ ـ زيت الميرون المقدس :

وهو نوع من الدهانات الزيتية المقدسة عند الأقباط ويدهن به على جسد الأطفال المسيحيين بعد الانتهاء من مراسم تعميدهم . وترجع هذه العادة الى زمن المسيح الذى عندما صلب وقبل دفنه جرى دهان جسده ببعض الزيوت العطرية ، ثم أخذ بعض أتباع المسيح قليلا من هذا الزيت من على جسده وأذابوه فى الكثير من زيت الزيتون وجرى تقسيم هذه الكمية بينهم وأحضر القديس مرقص عند قدومه الى مصر عام ٦٠ م بعضا من هذا الزيت وأودع فى أول كنيسة بنيت فى الاسكندرية وبذلك بدأت عادة دهان أجساد الأطفال المسيحيين بهذا الزيت المقدس عند تعميدهم ، مخففا بزيت الزيتون ومضـــافا اليه بعض الأعشـــاب العطرية والتى أوصى النبى موسى باستعمالها عند مسح جسد اتباعه المتطهرين حسب ما ورد فى كتاب العهد القديم .

وهذا الزيت المقدس يتكون من خمسة أجزاء وكل جزء يجرى تحضيره على حدة ثم يمزج الجميع فى النهاية :

جزء (١) : زهر الفتنة (القتلول)	٣٠٠	جم
عرق ايكر	٢٠٠	جم
خشب القرفة	٢٥٠	جم
تين الفيــل	٩٠	جم
قصب الذريرة	٤٠	جم
سنبل الطيب	٢٤٠	جم

جزء (٢) قسط زبدة	٤٤٠	جم
صندل مقاصيرى	٢٨٠	جم
قشر ورد عراقى	٤٥٠	جم
قرفــــه	٢٣٠	جم
قرنفل عطرى	٤٠	جم
جزء (٣) خشب قرفه	١٥٠	جم
جوز الطيب	٥٠	جم
كافور الكعك	٣٠٠	جم
قرنفل عطرى	٤٠	جم
سـنبل	١٥٠	جم
داركســـيه	١٠٠	جم
حصـــالبان	١٤٠	جم
جزء (٤) عودة قاقلى	٥٣	جم
دار صينى	٣٦	جم
زعفران شـعر	٥٥	جم
صبر سوقطرى	٢٥٠	جم
مــــر	٢٤٠	جم
لادن لامى	٩٠	جم
ميعة سائلة	٣١٦	جم
جزء (٥) زعفران	٩٠	جم
خشب سليخة	١٠٠	جم
خزامى	٢٠٠	جم
عود قاقلى	١٠٠	جم
دار صينى	١٠٤	جم
قرنفل عطرى	٢٠٠	جم

جوز الطيب	١٩٠	جم
قرفـة	١٣٠	جم
عنبر	٨	جم
حبهـــان	١٤٠	جم
تين الفيـــل	٣٢	جم
مســـك	٦	جم

طريقة التحضير : تخلط مقادير كل جزء على حدة ثم يضاف كل جزء بالتدريج الى الجزء الأول مع التقليب واضافة زيت الزيتون.

٢ ـ الزيوت الطيارة والعطور

كانت طريقة استخلاص الزيوت الطيارة العطرية بالوسائل التقطيرية التى نعرفها حاليا غير معروفة زمن المصريين القدماء وذلك بالنسبة للأجزاء العطرية النباتية مثـل الزهـور والثمار والخشب الداخلى والأوراق والبذور وغيرها ، بل كانت تختلف عن طريقتهم لأن الطريقة الحالية تستلزم وجود كميات كبيرة من الكحول الأثيلى بصورة نقية لاستخدامها فى التقطير والذى لم تعرف طريقة تحضيره نقيا الا فى القرن الرابع ق.م حيث ذكره أرســـطو ومن بعـــده ثيوفراســـتوس فى القرن الثالث ق.م ثم بلينى فى القرن الأول الميلادى الذى وصف طريقة استخلاص الزيوت العطرية بصـــورة بدائية تتلخص فى مزج الكحول بالأعشـــاب المحتوية على الزيوت العطرية ثم يضاف اليها الدهون أو الزيوت الثابتة لامتصاص هذه الزيوت وبهذا أمكن للاغريق مستخدمين هذه الطريقة أن يحصلوا على زيت الهجليج وزيت الزيتون وزيت اللوز (*) .

(*) A Concise History of Chemistry ; by T.P. Hilditch.

أما الرومان فقد استخدموا طريقة نقع الأعشاب المحتوية على الزيوت الطيارة أو بعض الأجزاء منها فى زيت ثابت ثم يجرى تسخين المنقوع حتى درجة الغليان ويكثف الزيت المتصاعد على هيئة ابخرة ٠

فى حين استخدم المصريون القدماء النبيذ أو البيرة (الجعة) وغيرها من المحاليل الكحولية والتى كانت تذيب الزيوت العطرية ٠ ولقد ذكر بلينى ان المصريين اعتادوا اضافة الراتنج أو الصمغ الى الزيوت العطرية كمثبت ومانع لتغير الروائح العطرية ٠

وكان المصريون القدماء ذوى شهرة عالمية كأحسن من يصنع العطور والتى كان يستخدمها جميع طبقات الشعب وكذلك فى الاحتفالات الدينية المختلفة ، ومن هذه العطور الشهيرة :

١ ـ ماء حاتحور العظيمة العطرى (*) :

كان هذا العطر واحدا من أشهر العطور المصرية القديمة وسمى باسم الالهة حاتحور رئيسة كل الالهات فى مصر العليا والسفلى وأحيانا كانت تلقب بسيدة تانتريس وهى مدينة صغيرة بالقرب من قنا بالصعيد ٠

ولقد وجدت طريقة التحضير ومقدار كل مكون من مكونات هذا العطر محفورة على جدران معبد ادفو فى الصعيد ٠ وكانت الموازين والمكاييل فى ذلك العهد البعيد كالتالى :

١ من وتساوى	٥٠٠	جم
١ تن أو أوتن وتساوى	١٠٠	جم
١ كاد وتساوى	١٠	جم

(*) Die Oasen de Libyschen, by J. Dumichen, (1877), p. 3-6.

المكونـــات :

لب الخروب	٣٧٩٧	جم
لبان ذكر جاف	١٠١٠	جم
ميعة سـائلة	٦٠٠	جم
قصـب الذريرة	٢٥	جم
خشـب ورد	١٠	جم
مصطكى	١٠	جم
بذور بنفسـج	١٥	جم

طريقة التحضير :

تحضير محلول رقم (١) :

توضع فى كيس كتانى حوالى ٢٣٠٠ جم من لب ثمار الخروب المقشر ثم يضغط عليه ويعصر . وفى اليوم التالى يؤخذ السـائل المتساقط ويضاف اليه ٢٥ جم ماء ثم يغلى حتى يصبح السائل المتبقى وزنه حوالى ٥٥٠ جم . وفى نفس اليوم يغلى المحلول مـرة أخرى الى أن يصبح وزنه ٥٠٠ جم أو من الأفضل أن يضاف اليه ٥٠٠ جم أخرى من الماء ويغلى الى أن يصل وزنه الى ٥٠٠ جم (محلول رقم « ١ ») . (ولقد عرف المصريون القدماء أن نسبة الماء فى لب الخروب تصل الى ١٣٪ ولهذا تحتم استخدام الغليان للتخلص من هذا الماء ، وكذلك عرفوا أن المكونات الطيارة الموجـــودة فى لب الخروب صعب الحصول عليها فى وقت قصير لهذا أضافوا الماء اليها قبل الغليان لكي تطيل من زمن تعرض الخلاصة للغليان الى أن تذوب كل المواد الفعالة) .

وفى نفس اليوم يضاف الى المحلول المتبقى رقم (١) قصب الذريرة (٢٥ جم) و ١١٠ جم من لبان الذكر ومعهم ١٦٦,٦٦ جم من النبيذ ويترك الجميع الى أن تتكون عجينة ثقيلة (ولقد استخلصت كمية النبيذ هذه لما تحتويه من نسبة من الكحول الذى يذيب الراتنج والماء يذيب الصمغ لأن لبان الذكر يحتوى على ٥٦٪ راتنج و٣٠,٨٪ صمغ • وكذلك يحتوى النبيذ العادى على نسبة كحول تتراوح ما بين ١١ - ١٢٪ فى حين أن النبيذ القوى يحتوى على ما لا يقل عن ٣٣٪ كحول) •

تحضير محاليل رقم (٢) ، (٣) ، (٤) :

يحتوى كل محلول على ٢٠٠ جم لبان ذكر و ٣٥ جم ماء ويوضع محلول رقم (٢) جانبا فى حين يترك محلول رقم (٣) لمدة ٢٠ يوما ومحلول رقم (٤) لمدة ٤٠ يوما •

تحضير محلول رقم (٥) :

يخلط ١٠ جم خشب الورد مع ١٠ جم مصطكى و ١٥ جم بذور بنفسج و ١٦٦,٦٦ جم نبيذ صحراوى جاف وتترك طيلة الليل (حيث يذيب النبيذ القوى كلا من الراتنج والصمغ فى المصطكى لأن كمية الراتنج فيه اكبر عن تلك الموجودة فى لبان الذكر) •

تحضير محلول رقم (٦) :

فى الصباح التالى يوضع محلول رقم (٢) فى هاون ويضاف عليه محلول رقم ٥ ومحلول رقم ١ ويخلط الكل ويحفظ فى اناء محكم ويترك لمدة ٢٠ يوما •• (يجب تصفية كل الفضلات وترشيحها من المحلول رقم ١ قبل ان يخلط مع بقية المحاليل) •

تحضير محلول رقم (٧) :

يؤخذ محلول رقم (٦) (بعد تركه لمدة ٣٠ يوماً) ثم يصفى ويضاف اليه محلول رقم ٣ ويخلط الجميع فى هاون ثم يحفظ فى اناء محكم لمدة ٢٠ يوما ثم بعدها يضاف اليه محلول رقم ٤ ويترك لمدة ٢٠ يوما أخرى • (وبهذا يصل حجم كمية السائل المتكون الى ٥٠٠ جم) •

تحضير محلول رقم (٨) :

يخلط ٦٦٫٥ جم من الميعة السائلة مع بعض الماء ويضافان الى محلول رقم (٧) ويترك الجميع لمدة ٤٠ يوما ثم يصفى بعد ذلك ليصبح المحلول رقم (٨) ثم يضاف اليه ٦٦٫٥ جم من الميعة السائلة مع كمية من الماء ويترك المحلول جانبا لمدة ٤٠ يوما ثم يصفى بعدها ويخلط مع ٦٦٫٥ جم من الميعة السائلة ويترك مرة أخرى لمدة ٤٠ يوما ثم يصفى بعدها والسائل المتبقى يسمى محلول رقم (٩) ، والذى يضاف اليه ٤٠٠ جم لبان ذكر جاف و ٤٠٠ جم من الميعة السائلة و ٢١٦٥ جم من النبيذ القوى ويمزج المحلول جيدا ويترك لمدة ٤٠ يوما يصفى بعدها والمحلول المتبقى هو « ماء حاتحور العظيمة العطرى » •

ولقد عثر على بعض بقايا من عطور كان يستخدمها قدماء المصريين وذلك فى أوان صغيرة داخل احدى الغرف بأحد المعابد الصغيرة فى الصعيد فى القرن الماضى ولم يعثر على شىء يدل على تركيبها وعلى مكوناتها ولذلك اخذها عالم المصريات الفرنسى « ماسبيرو » وأعطاها الى البروفسير الدكتور روتر فى جامعة جنيف حيث أعطيت أرقاما نظرا لضآلة حجمها :

٣ ـ عطر رقم (٤٣٥٢١) :

عبارة عن مادة داكنة اللون تميل الى السواد تزن ١٫٣٩٦ جم عديمة الرائحة تقريبا وبها شروخ يظهر من خلالها لون قاتم داخليا ،

وعند سحقها كان لون المسحوق أصفر ذا رائحة نفاذة عطرية مميزة ، وعند تقطير هذه المادة وتجربة تذويبها فى الماء والمذيبات العضوية وجد أنها تتكون من :

ميعـــه ، مر ، لبان ذكر ، قطران ، قلفونية ، نبيذ بلح ، لب التمر الهندى أو لب الخروب ، خلاصة أوراق وأزهار الحناء ، مصطكي ، كاوشير ، مقل ، خشب من نباتات تتبع العائلة الصنوبرية والسعدية • (كانت الحنـاء تستخدم بكثرة فى صناعة العطـور وصبغات الشعر وطلاء الأظافر) •

٣ ـ عطر رقم (٤٣٥١٠) :

عبارة عن مادة راتنجية صلبة لونها أصفر بنى عديمة الرائحة ولها سطح واحد لامع وتزن ٦٥٨ر٠ جم ، وعند سحقها اظهرت مسحوقا ذا لون بنى أصـــفر فاتح وله رائحة عطرية مقبولة ، وبالتحليل ظهر أنها تتكون من : نبيذ بلح ، لب التمر الهندى أو الخروب ، لبان ذكر ، قلفونية ، قطران ، كاوشير ، مقل ، خلاصة أوراق وأزهار الحناء •

٤ ـ عطر رقم (٤٣٥١٣) :

عبـارة عن قطع صـــغيرة حمراء بنية تزن ٤٩٨ر٠ جم عديمة الرائحة ولها رائحة عطرية خفيفة جدا وتبقع الأيدى والورق بلون أصفر ، وبالتحليل ظهر أنها تتكون من خلاصة الحناء ، نبيذ بلح ، لب التمر الهندى والخروب ، قلفونية ، بلسم اليهودية ولبان ذكر •

٥ ـ عطر رقم (٤٣٥١٥) :

عبارة عن مسحوق يزن ٦١٣ر٠ جم وبه بعض مخلفات نباتية مختلطة به ولونه أحمر بنى وعند سحقه يتحول الى اللون الأصفر البنى وله رائحـــة قوية مميزة ويبقع اليد والورق بلون أصفر ، وبالتحليل ظهر أنه يتكون من :

قطران ، قلفونية ، نبيذ بلح ، ميعة ، مر ، مصطكى ، خلاصة الحناء وكاوشير وعقل وآثار من بلسم اليهودية ·

٦ ـ عطر رقم (٤٣٥١٧) :

عبارة عن مسحوق له لمعان رمادى بنى اللون ويزن ٧٤٢ر٠ جم وله رائحة كريهة عطرية مميزة وبالتحليل وجد أنه يتكون من : نبيذ بلح ، قطران ، لبـــان ذكر ، ميعـه وبقايا نباتات عطرية مجهـولة ·

٧ ـ عطر رقم (٤٣٥١٤) :

عبارة عن مسحوق مخلوط ببقايا نباتات وقطع من راتنج رمادى بنى اللون ويزن ٦٣١ر٠ جم وله رائحة عطرية خفيفة ولكنها مميزة وكريهة نسبيا ، وبالتحليل ظهر أنها تتكون من :

خلاصة الحناء ، لبان ذكر ، قطران ، كاوشير ، مر ، راتنج نباتات من العائلة الصنوبرية ونباتات عطرية مجهولة ، نبيذ بلح ، لب التمر الهندى أو الخروب ·

٨ ـ عطر رقم (٣٤٥١٢) :

عبارة عن قطع صغيرة لونها رمادى بنى وبها مخلفات طينية وتزن ١٠٥ر١ جم وعند سحقها كان المسحوق لونه رمادى وله رائحة عطرية مميزة ومقبولة قليلا ، وبالتحليل ظهر أنها تتكون من خلاصة الحناء ، نبيذ بلح ، لب التمر الهندى أو الخروب ، قلفونية وبلسم اليهودية ولبان ذكر ·

٩ ـ عطر رقم (٤٣٥٠٣) :

عبارة عن مادة راتنجية وتزن ٦٩٥ر٢ جم ومتباينة التركيب حيث توجد بها جزئيات حمراء بنية لامعة وأخرى رمادية اللون ،

ومسحوقها بنى اللون وله رائحة عطرية مميزة مقبولة ، وبالتحليل ظهر انها تتكون من :

خلاصـــة الحناء ، نبيذ بلح ، لب التمر الهندى أو الخروب ، ميعه ، مر ، قلفونية ، قطران ، لبان ذكر ، مقل ، ونباتات عطرية مجهـولة ٠

٢ ـ البخور

كانت البخور من المكونات المهمة فى الطقوس الدينية فى مختلف العصور الفرعونية والتى كان يستخدمها الكهنة وكذلك عامة الشعب والتى اعتاد على استعمالها وشغف بها منذ عصور ما قبل الأسرات ٠ ولقد ورد ذكر تركيب الكثير من أنواع البخور منقوشة على جدران مختلف المعابد فى هليوبوليس والأقصر ومعبد الدير البحرى ومعبد رمسيس الثالث وغيرهم ، وكذلك ورد ذكرها فى كتاب العهد القديم « سفر الخروج » ٠

ولقد نقل الاغريق والرومان هذه العـادة من المصريين القدماء واستعملوا البخور كعطور أيضا بعد اذابتها فى النبيذ والعســل ثم وضعها بين طيات ثيابهم (*) ٠

ومن هذه البخـــور :

١ ــ نوع مكون من ميعة ، أظفار الطيب (وهى حيوانات بحرية صـدفية) ، لبان ذكر ، قنه ٠ يخلط الجميع ويخفف ثم يسـحق ٠

(*) Etudes de Droguerie Egyptienne, Par V. Loret, Paris, 1894.

٢ ـ نوع مكون من : مر ، دار صينى ، قصب الذريرة ، قرفة ، زيت زيتون • يسحق الجميع ثم يغلى مع الماء ويضاف اليه الزيت ثم يغلى حتى يتبخر تماما ثم يمزج بالزيت ويستخدم ، وكان يحرق فى كل مكان مقبس فى المعبد •

٣ ـ نوع مكون من : بلسان ولادن • يخلط الاثنان ثم تجفف وتسحق •

٤ ـ نوع مكون من : بلسان ولوز وفستق ولادن وعسل وصمغ الكثيرة • يخلط الجميع ويجفف ثم يسحق •

٥ ـ نوع مكون من : مر وبرشان ولبان ذكر وسعد ودارصينى واذخر وينسون وسماق وميعة • يخلط الجميع وهم فى حالة مسحوق ناعم ثم يجفف ويسحق وكان يستخدم كبخور وعطور للمنازل وللملابس •

٦ ـ نوع مكون من : مر وفتنه وقلفونية وسعد وقرفة ومصطكى واذخر وينسون وسماق وقنه وميعه سائلة ، يخلط الجميع وهم فى حالة مسحوق • وأحيانا كان يستخدم كعطر للنساء بمزجه مع العسل ثم يغلى ، وأحيانا أخرى كان البخور يعمل منه كرات صغيرة للنساء مع العسل للاستحلاب لكى يكسب أفواههن رائحة عطرية •

كذلك كانت البخور تحرق بواسطة الكهنة فى مصر القديمة لطرد الأرواح الشريرة والشياطين من جسد المرضى وكذلك لطلب النجدة من الآلهة السماوية لكى تساعد أرواح الموتى أثناء صعودهم للسماء •

٧ ـ **بخور كيفى الفرعونى** : هذا البخور الخاص كانت الكهنة فقط هى المسئولة عن تحضيره خلال كل العصور الفرعونية وذلك داخل المعابد فى معامل خاصة بها مستخدمين طرقا معقدة جدا وكان

يستغرق وقتا طويلا ليكون جاهزا للاستعمال ، وكان يستخدم فقط في الاحتفالات الدينية • ولقد ذكر ديوسقوريدس أنه كان مكونا من عشر مواد في حين ذكر بلوتارك في وصفة أخرى أنه كان مكونا من ست عشرة مادة •

وبخور كيفي كان يحضر على خمس مراحل هي :

المرحلة الأولى : وتتكون من المواد الآتية : (من كل مادة ٢٧٠ جم) مصطكي وقصب الذريرة وسمبل وسليخة ودارصيني ونعناع فلفلي وخشب ورد • يمزج الجميع بعد سحقهم ناعما ثم ينخل (الوزن الكلي ١٨٩٠ جم) •

المرحلة الثانية : وتتكون من المواد الآتية (من كل مادة ٢٧٠ جم) حب العرعر وفتنة وحناء وسعد • يسحق الجميع بحيث لا يكون ناعما ثم يخلط مع نبيذ ويترك لمدة يوم •

المرحلة الثالثة : وتتكون من المواد الآتية :

عنب مجفف (١٢٦٠ جم) ونبيذ صحراوى (١٤٤٠ جم) • تمزج المادتان ، ثم يخلط المحلول الأول والثاني جيدا ثم يضافان الى المحلول الثالث ويقلب الخليط ويترك لمدة خمسة أيام حتى تتكون عجينة •

المرحلة الرابعة : وتتكون من المواد الآتية :

قلفونية طازج (١٢٠٠ جم) وعسل (٣٠٠٠ جم) (فيكون مجموعهما ٤٢٠٠ جم) ، يمزجان جيدا ثم يغلى حتى يتبقى ⅘ الكمية (حوالى ٣٣٦٠ جم) ثم يضاف الى المحاليل أرقام ١ ، ٢ ، ٣ ويقلب ويترك لمدة ٢٤ ساعة •

المرحلة الخامسة : وتتكون من مسحوق مر (١١٤٣ جم) ويضاف الى المحاليل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ويمزج الجميع جيدا ويترك ليجف ثم يستعمل •

القسم الثالث :

مستحضرات التجميل فى مصر القديمة

منذ فجر التاريخ والى هذه اللحظة شغف قدماء المصريين بدرجة كبيرة بمختلف أنواع مستحضرات التجميل والطرق العديدة لكى تزيد من جمالهم وخاصة نساءهم مستخدمين فى ذلك كل ما يصل الى أيديهم من مواد سواء الموجودة طبيعيا فى مصر أو المجلوبة من البلدان الأخرى المجاورة . وهذه المواد تتراوح ما بين خلاصات الاعشاب والزيوت العطرية والمعادن والأملاح ومختلف الأجزاء والمنتجات الحيوانية .. وغيرها وذلك بخلطهم مع بعضهم البعض بنسب متفاوتة ثم تستعمل على الجلد (*) .

ولقد اعتاد المصريون القدماء الاستحمام عدة مرات يوميا بالماء الجارى مع تدليك جلد أجسادهم ببعض الأعشاب (والتى يفضل

(*) A History of Chemistry ; by Campbell.

احتوائها على مادة السابونين تزيل رغوتها الأوساخ والأتربة والمواد الدهنية العالقة بالجسم مثل الصابون) أو الاستعانة بتدليك ملح النطرون مع الماء فيؤدى عمل الصـــابون (حيث انه لم يكن قد اخترع بعـــد) .

أما الأغنيـــاء فقد كانوا يحتفظون بغرف خاصة فى منازلهم كحمامات حيث يصب الماء الساخن على أجسادهم .

وكانوا مثل غالبية المصريين يحبون أن يدهنوا جلدهم ببعض الدهانات والزيوت العطرية والتى كانت تحظى بشهرة كبيرة فى ذلك الوقت أيام عهود الأسرات والتى كانت تحافظ على بشرتهم من الجفاف نظرا لحرارة الجو وكذلك لاعطاء الجلد نعومة وطراوة (*) .

ولقد اعتزت النساء فى ذلك الوقت بشعورهن كمظهر من مظاهر الجمال واهتممن به كل الاهتمام يوميــا بغسله ودهانه وتسريحه وتصفيفه وفق الموضة المنتشرة فى كل عصر فأحيانا كن يقصصنه قصيرا وأحيانا يجدلنه على هيئة ضفائر قد يصل طولها الى نهاية الصدر أو نهاية البطن عند الاليتين ، وأحيانا مجعدا . كذلك عمدن الى ازالة الشعيرات غير المرغوبة فى أجسادهن باستعمال الملاقط .

واعتاد الرجال حلاقة رؤوسهم فى محلات الحلاقة أو فى الهواء الطلق للفقراء ، كمــا عمدوا الى قص شعرهم قصيرا أو مسترســلا حسب الموضة المتداولة فى كل عصر مستخدمين فى ذلك الأمواس البرنزية وكذلك لحلاقة ذقونهم يوميا .

وكان كهنة المعابد مجبرين على حلاقة رؤوسهم تماما كل ثالث يوم وذلك وفق تعاليم الديانة والكهنوت المصرية وكان ذلك يتم داخل المعـابد .

(*) The History of Medicine ; by Bernard Dawson.

كذلك دأب أفراد العائلة المالكة سواء كانوا رجالا أو سيدات على ارتداء الشعر المستعار (باروكات) المصنوع من الشعر الطبيعي خصوصا أثناء حضورهم الاحتفالات الرسمية والدينية في حين اعتاد الملوك لبس لحى مستعارة • (وكانت الباروكات طويلة أو قصيرة وأحيانا بها تموجات وأحيانا على هيئة ضفائر طويلة) •

وعادة الشعر المستعار بدأت في عصور ما قبل الأسرات عندما كان المصريون القدماء يعمدون الى ترك شعر رؤوسهم طويلا مسترسلا وكذلك ترك شعر لحاهم لتطول منتهية بنهاية مدببة ، ولكن في بداية الأسرة الأولى انتشرت طريقة قص الشعر قصيرا وحلاقة الذقن •

كذلك عمد أعضاء الأسرة المالكة الى تخصيص فئة من العمال المهرة ليكونوا أخصائيي تصفيف الشعر وصناعا للشعر المستعار وفنانين في التجميل ومواده ، وكانوا في الأصل بعض الخدم المهرة والذين كانوا أيضا متواجدين أثناء قيام سيدهم باستخدام مختلف أنواع مستحضرات التجميل •

كما اعتادت النســـاء في ذلك العهد البعيد أن يزلن الشعر غير المرغوب فيه ابتغاء زيادة جمالهن ، وعمدن الى مزيلات للشعر على هيئة معاجين تستخدم على الجلد • ولقد ورد ذكر احدى هذه الوصـفات المزيلة للشعر (الوصفة رقـم ١٥٥ في بردية هيرست الطبيــة) واحتوت على مزيج من لبن الجميز الصمغي ومعه صمغ آخر • كذلك ورد ذكر بعض الوصفات الأخرى لازالة الشـعر في بردية ايبرس الطبية (وصفات رقم ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦) بخصوص احداث سقوط لشعر الجسم : وذلك عن طريق دهان الجلد بمزيج من محروق أصداف السلحفاة ومحروق بعض الحشرات وزيت شجرة الهجليج (بالانيتيس) •

وامتاز المصريون القدماء بشعرهم الأسود رجالا وسيدات بالرغم من وجود بعضهم ذوى الشعر الأسود البنى أو الأصفر أحيانا والذى دل على أنهم أجانب وليسوا مصريين . وكان ظهور الشعر الرمادى على الرأس غير مستحب عند غالبية المصريين والتى كانت تعنى وصولهم الى مرحلة الشيخوخة ، ولذلك كثرت الوصفات الطبية التى تعمل على ازالة هذا الشعر الرمادى مثل تلك الزيوت المصنوعة من الزيت الممزوج بدماء البقر الأسود أو الثور الأســـود أو الثعبان الأسود ، أو ذلك الزيت المصنوع من زيت العرعر وكبد الحمار أو دهان آخر مكون من رحم القطة وبيضة غراب واللادن مع زيت ويغلى الجميع ويدهن به على فروة الرأس .

كذلك كان سقوط الشعر والصلع من الأمور غير المستحبة عند المصريين ، واستخدموا زيوتا باهظة الثمن لجعل الشعر ينمو مرة أخرى ومن هذه الدهانات ذلك النوع المصنوع من دهن الأسد وفرس النهر والتمساح والقط والثعبان والغزال ممزوجين مع بعضهم البعض ويدهن به على الرأس .

أيضا كانوا يعالجون مرض الثعلبة (سقوط الشعر فى أجزاء مختلفة من فروة الرأس) باستخدام الدهن مخلوطا بمحروق اشواك القنفذ أو بمخلوط الزيت مع زيت التربنتين .

وعنى المصريون القدماء بتحضير العديد من الدهانات الخاصة بتقوية شعر الرأس والتى استخدمت بكثرة لعلاج حالات ضعف الشعر مثل الاستعانة بزيت الخروع وزيت الزيتون وزيت الحناء وزيت اللبان وزيت اللوتس (البشنين) واللادن وغيرهم سواء استخدمت الزيوت مجتمعة ومخلوطة مع بعضها البعض أو منفردة .

كذلك كانت قشور الشعر مثيرة للضيق باعتبارها دليلا على عدم النظافة وكانوا يعالجونها مستخدمين مخلوطا من مسحوق الشعير

والخلة والشحم الخفيف ، وذلك بعصائه مع التدليك المستمر على على فروة الرأس (وذلك طبقاً لما جاء في الوصفة الطبية رقم ٧١٢ في بردية ايبرس الطبية) .

وكانت النساء في ذلك الوقت وفي كل وقت مغرمات بصبغ شعورهن خاصة باللون الأحمر البني والذي كن يحصلن عليه باستخدام عجينة الحناء كمسحوق مخلوطا بالماء ويدلك به الشعر المبلل بالماء ويترك طيلة الليل .

وكانت الحناء كذلك تكسب الشعر نعومة وطراوة ولمعانا وهي مقوية لجذور الشعر وتمنعه من السقوط .

ومن الصبغات المحبوبة كذلك صبغة النيلة والتي كانوا يحصلون عليها من نبات النيلة ذي اللون الأسود حيث كانوا يخلطونها مع الحناء والماء ويترك على الشعر طيلة الليل مثل الحناء العادية .

كذلك أغرم المصريون القدماء بتدليك أجسامهم وشعورهم بالعطور والدهانات العطرية وخاصة أثناء الاحتفالات والمآدب .. فكانوا يستعملون العديد من الزيوت العطرية المستخرجة من الأعشاب العطرية . وهذه العطور كانت تتكون عادة من زيت ثابت كأساس مثل زيت الخروع أو زيت الزيتون أو من الدهون الحيوانية المخلوطة بالزيوت العطرية (وهذا يخالف طريقة تحضير العطور في عصرنا الحاضر حيث تتكون عادة من محلول كحول مذابة فيه الزيوت العطرية) .

فقد اعتاد المصريون القدماء نقع الزهور العطرية ـ المحتوية على الزيوت العطرية الطيارة ـ على هيئة طبقات فوق بعضها في زيت ثابت ويترك الجميع لعدة أيام ثم يكبس ليسيل الزيت ويجمع في حين تجفف الجذور والأغصان لهذه النباتات ثم تسحق وتخلط مع

زيت او دهن وتترك لمدة أيام ثم يصفى الزيت المذاب فيه الزيوت العطرية ٠

وكان زيت البان من الزيوت المشهورة والمستخدمة دائما فى استخلاص الزيوت العطرية لصـناعة العطور المختلفة وكذلك فى تحضير الدهانات الخاصة بالتجميل مثل مساحيق الوجه والخدود ٠

ولقد ذكر العالم الاغريقى « ثيوفرا ستوس » الكثير من الدهانات العطرية الفرعونية وأورد بعضا من مكوناتها مثل الدارصينى والمر وغيرها فى حين ذكر بلينى (المؤرخ الرومانى الشـهير) أن دهان منديسيوم العطرى كان مكونا عادة من زيت الهجليج والمر والراتنج ٠

ومن الزيوت التى كانت تدخل فى صناعة العطور الفرعونية :

زيت البابونج ـ المر ـ زيت الزعفران ـ زيت الحناء ، (حيث كانت زهورها تخلط مع دهن حيوانى لاستخلاص زيتها العطرى) ـ زيت النعناع الفلفلى ـ زيت الياسمين ـ زيت البان وزيت الهجليج وغيرهـــا ٠

ومن الزيوت العطرية التى استخدمت فى العصور الفرعونية المتأخرة :

زيت اللوز المر ـ زيت الزيتون ـ زيت السـكوون ـ زيت التربنتين ـ زيت الدارصينى وزيت اللادن وغيرها ٠

كذلك استخدم المصريون القدماء مزيلات الرائحة ، لاكسابه رائحة عطرية جميلة لأجسادهم واخفاء أية رائحة كريهة تصدر عنهم ٠ وهناك ذكر فى بردية ايبرس الطبية (وصفة رقم ٨٥٣) عن مسحوق للتبخير مكون من المر والصنوبر ولبان الذكر والدارصينى وعرق ايكر وصمغة سائلة مخلوطة جميعها ثم تحرق تحت وحول الشخص الذى يريد تعطير جسده ٠

(وأحيانا كانت نفس المكونات تخلط مع العسل وتصنع منها كرات توضع فى الفم ، وتمص تدريجيا لاكساب الفم رائحة عطرية طيبة) .

وهناك ذكر فى بردية هيرست (وصفات رقم ٣١ و ٣٢ و ١٥٠ و ١٥١) عن خليط مكون من زيت التربنتين والراتنج والصمغ وغيرها كان يجرى تدليكه على الجسد ليكسبه رائحة طيبة زكية .

كذلك كانوا يعمدون الى تدليك الجسم بمزيج من الصمغ العربى والشبة لايقاف افراز العرق الغزير .

ومن الدهانات المهمة التى دأب المصريون القدماء على إستعمالها ، دهانا على الجلد لازالة تجاعيده مثل تلك الوصفات (أرقام ٧١٤ و ٧٢٠) فى بردية ايبرس حيث نجد دهانا خاصا بتجاعيد الوجه مكونا من مرمر مصرى على هيئة مسحوق ناعم مخلوطا مع العسل ، والملح العادى وملح النطرون أو تلك الوصفات الطبية (ارقام ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩) فى بردية ايبرس الطبية المكونة من زيت الهجليج وزيت التربنتين والعسل .

كذلك تلك الوصفة الطبية رقم ١٥٣ فى بردية هيرست الطبية والتى كانت تتكون من لبان الذكر والعسل ، فى حين ذكرت بردية ادوين سميث الجراحية وصفة طبية عبارة عن عجينة تدلك بها بشرة الوجه مكونة من مسحوق الحلبة المحمصة مع العسل .

كذلك شغفت النساء المصريات قديما بتلوين شفاههن وخدودهن بالأصباغ الحمراء ، ويظهر ذلك واضحا على الرسوم الموجودة على جدران المقابر والمعابد منذ العصور الفرعونية القديمة ، والتى تبين أن النساء فى ذلك الوقت كن يعرفن ويستعملن المساحيق لتزيين الوجه .

وكثر استخدام المواد الملونة لاعطاء اللون الأحمر ، وكان من اشهرها الأهرة الحمراء (خام الهيماتايت الذى يوجد على هيئة طبيعية فى الصحراء الشرقية بمصر) • وظلت المادة الصبغية الحمراء الرئيسية طوال العصور الفرعونية الى وقت متأخر (ولا يزال حتى الآن يستخدمه الفنانون فى تلوين لوحاتهم باللون الأحمر خصوصا عند الرسم على الجص) •

وكانوا فى ذلك الوقت يخلطونه بالزيت أو الدهن وتضعه النساء على خدودهن ، وشفاههن مستخدمات فى ذلك قطعة غاب تغمس فى قطعة مبللة من العجينة الملونة •

وكان هناك نوع آخر من الأصباغ الحمراء مستخلص من مسحوق الحناء من الأوراق ، والذى كان يخلط عادة مع محلول قلوى فيعطى لونا أحمر بنيا ، وأحيانا كان خام الليمونايت الأصفر اللون يستخدم فى مساحيق التجميل مخلوطة بخام الهيماتايت للحصول على درجات مختلفة من اللون الأحمر حسب رغبة كل امرأة •

وأحيانا كانت النساء تستخدمن صبغا أحمر مستخرجا من أزهار نبات القرطم وذلك ثابت من العينات التى وجدت فى بعض المقابر فى عصور الدولة القديمة •

كذلك كانت مساحيق جفون العين من الأشياء المهمة الرئيسية فى معدات التجميل والتى كانت النساء تستخدمه دهانا على كلا الجفنين •

كما ثبت أن النساء منذ عصر البدارى (حوالى ٦٠٠٠ ق٠م٠) وحتى عصر الأسرة الأولى كن دائما يستخدمن دهانا أخضر مكونا من خام الملاكايت الأخضر ممزوجا بمحلول مائى من الصمغ العربى •

(وظل هذا اللون مستخدما على كلا الجفنين حتى قل استعماله تدريجيا ثم بطل نهائيا فى الأسرة ١٩) ٠

واستعملت النساء مادة خضراء أخرى هى الكريزو كوللا ٠

ومنذ الأسرة الرابعة بدأت النساء دهان الجفن السفلى باللون الأخضر فى حين استخدمن اللون الأسود فى دهان الجفن العلوى ، ثم بالتدريج قامت النساء بدهان كلا الجفنين باللون الأسود ابتداء من الدولة الوسطى ، كما أن استخدام خام الملاكايت الأخضر شكل علاجا ناجحا للأرماد التى كانت تصيب أعين المصريين ٠

ومن أهم المواد المعدنية السوداء التى كان يصنع منها دهان الجفون الأسود خام الجالينا الأسود الرمادى اللون وكان يباع فى الأسواق المصرية على هيئة مسحوق ناعم معبأ فى كيس صغير مصنوع من الكتان أو الجلد ٠ وكانت النساء يخلطنه بمحلول مائى من الصمغ العربى وكن يسمينه الكحل ، وكانت له فوائد علاجية أيضا فى شفاء أمراض العين الوبائية ٠

ومن الألوان الصبغية لجفون العين والتى كانت تستخدم فى العصور الفرعونية خام الاستبنايت وكربونات الرصاص وأكسيد النحاس الأسود وأكسيد الحديد المغناطيسى وأكسيد المنجيز وكلها ذات لون أسود وكذلك خام الأهرة البنى ٠

ومن الدهانات الفرعونية الشهيرة لجفون العين ذلك المسمى « مسدمت » الأسود اللون والذى كان مكونا من (٦٠ ٪) خام الجالينا والباقى مكون من بعض المواد المذكورة سلفا ، وكذلك كان خام الجالينا يستخدم لتخطيط الحواجب باللون الأسود مكسبا لها لونا جميلا ٠

كذلك كانت النساء تستخدمن دهانا أسود للجفون مصنوعا من مسحوق محروق اللادن مع الدهن والذى كان يستخدم كذلك علاجا لأمراض العين ٠

واعتادت النساء كذلك صباغة راحة أيديهن وأقدامهن باللون الأحمر المخلوط باللون البنى مستخدمات فى ذلك مسحوق أوراق الحناء مخلوطا بالماء ، مكونه عجينة ويمزج بالزيت أو الدهن ويترك مربوطا على اليدين أو القدمين طيلة الليل كنوع من الجمال ، وكذلك كعلاج لالتهاب بشرة الجلد والفطريات والتشققات التى تحدث فى اليدين والقدمين .

كذلك كانت عادة طلاء أظافر أيدى النساء وأقدامهن منتشرة منذ عصور ما قبل الأسرات ، فكانت الأظافر تطلى باللون الأحمر مستخدمات خام الأمرة الحمراء مخلوطة بمحلول من الصمغ العربى ، وأحيانا كن يطلينها باللون الأسود مستخدمات صبغة النيلة السوداء مع محلول الصمغ العربى .

ومن العادات القديمة التى مارستها النساء المصريات مع بناتهن هى احداث ثقب فى آذان البنات منذ ولادتهن وذلك بغرض تعليق الأقراط والحلى فيها .

القسم الرابع :

التحنيط عند قدماء المصريين

كان التحنيط عندهم يعنى حفظ أجساد الموتى من الفناء بواسطة دهانها بالبلسم وكان الاغريق القدماء يسمون الجسد بعد تحنيطه « موميـاء » (مشتقة من كلمة موم وتعنى شمع باللغة الفارسية) ٠

ولقد وجد علماء الآثار أن مصر كانت مهد الحضارة الأولى على الأرض وذلك قبل العصور التاريخية المتعارف عليها وحتى قبل بداية العصر الحجرى القديم ٠

وهذه الحضارة ذات الأوجه المتعددة ظهرت على طول شاطىء نهر النيل وخاصة فى مدن « تاسا » و « البدارى » و « مرمدة » و « الفيوم » و « حلوان » و « المعادى » وغيرها ؛

وقد اتصلت هذه الحضارات ببعضها البعض وبمختلف البلدان المجاورة واثرت على حضارتهم كثيرا ٠

ولقد آمن المصريون القدماء ببعض المعتقدات الروحية عن الحياة الأخرى فى العالم الثانى وعن الخلود والذى يظهر جليا فى قبورهم البدائية البسيطة وفى طريقة دفن موتاهم ووسائل حفظ أجسادهم من الفناء (*) .

ولهذا ظهر تأثير الأساطير القديمة واضحا على حياتهم وعلى طريقة دفن موتاهم لحفظها من البلى وذلك فى أولى محاولاتهم فى تحنيط أجساد الموتى فى عصور ما قبل الأسرات .

كما آمنوا بأن الروح خالدة وانها سترجع بعد مفارقتها الجسد عند الوفاة مرة أخرى اليه فاذا وجدته فى حالة مفقودة أو لا يصلح لأن تسكنه فانها ستظل بدون جسد وبهذا يموت الانسان الى الأبد .

ومن هنا ظهرت فكرة التحنيط .

وقد نقل الاغريق هذه الفكرة عن المصريين وأطلقوا على الجثة المحنطة اسم « مومياء » . وهذه المومياء لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الطب طوال العصور الأغريقية واليونانية وبعدها بعصور عديدة لدرجة أن الفرس استخدموا هذه المومياء أو بقاياها كعلاج شامل للأمراض النفسية وانتقلت هذه العادة الى أوروبا حيث استخدمت بنفس التفاصيل وظلت مستعملة الى القرن الثامن عشر الميلادى . وذلك ثابت من ذكرها المتواصل فى مختلف الدساتير الطبية فى معظم دول أوروبا (**) .

واعتمدت نظرية التحنيط على التجفيف الكامل لجسد المتوفى بحيث يكون بمعزل تام عن الرطوبة المائية والحرارة (حيث انه من المعروف أن جسم الانسان يتكون من حوالى ٧٥٪ وزنا من الماء) .

(*) Histological Studies in Egyptian Mummies ; by Sir Armond Ruffer, (1911).

(**) A History of Egyptian Mummies by ; Pettigrew, London (1834).

وقد عرفت تفاصيل كثيرة عن عملية التحنيط مما حوته الكثير من البرديات الطبية المكتشفة وعن طريق تحليل بقايا مواد التحنيط وأجزاء من المومياوات ومما دون على جدران المقابر والمعابد والكتب التاريخية التى ورد بها ذكر طريقة تحنيط الجثث وما كتبه المؤرخون الاغريق القدماء أمثال : هيرودوت وديودورس الصقلى ٠

وخلال عصـــور ما قبل الأسرات دأب المصريون القدماء على الحفاظ على جثث موتاهم بالطرق الطبيعية فقط ولم يلجأوا الى الطرق الصناعية ٠ ولهذا كانوا يكتفون بدفن الموتى فى حفرات فى الأرض الرملية بالصحراء ، بحيث تكون ملفوفة فى عدة طيات من الكتان أو جلد الحيـوانات المختلفة أو ببعض أغصــان الجريد المنزوع من النخيل ٠ وكانت الحرارة الشديدة المختزنة فى رمال الصـــحراء كفيلة بتجفيف الجلد والأحشاء الداخلية وسـاعد ذلك على حفظ الجثة من الفساد والتحلل كما هو ظاهر فى الجثث التى اكتشفت والمعاصرة للفترة ما بين ٨٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق٠م٠ وظلت هذه الطريقة الطبيعية لحفظ الجثث بدون تغيير الى بداية عصر الأسرات حيث دأبوا على تزيين الجثث بالأساور الملونة ولفها بعدة طيات متعاقبة من الكتان المنسوج كما هو ثابت طوال الأسرة الأولى (*) ٠

أما خـلال الأسرة الثانيـة فقد خطوا خطوة الى الأمام حينما وضعوا الجثة فى صندوق خشبى بعد تغليفها تماما بأشرطة عريضة من الكتان المنسوج تبلغ العشرين طية مع العناية بتغليف كل ساق على حدة بطيات من القماش بحيث يتخلل كل طية كمية كبيرة من ملح النطرون الجاف (لامتصاص الماء) (**) ٠

(*) Royal Tombs of the Earliest Dynasties, by Sir Flanders Petrie, vol. 2.

(**) Dundee Report, British Association, p. 161 (1912).

وخلال عصر الدولة القديمة (من ٢٩٠٠ ــ ٢٦٠٠ ق٠م) نجد أن المصريين القدماء أحرزوا (أثناء الأسرة الثالثة) تقدما كبيرا في فن التحنيط وذلك عندما قاموا بتغليف الجثة بعدة طيات من قماش الكتان بحيث تكون أول لفة منقوعة مسبقا في راتنج منصهر ثم تضغط بقوة على الجسد بحيث تأخذ نفس الشكل وتترك لتجف مكونة بذلك طبقة سميكة صلبة حوله وذلك بعد تفريغ الأحشاء الداخلية وحشوها بالكتان المغموس في الراتنج المصهور (*) ٠

وأثناء الأسرتين الرابعة والخامسة قام المصريون بتغليف جسد المتوفى بعدة لفات من قماش الكتان ثم يغمر الجسد كله في الراتنج المنصهر بعد تفريغ الأحشاء الداخلية بالطبع ٠ واعتادوا كذلك تزيين الرأس وتعطيره بلبان الذكر ودهان كل الجسم قبل تغطيته بالراتنج المنصهر بدهن عطرى خاص فيما عدا الظهر حيث يدهن بدهان عطرى آخر ، في حين توضع الأحشاء الداخلية في أربعة أوعية جنائزية خاصة مملوءة بمحلول من ملح النطرون ، أما داخل الجمجمة فانهم كانوا يملأونه بمختلف أنواع الأدوية والأعشاب العطرية (**) ٠

كما كانوا قبل تفريغ أحشاء الجسد يقومون بنقعه كاملا في ملح النطرون لمدة اربعين يوما تزيد الى سبعين يوما في أحيان كثيرة ٠

ايضا بدأت في الظهور خلال تلك الفترة ، أول محاولات فنية لتلوين الوجه بمختلف أنواع الأصباغ ٠

وفي خلال عهد الدولة الوسطى (٢١٦٠ ــ ١٧٨٨ ق٠م) قام المصريون بحقن الجسد بمادة راتنجية منصهرة عن طريق فتحة

(★) Museum of Fine Arts Bulletin, Boston, U.S.A., vol. XI, N. 66, November 1913, p. 58.

(★★) History of Egypt, by J. Breasted, (1919).

الشرح ٠ ومن الطريف أن بعض المومياوات كانت تحمل آثار الوشم بعد الوفاة (*) ٠

في حين أن الوجه كان مغطى بطبقة صلبة لاصقة تماما بالجلد ٠ وكان الشعر مصبوغا باللون الأخضر وكذلك الشارب والذقن وكل الوجه مصبوغا باللون الأصفر ٠

كذلك كان الجسد جميعه يغلف بطبقات عديدة من قماش الكتان المغموس في راتنج منصهر في حين أن داخل الجسد كان يحشى بنشارة الخشب مخلوطة بالكتان والراتنج على هيئة كرات كبيرة بحيث تكون الشرائط الكتانية الخارجية مغطاة بطبقة راتنجية حمراء في حين أن الشرائط الداخلية سوداء اللون وبها بلورات ملحية وكذلك كان الوجه يغطى بطبقة كثيفة من الراتنج (**) ٠

ومن الجدير بالذكر أن عملية تفريغ الجمجمة في ذلك الوقت كانت غير مستخدمة بعد ، وكان الفم وفتحتا الأنف والعينان تحشى بمزيج من الكتان والراتنج ، وعمدوا كذلك الى وضع الأحشاء في أوان جنائزية مملوءة بالراتنج المنصهر ، أما أصابع اليدين والقدمين فكانت مغلفة تماما خشية أن تنفصل عن الجسد أثناء نقعه في ملح النطرون ، كما جرى استخدام محلول الحناء المائي بكثرة في صبغ الجلد كمجفف له ٠

وأثناء عصر احتلال الهكسوس لمصر (١٧٨٨ ــ ١٥٨٠ ق٠م) تداخلت بعض العادات الجنائزية الآسيوية في الحياة المصرية القديمة بحيث أثرت قليلا في طريقة التحنيط فأصبحت الأيدى والأرجل تغلف كل على حدة (وليست مضمومة على جانبي الجسد

(*) Ancient Egyptian Mummies; by Elliot Smith, p. 79.

(**) The tomb of two brothers, by M. A. Murray & others; Manchester, p. 31 (1910).

ويغلف كله مرة واحدة) فى حين أنهم قاموا بحشو التجويف الباطنى بعد تفريغه بالكتان • (وكان تفريغ التجويف يتم عن طريق فتحة جانبية فى البطن) ولم يقوموا بتفريغ جمجمة الرأس واكثروا من استخدام التوابل العطرية فى دهان كل أجزاء الجسد •

أما فى عصر الامبراطورية الحديثة (١٥٨٠ ــ ١٠٩٠ ق٠م) فقد انتشرت طريقة تفريغ جمجمة الراس كجزء أساسى من عملية التحنيط كما ذكره هيرودوت ثم قاموا بحشوها بشرائح من الكتان المغموسة مسبقا فى الراتنج المنصهر من خلال فتحة الأنف أو من خلال ثقب فى مؤخرة العنق ، بحيث كانت الفقرة العليا منها تنزع بدقة متناهية مما يدل على أن المصريين القدماء كانوا على درجة كبيرة من التقدم فى الجراحة ، كما زاد استخدامهم لكميات كبيرة من الراتنج بغرض الحفاظ الجيد لجسد المتوفى عندما يجف (*) •

وشاعت طريقة غمر الجسد كله فى حمامات خاصة رأسية مملوءة بملح النطرون لمدة سبعين يوما بحيث يكون الجسد فى وضع رأسى • وخلال هذه المدة تنفصل البشرة الجلدية عن الجسم حاملة معها الشعر •

كذلك شاعت عادة تغليف الأصابع برقائق من المعدن أو من شرائح كتانية مثبتة بخيوط باحكام تام خشية انفصالهم وسقوطهم وبالتالى ضياعهم نهائيا • أما فروة الرأس فكانت دائما متواجدة بسبب غمر الجسد كله فى ملح النطرون وابقاء الرأس بأكمله خارج الحمام الملحى •

وفى أثناء الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كانت مواد التحنيط المستخدمة بعد اخراج الجسد من حمام ملح النطرون هى :

(*) The Tomb of Amenemhet, by Gardiner, p. 56.

الكتان الخام وشرائح من قماش الكتان المشبعة بالراتنج ونشارة الخشب المخلوطة بالراتنج المنصهر والرمل المخلوط بالراتنج وحشو التجويف البطنى والمكون من نبات الشيبة ٠

وقد وجدت بعض المومياوات مغطاة تماما بطبقة كثيفة من الراتنج فيما عدا الرأس والتى كانت تحوى بصلتين صغيرتين مكان العينين ٠

وفى عهد الأسرة الحادية والعشرين حدث تطور سريع فى فن التحنيط أدى الى محاولة المحنط بكل ما فى طاقته وفى وسعه الحفاظ على المظهر الخارجى للجسم وذلك عن طريق تغطيته بمزيج من الصمغ والأمرة الصفراء فوق لفائف الكتان وذلك لاعطائه لون الجسم الطبيعى ٠ كذلك عمد الى وضع أعين صناعية فى تجويف العيون مصنوعة من الزجاج أو الفخار المحروق الملون ٠

أما الأحشاء الباطنية فقد بطل حفظها فى أوان فخارية جنائزية واكتفوا بلفها مع بعضها ثم توضع فى التجويف البطنى مرة أخرى وحشو الفراغ المتبقى بنشارة الخشب ٠

ويعتبر عصر الدولة الحديثة بمثابة عهد النهضة المصرية القديمة وتبع ذلك حدوث تطور كبير فى فن التحنيط مما أدى الى :

١ ـ احداث فتحات جراحية دقيقة فى الجسم مثل تلك الفتحة فى مؤخرة العنق وازالة الفقرة العظمية العنقية الأولى ، وكذلك تلك الفتحات العديدة فى مختلف أنحاء الجسم بغرض حشوه ٠

٢ ـ اجراء عملية جراحية على مستوى واسع لتفريغ محتويات الجمجمة ٠

٣ ـ اجراء التجارب العلمية المختلفة على المواد المستخدمة فى حشو الجسد وتحديد قوة خاصية الامتصاص وحفظ الخلايا لكل منها ٠

٤ ــ احداث فتحة فى مؤخرة الجمجمة لطرد الأرواح الشريرة ٠

٥ ــ كثرة استخدام الراتنج وملح النطرون وأنواع أخرى من الأملاح ٠

٦ ــ استخدام الصمغ وخام الأمرة الصفراء كدهان للجسد ٠

٧ ــ الاهتمام الكبير بالمعالم الخارجية للمومياء ٠

أما فى العصر البطلمى (٣٢٣ ــ ٣٠ ق٠م٠) فقد زاد الاهتمام باعداد الغطاء الخارجى لوجه المومياء وزخرفته مع استخدام الكثير من الراتنج والقطران المعدنى الى درجة أن الوجه أصبح حالك السواد ولامعا ٠ وأصبح من المألوف فقدان الوجه للبشرة الخارجية وذلك راجع لكثرة استخدام الأملاح والقلويات الكاوية واعتادوا جمعها فى كيس واحد ٠

أما فتحات الجسد فكانت تحشى بقطع أو شرائح من قماش كتانى مخلوطة بالطين والراتنج والصمغ ، وهذا الأخير كان يحشى به تجويف الجمجمة على وجه الخصوص ٠

وبانتشار المسيحية فى مصر أصبحت واحدة من أهم المراكز الدينية فى العالم المسيحى ٠ ولقد أثر ذلك على التقاليد المصرية بدرجة كبيرة متمشية فى ذلك مع طريقة الحياة المسيحية الجديدة وعلى نسق ما جاء فى الإنجيل ٠ . . .

وبالتالى أثر ذلك على طريقة التحنيط بحيث حاولت محاكاة طريقة دفن المسيح والتى كانت عبارة عن كفن مكون من عدة لفات من قماش كتانى مضمخة بالعطور قبل مواراة الجسد التراب ٠

وبهذا تحولت عملية التحنيط من كونها عملية كيميائية جراحية تشريحية الى عملية فى غاية البساطة أساسها لف الجسد

بالكتان ثم رشها بالعطور ثم يجرى تغليف الجسد بالكتان ثم الباس الجسد أفخر الثياب وذلك فى حالة كون المتوفى رجلا أما اذا كانت امرأة فكانوا يلبسونها ثوبا طويلا أبيض ويرش عليه الكثير من الملح والمساحيق العطرية ٠

وبهذه الطريقة أمكن المحافظة على العديد من المومياوات والتى يرجع تاريخها الى العصر القبطى بحالة سليمة ٠

وظلت عملية التحنيط تمارس تدريجيا بطريقة مخففة الى أن اختفت تماما وبطل استخدامها بعد قرون قليلة من انتشار المسيحية ولكنها ظلت فى أذهان المصريين كأثر دارس ورمز خاص يذكرهم بالعصور الفرعونية القديمة وحتى أثناء الفتح العربى لمصر ٠

ولقد ذكر « هيرودوت » فى كتابه الشهير « التاريخ » وذلك اثر زيارته لمصر فى عام ٤٣٠ ق٠م ، أنه كانت للمصريين ثلاث طرق للتحنيط هى : —

١ ـ الطريقة الأولى :

تفريغ الجمجمة والبطن من محتوياتهما وحشو الفراغات الناتجة بمسحوق مكون من المر والدارصيني بالاضافة الى أنواع أخرى من العطور والتوابل ثم يجرى خياطة الفتحات بنظام متلاصق ، ويدفن الجسد فى ملح النطرون لمدة سبعين يوما يتم فى نهايتها اخراج الجثة المجففة وتغطى بشرائط ولفائف من الكتان المنقوع سلفا فى صمغ أو راتنج وتسلم بعدها الى أهله حيث توضع فى صندوق خشبى ثم يتم دفنها ٠

٢ ـ الطريقة الثانية :

قليلة التكاليف وكانت تتم بواسطة حقن زيت السيدار (زيت الأرز) من فتحة الشرج بالجسد ثم تسد تماما ويغمر فى

ملح النطرون لمدة سبعين يوما ، يتم بعدهـــا اخراج الجثة ويترك الزيت لكى يسيل من الشرج حاملا معه الأمعاء بعد تحللها على هيئة سائل ثقيل ، ثم يسلم الجسد لأهل المتوفى بدون تغطيته بالكتان ٠

٣ ـ الطريقة الثالثة :

كانت تعتبر أرخصهم ثمنا وتتلخص فى دفن الجسد فى ملح النطرون لمدة سبعين يوما تسلم فى نهايتها الجثة الى اهلها لدفنها ٠

المواد التى كانت تدخل فى عملية التحنيط :

١ ـ **الجير** : كان يستخدم كمجفف لجلد الجثة ٠

٢ ـ **كلوريد الصوديوم (ملح الطعام)** : كان يستخدم منذ عصور سحيقة القدم لحفظ وتجفيف الأسماك وبالتالى لتجفيف أجساد الموتى (*) ٠

٣ ـ **ملح النطرون** : عادة يتكون من خليط من كربونات وبيكربونات وكلوريد وكبريتات الصوديوم بالاضـــافة الى عدة أملاح غير ذائبة ، وكان يستخدم على هيئة بلـورات ملحية أو محلول مائى ، وبدأ استخدامه فى التحنيط منذ الأسرة الرابعة والى نهاية القرن الخامس ق٠م (**) ٠

وكان يعتبر من المواد الأســـاسية والمهمة فى عمليـة التحنيط عند قدماء المصريين نظرا لسهولة الحصـــول عليه وشيوع استخدامه فى التنظيف والاستحمام به لقوة تصبنه وازالة القـــاذورات من الجسد لاحتـوائه على أملاح الكربونات والبيكربونات ٠

(*) A History of Egyptian Mummies ; by Pettigrew, p. 62.

(**) The Temple of Dier El-Bahari, Vol. II, p. 16 (1896).

٤ ـ **شمع العسل** : كان يستخدم فى تغطية الأذنين والعينين والأنف والفم وسد كافة فتحات الجثة وخاصة أعضاء المرأة التناسلية .

٥ ـ **قطران الفحم** : وجد القطران مغطيا لجزء من مومياء يرجع تاريخها الى القرن الثانى عشر ق . م . ومستخرجا من أشجار الأرز أو الصنوبر المجلوب من مدينة بيبلوس الفينيقية وغيرها من بلاد الشام ، واتبع الاغريق هذه الطريقة نقلا عن قدماء المصريين كما هو وارد فى كتابات العلماء الاغريق مثل ثيوفراستوس (القرن الرابع ق.م) ، وديوسقوريدس ، (القرن الأول الميلادى) (*) .

٦ ـ **التوابل** : ذكرها المؤرخ الاغريقى هيرودوت وديودوروس الصقلى فى كتاباتهما ومنها الدار صينى والقرفة وغيرها والمجلوبة الى مصر خلال الأسرة الثامنة عشرة من بلاد بنت (الصومال) (**) .

٧ ـ **القار المعدنى** : كانت كمياتها تجلب غالبا من منطقة ما حول البحر الميت وفينيقيا وتدهن بها المومياوات من بداية الأسرة الرابعة والعشرين وما بعدها (***) .

٨ ـ **الزيوت الصنوبرية** : كانت هناك علاقات اقتصادية قوية تربط ما بين مصر وجيرانها منذ عصور قديمة جدا وكان من

(*) De L'Embaumement avant et apres Jesus-Christ by : L. Reuter, p. 66.

(**) An account of an Egyptian Mummy ; by Osburn, p. 6. (1828).

(***) Histological Studies of Egyptian Mummies ; by M. A. Ruffer, Vol. III, p. 6, (1911).

ضمنها استيراد وجلب خشب الصنوبر ومنتجاته ، وكان من أشهرها زيت السيدار المجلوب من جبال فينيقيا (لبنان حاليا) واستخدم بكثرة فى التحنيط .

٩ ـ **الحنـاء** : كثر استخدام أوراق وزهور نبات الحنـاء فى مصر القديمة وكان يدخل فى صـناعة العديد من المستحضرات التجميلية والعطور وصبغات الشعر وطـلاء الأظافر (ويعد المصريون أول من ابتكر طـلاء الأظافر) وكذلك فى مختلف مراحل التحنيط حيث يستخدم كدهان لتجفيف الجلد وحفظه من الاصابة بالفطريات التى تتسبب فى عفونته وتحلله .

١٠ ـ **العرعر** : وجدت بذور نبات العرعر فى المقابر التى ترجع الى عصور ما قبل التاريخ وكذلك فى مقابر الأسرة الثامنة عشرة وفى القرن الخامس ق.م ، وكان يسـتخدم بكثرة فى مواد الحشو الداخلى للجثة بعد نقعهـا فى ملح النطرون مخلوطـة بالملح .

١١ ـ **نبات الشيبة** : كان هذا النبات يستخدم بكثرة فى الأسرات المتاخرة لحشو الجثث بكميات كبيرة .

١٢ ـ **نبيذ البلح** : كان المصريون أول من اكتشف طريقة التخمر الكحولى وبذلك استطاعوا تحضير شراب الجعة (البيرة) من الشعير أو الأرز والنبيذ من البلح والعنب . وكان نبيذ البلح يستخدم بكثرة كدهان وغسول للسطح الداخلى للأحشـاء وكذلك كمذيب قوى للراتنج المستخدم فى التحنيط (دهانا على الجلد الخارجى للجسد) .

١٣ ـ **الراتنجات** : كانت تسـتخدم بكميـات هائلة فى التحنيط (وكذلك فى عمل الخرز والدهانات مثل الورنيش) كمادة

لاصقة فى شرائح الضمادات التى تلف حول الجسد ، وكانت تستخرج من الاشجار الصنوبرية مثل الميعة وراتنج حلب والمصطكى والسيدار (الأرز) وبلسم مكة والمر وشجر التربنتين وغيرها (*) ·

وبذلك أمكن للعالم أجمع أن يستفيد من طريقة التحنيط عند قدماء المصريين بالآتى :

١ ـ اكتشاف المعلومات المصرية القديمة والخاصة بعلوم الكيمياء والنبات والمواد المستخدمة فى مختلف طرق التحنيط ·

٢ ـ كشف النقاب عن التطور الحضارى العظيم الذى وصل اليه قدماء المصريين فى الجراحة والطب والصيدلة ·

٣ ـ اماطة اللثام عن الكثير من الأمراض التى عانى منها القدماء وطرق علاجها ·

٤ ـ ألقى الضوء على بعض المعتقدات الفرعونية الخاصة بالتقاليد الدينية والجنائزية ·

٥ ـ اظهر بعض الحوادث والجرائم التى بان أثرها على بعض المومياوات ·

٦ ـ اعطى فكرة عن بعض أنواع الغذاء والوجبات التى كانت معروفة عند القدماء ·

٧ ـ القى الضوء على مدى تأثير بعض الحضارات المجاورة لمصر على عقيدة القدماء ·

(*) Ancient Egyptian Materials & Industries, by Lucas, p. 349, (1949).

الفصل الرابع :

القسم الأول :

الزراعة فى مصر القديمة

لم تكن ثروة مصر النباتية منذ أقدم العصور شيئا مذكورا ، فمنذ عصر ما قبل التاريخ كانت تشمل النباتات الطبيعية من أشجار وحشائش ترعاها الماشية والأغنام في شمال الدلتا وكذلك البردى وبعض الحشائش المائيــة التى استخدمها الانســان فى أغراضــه المختلفة •

أما عن الثروة النباتيــة المزروعة فان المصريين القدمــاء قد استطاعوا أن يزرعوا بعض النباتات التى تنمو طبيعية فى الوادى والصحارى المجاورة وعملوا جاهدين على جلب كثير من النبــاتات الأخرى من الخارج وأضافوها تباعا الى ثروتهم وبذلك زادوا من تنوعها وجعلوا من بلادهم أرضا زراعية •

وقد ظهرت الزراعة فى مصر منذ بداية العصر الحجرى الحديث فكانت كشفا جديدا فى حياة الانسان وحضارته • فبعد ان كان مجال الحياة أمامه يكاد ينحصر فى جمع النبات والتقاط الثمار البرية

او فى الصيد والقنص بدأ يزرع الحب ويجنى الحصاد واصبح يعيش بطريقة انتاجية بعد أن كان يعيش على قوت يومه تحت رحمة الطبيعة وما تجود به عليه .

وقد انفردت أرض مصر بميزة خاصة وهى أن فيضان النيل كان يمدها بالطمى والماء كما كان شريانا للمواصلات والترابط بين سكان الوادى .

وقد عرف أهالى مرمدة بنى سلامة (بالصعيد) والفيوم فنون الزراعة فكانوا أول زراع فى التاريخ (٧٠٠٠ ق.م) ويبدو أن القمح والشعير كانا من أقدم الحبوب المزروعة فى وادى النيل ، وكان للكتان والكروم والزيتون شأن يذكر فى تاريخ المدنية والحضارة ، وكانت الدلتا من أوائل المناطق التى عرف الانسان فيها الكروم والزيتون .

كما عرفوا التين والنخيل والجميز والسنط وبعض الخضر والبقول .

وخلاصة القول فان سكان وادى النيل كانوا يجددون ثروتهم النباتية ويضيفون اليها باستمرار ما يزيد من انتاجهم وينوع من محاصيلهم .

وقد سارت حضارة البدارى نحو تقدم ملحوظ وادراك أوسع للحياة الزراعية . فقد اضطر أهل تلك المنطقة الى تجفيف المستنقعات ليكسبوا بعض الأراضى الزراعية حتى يسهل ريها بدلا من الاعتماد على الأمطار التى ادركوا انها لا تكفى لرى الأراضى الصالحة للزراعة .

وهكذا وضعت أسس الزراعة وترعرعت منذ فجر التاريخ حيث تحولت القبائل من الصيد الى الزراعة وأعانهم على ذلك الطبيعة الميسرة والبيئة الصالحة وقد احتلت الزراعة المكان الأول فى حياتهم وأضحت سبيلهم الى العيش .

وقد كانت الزراعة كشفا جديدا فى حياة الانسان وترتب على ذلك انقلاب خطير فى طريق معيشته فاصبح منتجا ومدخرا بعد أن كان مستهلكا فحسب .

وهكذا انتقلت الزراعة من حالة البداوة الى استقرار الحياة فى مصر اذ عاش الناس فى دور ثابتة يجاور بعضها البعض وقامت بذلك القرى والمدن فى الأماكن المرتفعة بعيدا عن فيضان النيل واختلط الناس بعضهم ببعض وظهرت الحاجة الى تنظيم قواعد ذلك الاختلاط ومعرفة واجبات الفرد وحقوقه وخطا القوم أولى الخطوات فى سبيل قيام الحكومة بسن القوانين والخضوع لسلطة مركزية تعمل للصالح العام . كذلك استلزمت الحياة الزراعية وجود وحدة متماسكة لتنظيم مياه النيل للاستفادة منها فى استغلال خيرات الأرض فانتظم المصريون فى جماعات صغيرة فى أول الأمر ثم فى امارات واسعة فيما بعد لم تلبث حتى التأم شملها فتكونت الحكومات المتحدة .

وقد أدى اكتشاف الزراعة الى ازدياد ثروة البلاد وحصول المصريين على محاصيل وفيرة فبدأ الناس يكونون ثروات منقولة عن الحبوب التى تدفقت من الحقول .

النباتات الطبية والعطرية

فى مصر القديمة

تحتوى النباتات الطبية على مواد فعالة ذات قيمة علاجية وقد عرفت استعمالاتها منذ عصر ما قبل التاريخ وكان الانسان الأول له دراية تامة بفوائدها .

ويعتبر المصريون القدماء من أوائل الشعوب اهتماما بها ، فقد كانوا أول من مارس الطب على أسس سليمة ولا تزال كتبهم الطبية تشهد بذلك ٠

وقد استخدموا المراهم والدهون والحبوب والاستنشاق والحقن الشرجية وتعددت وصفاتهم لبعض الأمراض ٠

وكانت النباتات الطبية تنمو فى وادى النيل والصحارى وحدائق المعابد والهياكل وقد عرفوا خواصها وأدركوا مزاياها وفوائد الكثير منها واستخلصوا موادها الفعالة وجلبوا بعضها من البلاد المجاورة ولا تزال تستخدم حتى اليوم فى علاج كثير من الأمراض المعروفة ٠

ولا نعرف عن الطب منذ عصر ما قبل الأسرات الا النزر اليسير ولا يتعدى ذلك ما جاء فى كتب المؤرخين القدامى ٠ فقد ذكر (مانيثون) أن « أثوتيس » ابن الملك « نارمر » (مينا) مؤسس الأسرة الأولى وضع كتابا فى التشريح مما يدل على أن الطب قد وصل الى درجة لا بأس بها من الازدهار ٠ وذكرت القراطيس البردية أن بعض محتوياتها ترجع الى الأسرة الثانية ، كما روى مؤرخو اليونان وأطباؤهم أن المصريين استخدموا النباتات ذات الفائدة فى الطب(*) ٠

وقد ميز المصريون القدماء مهنة الطب عن باقى المهن الأخرى فلم يسمح بمزاولتها الا للكهان الذين كانوا يتلقون الطب فى معاهد خاصة ملحقة بالمعابد تسمى (بيوت الحياة) وحتموا على من يزاولها أن يكون قوى الايمان طاهر القلب حسن السريرة ٠

ولم يسمح للطبيب بمزاولة مهنته الا بعد الحصول على شهادات علمية تثبت جدارته الفنية لهذا العمل ٠ وكان الطبيب يعلق

(*) الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، تأليف وليم نظير ـ القاهرة ١٩٧٠ ٠

خارج منزله شعار الطب (الكوبرا المقدســـة) لما فيها من معنى القـــوة ·

وكان الكهان يعرفون ما لهذه النباتات من مزايا وفوائد لذا فقد استخدموها فى علاج الأمراض المختلفة · وقام العلماء بتمييزها وتعريفها واستعانوا بالنقوش التى عثر عليها على جدران القبور والمعابد والمتون القبطية التى احتفظت بالكثير من أسمائها مما يدل على أن المصريين القدماء قد بلغوا شأوا عظيما فى فن الصـــيدلة والكيميـــاء ·

ويرى العلماء أن كلمة كيمياء مشتقة من الاسم المصرى القديم « كيمى » الذى كانت تسمى به مصر ومعناه الأرض السوداء ، والمقصود به الأرض التى انتزعها النيل من الصحراء الرمليـــة وجعلها بطميه سوداء صالحة للزراعة ·

ويعتبر « امحوتب » ــ ومعنى اسمه (الذى أتى سالما) ــ أشهر الأطباء فى مصر القديمة ويرجع عهده الى الأسرة الثالثة ، وقد خلد اسمه بعد موته وقدسه القوم فى العصر الفارسى واعتبر الها للطب ·

وقد اعتمد المصريون القدماء فى تحنيط جثث الموتى على بعض النباتات كالكتان والحناء ونبيذ البلح ونشارة الخشب وزيت خشب الأرز وثمار العرعر والبصـــل والقرفة وخيار شنبر والمر واللبـــان والصمغ الى جانب ملح النطرون لحفظها من التلف ·

وقام العلماء بفحص البرديات الطبية فحصا دقيقا وظهر ان متونها تعتمد على العلم الى أقصى حد ·

وأشهر البرديات التى وردت فيها بعض الوصفات الطبية هى :

١ – بردية « ايبرس » Ebers Papyrus ويرجع تاريخها الى عهد أمنحتب الأول من عصر الدولة الحديثة • وقد عثر عليها العالم الألمانى « ج • ايبرس » G. Ebers عام ١٨٢٦ بالقرب من طيبة ومحفوظة الآن بمتحف ليبزج وتضم ثمالمائة وسبعا وسبعين وصفة طبية • وتحتوى البردية على وصفات عديدة لأمراض متباينة كل وصفة تحتوى على عدة عقاقير وأمام كل عقار مقداره وفى آخر كل وصفة طريقة استعماله • وتوجد بالبردية حالات تشمل اعراض المرض وطريقة تشخيصه وعلاجه كما وجدت معه كثير من النباتات التى كانت تستخدم فى الطب كالبصل والخشخاش والخروع والصبار والكراوية والمس •

٢ – بردية « هيرست » (Hearst Papyrus) : وقد عثر عليها فى دير البلاص بمصر العليا عام ١٨٩٩ واشتراها (ريزنر) عام ١٩٠١ وأهداها الى جامعة كاليفورنيا بامريكا ويرجع تاريخها الى عهد أمنحتب الأول من عصر الدولة الحديثة وتشتمل على مائتى وستين وصفة طبية •

٣ – بردية برلين (Berlin Papyrus) وقد عثر عليها فى سقارة من عهد رمسيس الثانى من الاسرة التاسعة عشرة وتشتمل على مائتى وأربعين وصفة طبية •

وهاتان البرديتان تحتويان على بعض النباتات التى كانت تستخدم فى علاج كثير من الامراض التى كانت متفشية فى ذلك العهد كالأمراض الباطنية والجلدية والعصبية وأمراض النساء والعيون والقلب والاستسقاء والأورام الدمنية والفتق والتهيد الشريانى والجروح وسقوط الشعر ومنع ابيضاضه •

٤ - بردية «ادوين سميث» (Edwin Smith Papyrus) وقد عثر عليها فى أحد قبور طيبة عام ١٨٦٢ واشتراها ادوين سميث وأهداها الى الجمعية التاريخية بنيويورك وتكاد تكون أهم البرديات الجراحية .

٥ - بردية كاهون (Kahun Papyrus) وقد عثر عليها (بترى) فى اللاهون بالفيوم عام ١٨٨٩ ويرجع تاريخها الى الأسرة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وتختص بالولادة وأمراض النساء وتحتوى على جزء فى الطب البيطرى وبها أربع وثلاثون وصفة طبية .

وقد عنى المصريون بالنباتات الطبية فى العصر الفرعونى عناية فائقة ونقلت اليونان منهم هذا العلم وزرعتها بحدائق الهياكل لعلاج المرضى . وكانت الأمراض تعالج فيها بالتدليك والدهون والحمامات والعقاقير والنباتات الطبية .

ومن أنبغ أطباء الاغريق أبقراط (Hippocrates) (٤٦٠ - ٣٧٧ ق.م) ويعتبر كتابه عن العقاقير النباتية أول كتاب عندهم فى هذا العلم . ومن أشــهر النباتات التى ورد ذكرها فيه الصبار . ولا تزال كثير من طرق « أبقراط » ونظرياته مسلما بها حتى اليوم ويعتبر مؤسس الطب الاغريقى فقد أضفى عليه الروح العلمية وأبدل الخرافات بالتشخيص الواقعى والعلاج الفنى .

ويعد « ثيوفراستس » Theophrastus أبو النبات الاغريقى كما أن الاسكندر المقدونى قد قام بغرس بعض هذه النباتات الطبية عند زيارته لمصر .

وكان « اسكلابيوس » يعتبر الها للطب عند الاغريق ولا تزال شارته « العصا والثعبان » رمزا للمهنة الطبية حتى اليوم .

وقام العالم « ديوســقوريدس » (Dioscorides) فى العصر الرومانى بتأليف موســوعته الرائعة عن العقــاقير النباتية عام ٧٧

ميلادية وتضم نحو خمسمائة نبات طبى وتعتبر هذه الموسوعة أول كتاب من نوعه ظهر فى العالم الهلينستى ٠

وقد عاصره العالم « بلينى » (Pliny) الذى وضع مؤلفا كبيرا عن التاريخ الطبيعى جمع بين دفتيه نحو الألف نبات ٠

وقد تمكن العلماء من معرفة النباتات الطبية المصرية القديمة من النقوش التى عثر عليها على جدران المعابد حيث رسمت أحيانا بجوار أسمائها أو من القبور حيث عثر على بعضها الى جانب المومياوات وانتشر استخدامها فى العصر اليونانى الرومانى ولا يزال الكثير منها يحمل أسماء هيروغليفية ٠ ٠ ٠

وأشهر هذه النباتات : السنط والأثل والصفصاف والبرساء والحور والهجليج والابنوس والمخيط والبلح والدوم والتين والجميز والرمان والعنب والنبق والعرعر والأبهل (العرعر الكبير) والزيتون والصنوبر والبندق واللوز والخس والكرات والشبت والحنظل والقثاء والشعير والكتان والقرطم والخروع واللوتس الأزرق والأحمر (البشنين) والياسمين والريحان والغار والنعناع الأخضر والحمص والفول والترمس والجليان والحلبة والحناء والكركم وكف مريم وحبة البركة (الحبة السوداء) وجوزة الطيب والداتورة (حشيشة الساحر أو الشيطان) والخلة والنيلة والعفص والزعفران والخروب والخردل الأبيض والأسود والخشخاش (أبو النوم) والقرنفل والسكران والبرئوف وحب العزيز والسعد والعرقسوس والصبار والزعتر وفراخ أم على وورعرع أيوب وخيار شنبر والمرو والمر والشيبة والفلفل الأسود والحرجل وبصل الفار والحبة الغالية (البان) والبابونج (الأقحوان) ولسان الحمل وستماليكا والهدال والشريان (النبع) ولبخ الجبل وليخنيس (ورد السماء) وعنب الديب وحصى لبان (اكليل الجبل) والعشار والقرفة والكزبرة والكراويا والشمر والكمون وغيرها ٠

واهتم المصريون بالنبات والحيوان وزرعوا الخضر والبقول والفاكهة وربوا الماشية والطيور وصادوا الأسماك وتعرفوا على الفوائد العلاجية التي فيها فوصفوها لمرضاهم ·

وقد سجل ناظر زراعة محصول حديقة فاكهة تابعة لمعبد رمسيس الثاني (١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ ق·م) فقال : « ان أشجارها أخرجت ١٠٠٠ قفة من فاكهة الرمان ، ١٠٠٠٠ قفة من العنب » · وقال في موضع آخر : « انه حصل على مقدار ٣٢٥ لترا من النبيذ ، ٢٥٠٠ لتر من عصير الرمان ، ٢٥٠٠ لتر من شراب يقال له (موت) » ·

وجاء ببرديه هاريس ذكر لمقدار « ١٥٥٠٠ قفة من الرمان للمائدة ، ١٢٤٠ قفة من الرمان لأغراض أخرى ، ٣١٠ زلعة زيتون » وجاء في نفس البردية أنه جمع ما مقداره ١٣٥٢ كيلا كبيرا من الزيتون لاستخراج الزيت منه ·

وهذه المقادير تشير الى عناية القوم بالمحصول النباتي ·

وآثار ما قبل حكم رمسيس الثاني (١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ ق·م) مليئة برسوم العنب ، أما مقابر سقارة (الأسرة الخامسة ٢٥٦٠ ـ ٢٤٢٠ ق·م ·) فغنية برسوم الجميز والبلح والدوم والتين ·

وقد قسم المصريون حدائقهم عدة أقسام تفصلها مماش تظللها الأشجار وترويها قناة تابعة من النيل وتتوسط الحدائق منازل جميلة وعلى يمين ويسار الداخل حجرات البواب ومستخدمي الحدائق ودار الضيافة ، وأما عرش الكرم فممتدة بطول الحديقة وعرضها ، وأما المقاعد فعديدة · وتحف الحديقة من داخل سورها أشجار النخيل والدوم ، وبالحديقة حياض مياه ومن السهل التعرف على شجر الرمان والتين بين رسوم الأشجار ·

وصف المصرى النبات بدقة فقال عن الزعفران(*) (سنوت)

(*) الطب المصرى القديم · دكتور حسن كمال ـ ج ١ ، ٢ ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ·

انه لبات يزحف على بصلته (أى بطنه) مثل نبـات (قلقت) وزهره كزهر اللوتس الى أن تظهر أوراقه (أى أن زهره يخرج قبل ورقه) مثل (خت بز) ٠

ووصفت قرون السنامكي بأنها تشبه قرون فول كريت ٠

ولم يقل اهتمام المصرى بالحيوان عن اهتمامه بالنبات ، فكانت قطعان الماشية كبيرة وتربية الطيور عديدة وحظى السمك بعنايتهم لذلك كانت ثروتهم الحيوانية عظيمة ، وتعرفوا على الفوائد العلاجية لأجزاء الحيوانات فوصفوها لمرضاهم ٠ أما المعادن فنقبوا عنها فى المناجم من أقــدم الأزمنة وعرفوا الكثير من خصائصهـا الطبية فاستعملوها علاجا وطهورا وحنوطا ٠

وعليه فالعقاقير المصرية القديمة ثلاث فئات : نباتية وحيوانية ومعدنية ، والتعرف عليها لا يعنى ان ما ورد نهائى فما أكثر اختلاف الآراء فيها ، فهناك نبات اسمه بالمصرية (ميمى) قال عنه ابل ويونكهير انه الخلة وقال عنه فريزنسكى انه الدوم وقال عنه (كايمر) انه كمون حبشى وقال عنه جرابو انه القمح أما (ليففر) فقد أشار من طرف خفى الى الذرة ٠

وهناك لفظ مصرى (ظرت) قال عنه (دوسن) انه يعنى الحنظل وقال لوريه انه يعنى الخروب أو الخرنوب وقال (ليك) انه ربما يعنى القرع والحنظل أما (ابل) فاكتفى بذكر اللفظ المصرى فقط و (جرابو) قال انه يعنى الحنظل ٠

هذان مثالان لتضارب الآراء بين العلماء وليس لدينا الا وسيلتان يستعان بهما على فهم المدلول هما أولا الخصـائص الطبية للعقـار وفائدتها فى العــلاج وثانيا المقارنة اللغوية بين المصرية والقبطية والعبرية والعربية ٠

وقال أحمد كمال باشا ان لفظ (ظرت) المصرى هو (العبراية) العربى وهو الحنظل ٠

الاسم العربى	الاسم الانجليزى	الاسم المصرى القديم
ابنوس	Ebony	هبن
آس	Myrtle	خت أوس
اسل	Rush	سوت
اهجليج	Balanitis	باق
انيسون	Anise	انست ؟
بابونج	Chamomile	———
بان	Moringa	تجم
بردى	Papyrus	ها٠شو
برسيم حلو	Sweet Trefoil	عفا
بسلة	Pea	تحوى
بشنين ٠ لوتس	Lotus	صشن
بصل	Onion	حز او وظ
بصل عنصل	Squill	———
بطم	Pistacia terebinthus	عارو
بطيخ	Water Melon	بدوكا
بقدونس	Parsley	ماتت
بلح	Date	بنر
بلسم مكة ٠ بلسان	Balm of Mecca	خسايت
شعير	Barley	آنى
شمر	Fennel	بسبس
القانت ـ شنجار	Alkanet	نستيو

الاسم العربى	الاسم الانجليزى	الاسم المصرى القديم
شـبيه	Absinthium arborescens	شـنايت
صـبر	Aloe	خت عـوا
صـمغ ابيض	White Gum	بايت حز
صـمغ نشـادرى	Gum Ammoniacum	نحـدت
صفصـاف	Willow	ترت
صـنوبر	Pine	برت شـن
طرفـاء	Tamarisk	ايـام
طلـح	Acacia seyal	تـون
عرعـر	Juniper	او عن
عشـر	Calotropis procera	ارتيـو
عفص	Gall-Nut	عاجوت
كـرم عنب	Vine	يارروت
عود الرقة ، انجـدان	Silphium	شـنفت
غـار	Bay tree	ياعـرت
فاشـرا	Bryony	خسـايت
فجـل	Radish	سـمو ؟
فحـم نبـاتى	Charcoal	ذعبت
فـول مصرى	Egyptian Bean	يوريت،فود
قرفـة	Cinnamon	تشيس
قمـح	Wheat	سـوت
كتـان	Flax	ايات ، مَحى

الاسم العربى	الاسم الانجليزى	الاسم المصرى القديم
كــرات	Leek	ياقت
كرفــس	Celery	مالت
كســبره	Coriander	شاو
كلــخ	Sagapen	جسفن
بنــج	Common henbane	بسـد
بنطاطو • رجـل الأوز	Chenopodium	شوت ظحوتى
تربنتينــة	Terpentine	سفد
تــوت	Mulberry	نحوت ؟
تــين	Fig	دب
ثــوم	Garlic	حتوم • حظ
جــاوى	Benzoin	اهمت
جميز	Sycamore	نهى • نقعوت
حب العـزيز	Rush-nut or Galangle	جيـو
حشيش • قنب	Hemp, Cannabis	شمشمت
حلبــة	Fenugreek	حمايت ؟
حنظــل	Colocynth	ثنيتا • ظرت
خــردل	Mustard	شخت
خــروع	Castor-oil plant	دجم
خــروب	Carob	داروجا
خــس	Lettuce	ابو
خشــخاش	Poppy	شبن

الاسم العربى	الاسم الانجليزى	الاسم المصرى القديم
خلال (خلة)	Ammi	مم
خيار	Cucumber	شسبت
دوم	Dom palm	ماما • مامت
رمان	Pomegranate	انهمان
زعفران	Saffron	سنوت
سرخس	Sory	ساور ؟
سعتر	Thyme	انك ؟
سنامكى	Senna	جنجت
سنط	Acacia nilotica	شندت
شبت	Dill	امست
كمون	Cumin	تبنن
كندر	Incense, Olibanum	نتر • سنتر
لادن	Ladanum	ابرى
لبلاب	Dolic	يوريت ؟
مر	Myrrh	عنتى
مخيط	Sebestan	اشد
من	Manna	اوعح
ميعة	Liquid Storax	نيوبن • حتلو
ناردين	Malabathron, Indian Spikenard	حكنو
نبق	Lote tree	نبس
نعناع	Peppermint	شاتانبو
نيلة	Indigo	درنكن
يبروح	Mandrake	ديدى

ابنـــوس : Diospyros ebenum (Ebony)

(بالمصرية .. « هبنى ») نبات اخشابه صلبة ، وجد فى مقبرة ى بسقارة (الدولة القديمة) أذ كثر استعماله منذ الأسرة الأولى . وكان المصريون القدماء يستخدمون مغليه لعلاج الروماتزم كما استخدم موضعيا لتضييق حدقة العين ولعلاج عتامتها وعلاج مرض « تحمٌ » . أيضا كان يحرق كبخور منتجا رائحة زكية بدون دخان .

ابهل : (العرعر الكبير) : Juniperus sabina

كان يســتخدم زيته قديما ويحذر اذ ان كثيره مقيىء ويحـدث اضطرابا فى الجهاز البولى . أيضا استخدم مع مركبات الزئبق (كالومل) لازالة بعض الزوائد الجلدية (مثل الحسنة) وعلاج فقر الـدم .

اثل : Tamarix articulate

(بالمصرية .. « اسر » و « ايسر » و « ايام » و « ايما ») ورد فى بردية ايبرس لعلاج بعض الأمراض كملين ومقو جنسى وضد الحمى والحروق (توجد فى عقـد الغصـانه مادة التانين القابضـة للجروح) وبعد الختان كما استخدم فى الدباغة والصباغة . ويسيل من الأغصان والأوراق سائل سكرى هو نوع من المن وكان يؤكل طازجا كمغذ لوجود بعض السكريات به وخاصة فى الصيف .

آس : Myrtus communis (Myrtle)

(بالمصرية ·· « خت أوس ») ، وهو نبات دائم الخضرة طيب الرائحة تستخدم ثماره وأوراقه وازهاره ، وتؤكل الثمار خضراء وجافة وهى قابضة وطاردة للغازات المعوية · ورد ضمن دهان لعلاج حمرة البطن وضمن جرعة للصرع ولعلاج حرقة أسفل البطن والمثانة ودهان للصداع ولتنظيم تدفق البول والسعال ولانبات شعر الراس وللشلل ولازالة آلام الرحم ·

اسل : (القش أو السمار) : Juncus maritimus (Rush)

(بالمصرية ·· سوت) ، نبات وصف لعلاج الشلل ·

اهليلج:(اهليلج وهليج وهجليج) Balanitis aegyptiaca (Myrobalan)

(بالمصرية ·· « ايشت » أو « ايشد ») كما يعرف باسم باق · وأنواعه ·· الأصفر والصينى والكابلى والهندى ، وثماره زيتونية الشكل وهى قابضة وملينة · ورد زيت الثمار ضمن دهان وضمن حقنه شرجية ضـــد الالتهاب ولعلاج القراع ولايقاف نزف الجروح وللرسغ المتألم كمسكن موضعى وضمن حقنة شرجية لعلاج السيلان ولعلاج الأذن الملتهبة وكحقنة شرجية لمنع النزف الرحمى وموضعيا كدهان لمنع لدغ البعوض ولعلاج التهابات الشرج كحقنة شرجية ولعـــلاج النزلة المعدية والمعوية وللدوســنتاريا واحتقان المثـــانة ·

انيســون : (ينســون) : Pimpinella anisum (Anise)

(بالمصرية ·· « ينكون » و « انست ») · منبه معدى ، عطرى ومعرق ومنفث ولذلك يطرد الغازات فيزيل انتفاخ الأمعاء كما يزيل المغص المصاحب للمسهلات · ورد ضمن غسول للفم وكمشروب

لتهدئة الأعصاب • أيضا ورد ضمن وصفة فى بردية هيرست لعلاج الفم ولطرد الغازات • يستخدم لادرار البول والزيت يشفى السعال (سواء أكان مغليا أو محلولا كحوليا) كما يحسن نكهة بعض الأدوية ولادرار اللبن •

بابونج : (شيح)

(أ) نوع ألمانى Matricaria chamomilla (Chamomile)

(ب) نوع رومانى Anthemis nobilis

الأزهار مرة ، ورد ضمن علاج موضعى ضد الجرب والقروح الجلدية • شرب منقوع الأزهار (أو مغليها) لعلاج اضطرابات المعدة ومخفض للحمى ومقو ومسكن ومنشط للهضم ، كما يشفى التهاب العيون ويزيل احتقانها دهانا أو قطرة وأيضا يدخل فى صناعة العطــور •

بان (يســار) : Moringa aptera

(بالمصرية •• « نبق » و « نجم ») - شجرة طيبة الرائحة والثمار منشورية بها بذور تشبه البندق الصغير تسمى حب البان أو جوز البان أو الحبة الغالية وتحتوى على زيت - ورد البان ضمن وصفة لقتل ثعبان البطن • مغلى الأوراق يستخدم كملين (أيضـا القلف والثمار الغضة وتسمى البلح الهراد) • والزيت يستخدم كمســكن دهانا وضــد القراع وضــمن حقنة شرجية للالتهابات وللدوسنتاريا • كذلك يدخل فى صناعة العطور •

بردى : (خوص أو قرطاس) : Cyperus papyrus (Egyptian sedge)

(بالمصرية •• « ها » و « دجاما » و « ثبو ») •

صنع منه قديما الحصير أو الاكيـاب والورق المسـتخدم فى

الكتابة وكان دقيق النبات يستخدم كغذاء • ورد ضمن وصفة لعلاج تقرحات العين وكضماد للحروق •

برســـاء : Mimusops schimeri

(بالمصرية •• « شوب » و « شواب ») الثمار حلوة واستخلصت لعلاج آلام الأسنان ولعلاج اضطرابات المعدة •

برسيم حلو : (اكليل الملك ـ حندقوق ـ نفل ـ بلقـة الفلاحة)
Melilotus officinalis

(بالمصرية ••• « عفا ») • وهو نوعان •• بستانى يؤكل وآخر يرعى • تكتسب الأزهار الجافة رائحة قوية مقبولة • ورد ضمن وصفة كضماد لتليين الركبة وكضماد لانماء الشعر وموضعيا للقروح وكضماد للركبة المتيبسة ولطرد ثعبان البطن والدودة الشريطية ولطرد الصديد من البطن وتليين المفاصل وضـد الصرع وقابض للنزيف ولتقوية السمع •

برنـــوف : Conyza dioscorides

نبات مسكن واستخدم كدهان لعلاج الجروح وعصيره مقو للأسنان ورائحته طاردة للهوام (اذ وضع النبات داخل المنزل) •

بســـلة : Pisum sativum (Sweet peas)

(بالمصرية •• « تحوى ») • عثر على مقدار كبير من بذور البسلة فى مقبرة بهواره وفى هرم دهشور فى اللاهون من الأسرة ١٢ (٢٠٠٠ ـ ١٧٩٠ ق•م) • وهو نبات غذائى ببذوره دقيق سكرى وله طعم مقبول • وصف ضمن دهان للشلل الخفيف وضمادا

للركبة المتيبسة ومسكنا لآلام القدمين وللذبحة الصدرية ولالتهاب الزائدة الدودية ولتليين الأعضاء وضد مرض الاسقربوط وكحقنة مهبلية لمنع النزيف وضمن لبخة لعلاج عقدة ليمفاوية متقيحة وضد ثعبان البطن وموضعيا كدهان أو مرهم لالتهاب الاصابع ·

بشنين : (عرايس النيل – لوتس أبيض)
Nymphaea lotus (Water lilly)

(بالمصرية ·· « سشن ») نبات دائي تتفتح أزهاره اذا طلعت الشمس وتنغلق اذا غربت ، وكان يعالج به العقم وشربا كمسكن · وصفت زهوره لعلاج البول الدموي ضمن دهان مسكن ، كما وصفت أوراقه لعلاج سقوط الشعر ولعلاج الكبد داخليا وضمن حقنة شرجية لالتهاب المثانة ·

بصـــــل : Allium cepa (Onions)

(بالمصرية ·· « بصر » و « بصرو » و « بدجر » و « هدج » و « حظو ») · تحتوى البصلات زيتا طيـــارا نفاذا وهو المسبب لحرافتها · وصف لعلاج الربو ولطرد ثعبان البطن وضمن لبخة لعلاج الخراج ومسكن للصرع ولتبريد الأوعية ولتليين الوعاء المسمى « شوت » ، كما يشفى الكحة ومنشط للقلب ومدر للبول وفاتح للشهية كما كان يدخل ضمن مواد التحنيط ·

بصل العنصل : (بصل الفار) : Scilla maritima (Squill)

قاتل للفئران اذا أكلته ، استعملت بصيلاته المجففة ضمن وصفة لعلاج الجرب والحكة ومقو للقلب ومدر للبول في حالات الاستسقاء ومنفث في النزلات الشعبية والسعال الديكي (ويحضر منه خلاصة سائلة وشراب بخل وصبغة) ·

بطم : (الحبة الخضراء) : Pistacia terebinthus (Terebinth)

(بالمصرية ·· « عارو » والزيت سمى « سفط ») · نبات شجرى تؤكل البذور ويستخرج منها زيت وصف ضمن علاج لطرد الدودة الشريطية ولعلاج البول المدمم والحمى ومسهل ومسكن ·

بطيخ : (قاوون الماء او خربز) Citrullus vulgaris (Water melon)

(بالمصرية ·· « بدوكا ») · نبات زاحف ثماره لبية مائية ذات عصارة غزيرة ، وصف كمقو جنسى ولازالة التهاب الشرج · ورسم البطيخ ملونا بالأخضر على الآثار وكذلك الشمام ملونا بالأصفر · وأكثر المصريون من زراعته ووجدت رسوم له فى تابوت الكاهن نبنسى وكانت أوراقه تكسو المومياء وعثر على بذوره فى مقبرة مصرية قديمة · واستخدمت البذور لعلاج ارتفاع ضغط الدم وعصير الجذور لقبض النزيف ومقو جنسى ·

بقدونس : Petroselinum sativum (Parsley)

(بالمصرية ·· « ماتت » وأحيانا كان يطلق أيضا على الكرفس) · تستخدم معظم أجزاء النبات وعصير النبات خافض للحرارة ومدر للطمث فى حالة عسره وانقطاعه ، كما تستخدم البذور لطرد الغازات وادرار البول ·

بلح : (نخيل مصرى) : Phoenix dactylifera (Date palm tree)

(بالمصرية ·· « بنر » و « عضيره » « بنيز » والنخلة « ايما » والليف « تنو » ، أيضا كان البلح يسمى ·· « برتز » و « قونذ »

و « بنريت » و « بنرت » و « امت ») • وقد ورد رسم النخيل فى العديد من المقابر المصرية وعثر على نوى البلح فى مناطق ترجع الى العصر الحجرى الحديث • كما صنع المصريون أعمدة معبدى ساحورع وادفو على هيئة النخيل وزينوا الحدائق بهذا النبات ووجد مرسوما على صحيفة قبر وصنعوا منه عسلا سموه « انى – تت – نبر » ، وأكلوا الثمر غضا وجافا ومسكرا فى عسل وعجوة وصنعوا منه نبيذا وهو أصل مشروب العرقى • كما ورد ذكر البلح فى الوصفات الطبية كملين ومدر للبول (فى ١٤ وصفة ببردية هيرست) كما نسبوا للنخيل وثمره ٣٦٠ فائدة واستخدم لعلاج أمراض المثانة والمعدة والأمعاء وكذلك مسحوق الثمار •

بلسـان : (لســان اسرائيل) :
Conium Opobalsamum (Balm of Mecca)

(بالمصرية •• « سنن » و « خسايت ») ولكنه يظن انه نبات آخر هو الفاشرا (Bryonia dioica) (وأحيانا يظن ان سنن تعنى بلسم أو صمغ شجرة البلسم أو بلسم مكة) • والبلسان راتنج صمغى يستخرج من ساق الشجرة الصغيرة ، وورد ذكره فى وصفات لعلاج الحمى ومسحوقه ذرورا كمطهر للجروح وللفم واللثة ، وضمادا مسكن للألم وضد الكتاراكتا وظفرة العين ولتحسين الأبصار •

بنج : (بنج اسود – سيكران – سم الفراخ)
Hyoscyamus niger (Henbane)

(بالمصرية •• « بسذ ») • استخدمت الأوراق بعد تجفيفها كمنوم ومسكن ومخدر ومضاد للتشنج والتقلصات ومزيل لآلام الأسنان ومنقوع الأوراق فى الزيت مسكن دهانا ولعلاج الشلل

الاحتزازى · ووصف لعلاج المغص الناتج من ثعبان البطن وهو مزيل للحمى ومقو جنسى ومسكن موضعى ·

بنـــدق : Corylus avellana

(بالمصرية ·· « خانن ») · وكان يؤكل بكثرة ·

بنطافو : (رجل الأوز ـ رغل) Potentilla reptans (Five leaf)

وهو أنواع منها :

١ ـ رجل الأوز الديدانى : يوجد زيت طيار بالبذور (زيت الكينوبوديوم) وهو طارد للديدان ·

٢ ـ رجل الأوز المريع (العنبرية) : ويشرب مثل الشاى كمقو معـــدى ·

٣ ـ رجل الأوز المنتنى : (الزربيح ـ فساء الكلاب) وبالمصرية ·· « شوت طحوتى » · وصف لقتل الدودة الشريطية ولعلاج الشلل النصفى ولتصلب الأعضاء ولعلاج التهاب اللثة وضمن مضمضة ضد الشلل وللنزلة المعدية ·

تربنتينة : (شجرة البطم ـ سفلد)
Pistacia terebinthus (Terpentine)

(وبالمصرية ·· « سنتتر ») · وصف ضد الدودة الشريطية وللديدان الخيطية ومنفث فى النزلات الصـــدرية ومخفض للحرارة وضمن دهان للحيرة وضد القراع ، ومسكن لآلام اللومباجو ولإزالة إنتفاخ البطن فى الحميات ·

ترمـــس : Lupinus termis

(بالمصرية .. وبالقبطية « فول ـ هاف ») .

فاتح للشهية أكلا لبذوره ويشفى احتباس البـــول ومفتت للحصوة ويستخدم مسحوق البذور لعلاج بعض الأمراض الجلدية (مثل حب الشباب وغيرها) وقاتل للديدان المعوية .

توت : (بالمصرية .. « تحوت »)

يوجد منه نوعان :

١ ـ الأســــود : Morus nigra (Black mulberry)

(ويسمى الرومى أو فرصاد) : الثمار حمضية وقابضة قليلا ويحضر من عصيرها شراب مبرد فى الحميات وغرغرة ملطفة فى الذبحة الصدرية وشرابه يستخدم لحوسا للأطفال كمرطب للحلق . والجذور مسهلة وطاردة للديدان . استخدم عصيره الأحمر للصباغة وكان نادرا غرســه الا أن بعض ثماره وجدت فى مقابر هوارة ، واستخدم العصير فى علاج البول المدمم ولتبريد المعدة وللسعال .

٢ ـ الأبيض : Morus alba (White mulberry)

ويعرف بالشامى وكان أصليا فى مصر بينما الأســــود كان يســـتورد .

تين : Ficus carica (Fig tree)

(بالمصرية .. « تون » و « دب » و « نوهى ـ نت داب » والثمرة « دأب ») .

كانت ثماره تؤكل رطبة وجافة وقد ورد التين مرسوما على موائد الموتى ضمن القرابين ، واستعمل كنبيذ ووجدت الثمار بالمقابر . استخدم التين كملين ولعلاج الكبد ومسكن لعلاج الرئة والمثانة ولعلاج

البول المدمم . وتعسل منه لزقات على الصدر لعلاج الرئة وتزلات البرد والتهابات الفم والحلق كما كان مغلى الثمـــار يشرب لاذابة حصى الكلى . وتستخدم المادة اللبنية التى تسيل من ساق الشجر كملين وطارد لديدان المعدة . كما صنع من الثمار شراب ملطف أيام الرعامســة .

ثـــوم : Allium sativum (Garlic)

(بالمصرية .. « حتوم » و « حتتوم » و « ميكات » و « ساجن » و « حظو » ، وكان يطلق أيضا أحيانا على البصل) .

والبصيلات تحتوى على زيت ذى رائحة نفـاذة قوية مهيجة ومسيلة للدموع وهو منبه معدى ومخفض للحرارة ومطهر للنزلات المعوية ومنفث فى السعال الديكى والربو وطارد للغازات ويستخدم خارجيا كمحمر للجلد ويزيل عين السمكة كيا ويشفى داء الثعلبة دلكا ويشفى الصمم قطورا . واستخرج قدماء المصريين دهنا منه سمى بدهن الثوم (عرف بعد ذلك باسم دهن الرهبان) وكان يعالج به التهابات الشرج. كذلك وصف الثوم كعلاج موضعى ضد لدغ الحشرات والتهابات الجلد وقابض للنزيف ومطهر ، واستخدم لعلاج الجرب . وذكر فى وصفتين فى برديتى كاهون وكارلسبرج لمعرفة المرأة ان كانت تلد أو عقيما ، وكان عمال الهـرم الاكبر ياكلون البصـــل والثوم كمغذ ومطهر عام . كما أن الزيت يزيل التعفن الجلدى .

جـــاوى : Styrax benzoin (Benzoin)

(بالمصرية .. « اصمت » وتعنى الراتنج أو البلسم) .

نبـــات شـــجرى يســيل من قلفه راتنج عطرى هو الجاوى ويستعمل كمنفث ومنبه وقابض للنزف ومسكن للســعال وقابض

لافرازات الأنف وكاستنشاق فى النزلات الشعبية والتهاب الحلق ومطهر للجروح ومحلوله الكحولى المخفف بالماء ملطف للبشرة · ورد ضمن حقنة شرجية لحرقان البول ويحرق كبخور معطر للجو ·

جلبـــان : Lathyrus sativus

(بالمصرية ·· وبالقبطية « بى ـ حوف ») ·

جميز : Ficus sycamorus

(بالمصرية ·· « نوهى » و « نهت » و « نهى » و « نقعوت ») ·

كان الجميز مقدسا عند قدماء المصريين خاصة فى الوجه البحرى ويعد من أقدم أشجار مصر وأشهرها وسميت مصر باسم نهى ، ورسمت الشجرة على الجدران والمعبودات نوت وحاتحور ونايت خارجة منها ، كما يظن أن أوزيريس قد دفن فى تابوت من خشب الجميز · وهذه الشجرة المصرية الأصل وجدت ثمارها الجافة فى بعض المقابر كما وجدت سلال مملوءة بالثمار والأوراق فى توابيت الموتى · ومن الخشب صنعت التوابيت والأثاث والتماثيل ورسمت الأشجار على جدران المقابر · (منها تلك فى مقابر بنى حسن من الأسرة ١٢ حيث رسمت طرق جنى الثمار بواسطة القردة) · ووردت وصفات طبية بها الجميز كمســـهل وملين وضد التهاب اللثة وضـــد مرض الاسقربوط ·

وعرف العصير باسم « ارت » واستخدم لعلاج الأمراض الجلدية مثل الصدفية وللنزلات المعدية · كما عولجت أمراض الكبد بثمار الجميز فى حين استخدمت المادة اللبنية التى تسيل من لحاء الشجرة لعلاج البثور وبعض الأمراض الجلدية كما انه منبه للمعدة ومطهر للنزلات المعوية وطارد للغازات المعوية وضد الجرب ·

جـوز الطيب : Myristica fragrans (Nutmeg)

ذكر فى بردية هيرســت لتنشيط الافرازات المعــوية والدورة الدموية ومقو جنسى .

حب العزيز : (حب الزلم) :
Cyperus esculentus (Edible galangale)

(بالمصرية .. « زلو » و « جاو » و « جايو » و « جيو » كما سميت الدرنات باسم « باكا » .

استخدمت الدرنات كغذاء سكرى وبالبذور زيت يعصر حلو الطعم وهو ملطف دهانا ومسكن لالتهابات الثدى . عرف النبات منذ عصر ما قبل التاريخ وعثر على الثمار فى قبور البدارى ونجع الدير منذ العصر الحجرى الحديث وفى ابيدوس بالأسرة الأولى ، كما عثر على درناته فى أحـد قبور العساسيف من الدولة الوسطى وأيضا على سلال صغيرة من الحلفاء بها ثمار حب العزيز فى أحد قبور المستجدة وفى قبرآنى بالجبلين من الأسرة الحادية عشرة . أيضا عثر على ثماره ودرناته فى قبور دير المدينة والدير البحرى بطيبة من الدولة الحديثة وفى كوم أوشيم من العصر الرومانى وفى الشيخ عبادة من العصر القبطى . وصف حب العزيز لطرد ثعبان البطن ولعلاج الكتاراكتا ودهانا للاكزيما الرطبة وضد تقرحات الجلد وضمن دهان للحمى وضد البول المدمم (البلهارسيا) ولعلاج التهاب الرحم . كما كان المصريون القدماء يأكلون ثماره كفاكهة ويسلقونها ثم يضيفونها الى جعة الشعير لتقليل مرارتها واعطائها مذاقا حلوا . والنبات مقو ومسكن للصداع ولالتهابات المعدة والأمعاء .

حبة البركة (الحبة السوداء) : Nigella sativa (Black cumin)

كان زيتهـــا يستخدم لعلاج السعال والربو وضيق التنفس وأمراض الصدر ولتنشيط الدورة الدموية ومقوجنسي ٠

حرجـــل : Solenostemma argel

بالثمار زيت عطرى ومغلى النبات ملين قوى ٠

حصى لبان : Rosmarinus officinalis (Rosemary)

(بالمصرية ٠٠ « نكباتا ») ٠ استخدم زيت النبـات لتسكين المغص وطرد غازات الأمعاء ٠

حنظـــل : Citrulls colocynthis (Colocynth)

(بالمصرية ٠٠ « ظرت » و « شنيتا » و « دوسن ») ٠

نبات شديد المرارة وتعرف الثمار باسم التفاح المر ويستخدم لب الثمـــار والبذور كمسهل شديد اذ يزيد من الافرازات المعوية المخاطية (تحمص ثفل البذور وتستخدم كالبن كما تؤكل البذور كالخبز) ٠ ويشفى الحنظل الحمى والتهابات الشرج بالفم وضد الاستسقاء والتهابات العيون (التراكوما) ومنشط للكبد ومسحوقه يشفى قروح الجلد دلكا ومضمضة لالتهاب اللسان وحقنة للسيلان ، ومجهض لبوسا مهبليا اذ يقبض الرحم بقوة أو حقنة مهبلية ، ويشفى الحروق دهانا وضمن لبخة لعلاج خراج الثدى أو خراج الأصبع ٠ ولب الثمـــار ملين ويشـفى مرض الصفراء والتهابات الجهـــاز البولى والروماتزم والحمى والتهاب الجلد ٠

حلبـــة : Trigonella foenum-graecum (Fenugreek)

(بالمصرية ٠٠ « حمايت » و « عر » و « حنب ») ٠

بذور الحلبة شديدة الرائحة وكثيرة المرارة كما يخلط دقيق البذور مع الذرة فى عمـــل الخبز وفى عمـــل الضمادات ، ويؤكل النبات أخضر مثل السريس ٠ ورد فى بردية ادوين سميث وصفة من الحلبة لازالة تجاعيد الوجه ، كما أن زيت البذور مقو ومدر للبن (كثر استخدامه مخلوطا بالخبز فى العصر الاغريقى ـ الرومانى بمصر) ٠ كذلك وصف لعلاج التهابات الثدى موضـــعيا ولاحداث اجهاض للحوامل كما أخذ بالفم لعلاج التهاب الزائدة الدودية وقابض للاسهال ولعلاج شيب الشعر وضد الصرع ٠ أما مغلى البذور فيشرب كملين وفاتح للشهية ٠ أيضا ورد فى بردية ادوين سميث ان مشروب بذور الحلبة المغلية أو بعد تحميصها وطحنها واضافة بعض الزيوت الطيارة اليها كان يقدم كمشروب للضيافة ٠ أيضـــا مغلى الحلبة يشفى السعال والربو وضيق التنفس ٠

حمص : Cicer arietinum

(بالمصرية ٠٠ « حنبت » و « ارشا ») ٠

البذور مدرة للبول والطمث ومنقوعها ملين ومنق للدم وتدخل فى علاج الكبد والكلى وتنشيطهما ويشفى المراريج والقروح والجرب (مع العسل) ويكسب الطعام نكهة طيبة ، أيضا قابض ويزيل عسر الهضم والتخمة والامساك ٠ تستخدم الجذور لعلاج مرض الصفراء ، وتشفى البذور المحمصة التهابات الرئة ٠

حنـــاء : Lawsonia inermis (Henna)

(بالمصرية ٠٠ « بوقو ») ٠

استخدمت الأوراق كمادة قابضـــة لالتئام الجروح فى حين

استعملت الأزهار والأوراق فى تخضيب الايدى والأقدام والشعر ، واستعمل منقوع مسحوق الأوراق مع الخل كملطف لالتهابات القدم ، وأيضـا استعمل منقـوع الأوراق فى علاج أمراض الكبد والطحال وأمراض الجلد المستعصية وفى حالات الصداع الشديد المتسبب عن إرتفاع فى ضغط الدم ٠ (بالأوراق مادة تنبه القلب وضرباته ومادة اخرى تسبب ارتخاء العضــلات الرخوة فتوســع الشرايين وبالتالى ينخفض الضغط) ٠

حـــور : Populus alba

(بالمصرية ٠٠ « حاور » و « حورو ») ٠

الثمار تستخدم لعلاج الروماتزم والتهاب الكلى والمثانة وكمدر للبول كما يستخرج منه دهن مهدىء للأعصاب ٠

خبيزة : Malva sylvestris

(بالمصرية ٠٠ « خبازى » و « شبيزى ») ٠

الأوراق تســتخدم فى عمل لبخات لعــلاج التهابات المثانة وكملطف وملين أما الأزهار فتستعمل ضد البرد والسعال والزكام ٠

خردل :

وهو نوعان :

١ ــ خردل أبيض : Sinapis alba (White mustard)

(بالمصرية ٠٠ « سخت ») ٠

٢ ــ خردل اســود : Sinapis nigra (Black mustard)

(بالمصرية ٠٠ « شبخت ») ٠

يحضر من بذورهما زيت ثابت يدهن به الجلد فيحمره (أى يجذب الدم للسطح) وهو مضاد للتهيج وكمقيىء ويستخدم الزيت لازالة المغص والآلام العصبية والروماتزمية ومنبه ومدر للعاب ويفيد فى الذبحة الصدرية · والخردل الأسود أفضل طبيا لأن زيته حريف أكثر ، وتعمل منه حمامات نصفية لعلاج انقطاع الطمث وحمامات قدم فى نزلات البرد · ورد فى البرديات الطبية ضمن مسهل بالفم وللذبحة الصدرية ·

خـــروع : Ricinus communis (Castor oil plant)

(بالمصرية ·· « دقم » و « دجم » والزيت اسمه « كاكا » و « قاقا » ·

- نبات شجرى وأوراقه ذات خمسة فصوص فى شكل راحة اليد وثماره تحتوى على لوزة زيتية وعند عصرها يخرج منها زيت مسهل، وعصيره ملطف ويشفى التهابات العين · كما يستعمل كملين وفى حالات عسر الهضم والجروح المتقيحة وللصلع كدهان للشعر ومنظف للأمعاء ومطهر لها ، والزيت مسهل لائق للأطفال · ووردت وصفة رقم ٢٥١ ببردية ايبرس جاء فيها :

: « قائمة بفوائد الخروع وجدت بكتاب قديم خاص بالأشياء النافعة للانسان » ·· اذا دهكت قشور ثمرة فى ماء ووضعت على الرأس المصاب شفى حالا كأنه لم يتألم ، واذا مضغ بعض بذره نبيره شخص مصاب بامساك طرد البراز من جسم هذا الشخص · وينمو شعر المرأة بتأثير بذره ، ادعك البذور كتلة واحدة ، امزجه بالشحم ، اجعل المرأة تدهن به رأسها · ومن بذره يستخرج زيت ، اذا دهنت به القروح التى تفرز الرازا نتنا شفيت كأنها لم تكن ، ستختفى اذا دهنت به لمدة عشرة أيام ، ادهن القروح مبكرا فى الصباح اذا أردت ان تزيلها ، هذا علاج حقيقى تأكد ملايين المرات » ·

وكان المصريون القدماء يتداوون بفاكهة الخروع (برت) أو (اشدت) وبأوراقه (كما ذكر فى بردية اللوفر وصفة رقم ٤٦) وبجذوره وزيته • كما استخدموا الخروع كملين ولطرد العفونة المعوية وضمن ضماد للحمرة ولمنع ادرار الدموع وضد الفراع • وقد عثر على أوراق الخروع وازهاره بالبدارى • كما اعتادوا ان يمضغوا الأوراق مع البوظة (أى عرفوا ان زيته أكثر ذوبانا فى الكحول من الماء) • كما وصفت الأوراق والزهور لادرار البول وازالة الارتشاح (كما فى بردية هيرست) وأيضا فى وصفات موضعية لعلاج الشرج •

خروب : (خرنوب) : Ceratonia siliqua (Carob)

(بالمصرية : « جاروتا » و « داروجا » و « داجارودج » و « واح ») •

نبات شجرى ثماره قرنية تحوى بذورا يحيط بها لب سكرى حامض مغذ ملين ومرطب كالعناب والتمر الهندى ، (واستعمله العرب فى النزلات الشعبية وفى الحميات الصفراوية) • واستعمله المصريون القدماء لعلاج بعض أمراض النساء ولالتهاب الشرج ومقويا للقلب وضمن حقنة للشرج • أيضا تستخدم الثمار لطرد الديدان المعوية وتحسين طعم الأدوية ، والنبات مدر للبول ومزيل للثاليل ومنق للدم ومطهر للمعدة ويخمر للحصول على نوع من النبيذ ويفيد فى بعض حالات البرد والنزلات الصدرية ولعلاج أمراض النساء وكشراب مرطب وملين •

خس : Lactuca sativa (Lettuce)

(بالمصرية : « عب » و « عبو » و « ايو »)

كان يستخرج من بذوره زيت يستخدم فى الطعام والطب

والتدليك وتقوية الجسم لذلك اتخذ المصريون القدماء من الخس رمزا للمعبود « مين » اله التناسل ٠ وورد في بردية ايبرس الطبية ثلاث عشرة مرة استعمل فيها الخس ، كما كان يدخل في تركيب بعض العقاقير الطبية لعلاج آلام الجنب ونزلات البرد والتخمة وقاتل للديدان ومنبت للشعر ومدر للبول ويشفى التهابات العين ٠ كما يمتاز بخاصية التحليل والتلطيف وبه فيتامين (هـ) الذى يفيد فى بعض حالات العجز الجنسى ٠

والخس نبات مغذ سهل الهضم مبرد وتؤكل أوراقه كسلاطة كما تعصر بذوره وينتج منها زيت مقبول الطعم (زيت الخس) ٠ وتسيل من الخس البرى من فروعه وسوقه عصارة لبنية حريفة مرة ذات رائحة مهوعة (لاكتوكاريوم) وهى مدرة للبول ٠ استعمله المصريون القدماء مسكنا موضعيا لالتهاب الأصبع (فى بردية هيرست) ومسكنا للحرق (فى بردية لندن) ٠ كما وجد مرسوما بجوار المعبود مين كمنبه جنسى ٠

خشخاش : (ابو النوم) : Papaver somniferum (Poppy)

(بالمصرية ٠٠ « شرين ») ٠

تستعمل الثمار (تسمى بالمحافظ) ويستخرج منها الأفيون (العصارة التى تسيل من الشقوق التى تشرط دائرية) ٠ ومنه الخشخاش الأبيض الذى تؤكل بذوره دون ان تعصر ونوع اسود تعصر بذوره ويحصل منه على زيت شبيه بزيت الزيتون ويسمى بالمصرية القديمة « خا » او « خايت » ٠ والافيون يستخدم طبيا ويؤثر فى الجهاز العصبى كمنبه ثم كمهبط ومخدر لتسكين الآلام ، والكثير منه سام ويبطىء النبض والتنفس ويحدث ادرارا لعرق بارد ثم غيبوبة ٠ وكانت المرأة المصرية القديمة تقدم الخشخاش لزوجها

كمخدر فى النواحى الجنسية (سمى نبات الحب) ، كما استعملت بذور الخشخاش لطرد غازات الأمعاء • أيضا تصنع مطبوخات لازالة أوجاع الأمعاء والآلام العصبية وكمادات للعين وغرغرة لازالة آلام الأسنان (ولم يعرف المصريون القدماء طريقة تشريط الثمار وجمع عصيرها المتساقط) • والأفيـــون المستخرج من نبات الخشخاش Papaver somniferum كانت له أهميـــة اقتصادية فى العصر الاغريقى – الرومانى كما كان الخشخاش متوطنا فى مصر القديمة (حســب ما ذكره ديوسقوريدس وبلينى ومن قبله ثيوفراستوس وسرابيون) واستمر استخدام الخشخاش والأفيـون طوال العصر الاسلامى (حسب رواية عبد اللطيف البغدادى وابن البيطار وابن التميمى) وكان مشهورا بكثرة فى مدينة أبو تيج بالصعيد • أيضا ذكر الخشخاش فى البرديات الطبيـــة الاغريقيـة مثـــل زينـون وأوكسيرنكوس ، كما ورد فى بردية بترى رقم ٣ • كذلك رسم الخشخاش على الفخار فى العصر الاغريقى – الرومانى وورد ذكره فى بردية شاسبتاه (القـرن ٩ – ١٠ م) اذ تضمنت بعض وصـفاتها الأفيون وفوائده •

ويعد الخشخاش الأحمر Papaver rhoeas أقدم من ابو النوم (Papaver somniferum) وكان معروفا جدا فى مصر القديمة (وقد وردت فوائد الخشخاش فى بردية ادوين سميث وهو أى النوع الأحمر غير سام ولا يحوى مادة المورفين) • وقد عثر فى مقابر الفيوم على بذور من الخشخاش الأحمر (أو الخشخاش المنثور أو الخشخاش المصرى أو رمان السحال) (ومعنى rhoeas أى السائل) • وقد رسم الخشخاش على أرضيات المنازل فى مصر القديمة كما عثر على زهوره مع مومياوات ملكية •

وقد ورد الأفيون (شبن) ضمن دهان وكذلك مسحوق وضمن علاج للفم (خاصة للطفل كثير البكاء يؤخذ بالفم) •

خلة (خـــلال) : Ammi Visnaga (Tooth-pick)

(بالمصرية .. « مم ») .

نبات تستخدم بذوره (وخشيزك بالفارسية المعربة اى طارد الدود) كمحلل للرياح ومسكن للمغص ومدر للبول ومفتت وطارد للحصوات ، كما تســـتخدم أعناق الزهور المركبة الجافة الخيمية كمسكن للأسنان . ومادة الخللين الموجودة فى البذور ترخى العضلات اللاارادية فتتمدد الأوعية الدموية والبولية وتستخدم لازالة آلام الذبحة الصدرية والمغص الكلوى والكبدى اذ يســاعد على مرور الحصوات البولية فيقل الألم . (وقد ورد اســـم الخلة فى بردية ايبرس) كما يدر البول بسبب توسيع الحالب . أيضا وصف الخلة ضمن دهان وضد الحمى وتمدد المعدة وتضخم الطحال والســعال وقشر الرأس ولحشو السن المسوسة وضد الشلل وموضعيا (فى بردية هيرست) وضد التهاب المثانة .

خيــــار : Cucumis sativus (Cucumber)

(بالمصرية .. « شسيت ») .

نبات زاحف ثماره رقيقة الجلد ملساء (بعكس القثاء ذات الجلد الوبرى الخشن) كما ان كليهما يحوى بذورا يحيط بها لب . وقد وصفت الثمــــار للقلب بينما وصفت الأوراق للحمى والشلل النصفى الأيسر ولازالة التهاب الشرج .

خيـــار شنبر : Cassia fistula

يستخدم لب الثمار كملين خفيف وشراب مرطب ويضاف الى

اوراق السنامكى لاكسابها مذاقا حلوا ·

داتورة : (حشيشة الساحر او الشيطان) :

Datura strammonium

كانت النســـاء في مصر القديمة يقدمن ازهارها لازواجهن لاستعمالها في الأغراض الجنسية · فالأوراق والبذور لها مفعـول مخدر ويؤثر فى الأعصاب ويسبب الدوار وارتخاء العضلات وتبلدا فى الاحساس مع اتساع فى انسان العين مما يؤثر على النظر ويزيد من سرعة النبض وافراز العرق فيحس الانســـان بالعطش · كما يستخدم محروق الأوراق كدخان للاستنشاق لعلاج الربو الا أن استخدامه بكثرة يسبب الهذيان وجفاف الحلق وصعوبة فى البلع والرغبـــة فى القىء وفى التبـول المســتمر وبرودة فى الأطـراف قد يعقبه الموت ·

دوم : (نخيل برى) : Hyphoena thobacia (Doum palm)

(بالمصرية ·· « مامت » و « ماما » و « مم » والثمار اسمها « كوكو ») ·

نبات شجرى عظيم الارتفاع قد يعمر نحو مائة عام وثماره فى حجم البرتقالة ويؤكل لبها الاسفنجى كما ينقع فى الماء مع التمر ويؤكل كمرطب · بالثـــار نواه فى حجم بيضة الدجاجة وتصنع منها المسابح كما تستعمل النواه كوقود لسرعة قابليتها للاشتعال · وورد الدوم باسم مم فى بردية هيرست لتلطيف الأوعية (مع أن هذا الاسم قد يعنى الحنطة أو الخلة) · أيضا ورد فى بردية هيرست ان الدوم يزيل حرقة المثانة ولتثبيت السن ويشفى البول المدمم ولتبريد كسور العظام ··

وقد عثر على ثمار الدوم بكثرة فى مقابر الأسرة ١٢ فى منطقة اللاهون بالفيوم وكان الدوم يقدم قربانا ويؤكل هشا وحشفا وعجينا كما صنعوا من ورقه حصرا ونعال واتخذوا من جذوعه أعمدة طويلة يحلون بها معابدهم وأكثروا من رسمه على جدران آثارهم بجوار النخيل كما أكثروا من زراعته فى حدائقهم · أيضا كان الدوم مقدسا عندهم ووردت عبارة فى بردية سالير تقول « ·· ايتها الدومة الشاهقة البالغة ستين ذراعا المحملة بالنقل ذى النوى الذى يحوى داخله الماء » ·

رجلـــه : Portulaca oleracea

(بالمصرية ·· « مخمخاى » و « متموتم ») ·

استخدمت بذورها فى علاج الاسهال وطرد الديدان وضـد مرض البلاجرا ·

زعرع ايـوب : Pulcaria arabica

استخدم فى هيئة لبخات لعلاج الرضوض والكسور وبعض الأمراض الجلدية ·

رمـــان : Punica granatum (Pomegranate)

(بالمصريـــة ·· « رمن » و « انهمن » و « ارهمـــانى » و « منيت ») ·

نبات شجيرى قشور ثماره قابضة (بها تانين) وتستخدم فى الدباغة ، وعصير الثمار شراب مرطب ومبرد فى حين ان قشور الجذور

طاردة للديدان · وقد ورد رسم قديم لشجرة الرمان بمقبرة فى تل العمارنة (أيام اخناتون ١٣٧٥ ـ ١٣٥٨ ق·م) وأيضا فى بعض مقابر طيبة · وورد فى بردية السطاسى ان مجموع ما جمع من الرمان من الحدائق هو ملو ٠٠٠ر١٠ قفه (دليل كثرة زراعة أشجاره) كما عثر فى القبور على الكثير من ثماره · وقد أكل المصريون القدماء ثمار الرمان وصنعوا منها شرابا اسمه « شدو » وذكروه دائما مع النبيذ ، كما ذكرت بعض رسوم جدران معابد رمسيس الثانى ان محصول بساتينه شملت العنب والرمان وثلاثة أنواع من الشراب هى النبيذ العذب (أى عصير العنب) والنبيذ المعتاد وشراب الرمان (١٣٩٢ ـ ١٢٢٥ ق·م) · أيضا ورد فى بردية ايبرس الطبية أن عصير الرمان ومغلى قشوره الجافة كانت تستخدم لعلاج الاسهال وقتل الدودة الوحيدة (الشريطية) · كما ان قشر الثمار كان يعالج به الجرب والجدرى · وورد فى بردية ايبرس وصفة طبية لمستحلب مصنوع من جذور الرمان وأخرى من قشور الثمار لطرد الديدان المعوية (ثعبان البطن) وذلك شربا بالفم · وقد عرف القدماء ان مادته الفعالة تذوب أكثر فى الكحول عن الماء فاضافوه الى البيرة (البوظة) · (المقات ويسمى الرمان البرى ويشرب مطبوخه فى اللبن أو الماء للنقهاء وللنفساء) ·

ريحـــان : Ocimum basilicum (Basil)

(بالمصرية ·· (ست) و « شامو ») ·

استعملت عصارة أوراقه لعلاج أمراض الأذن ومغلى بذوره كمهدىء ولازالة حرقه البول ومخفض للحمى ومدر للبول ·

زعفــران : Crocus sativus (Saffron)

(بالمصرية ·· « ماتى » و « سنوت ») ·

والاسم العربى معرب من العبرية ومعناه الأصفر · وتستعمل أطراف أعضاء التأنيث بالزهور · وقد جاء فى بردية ايبرس وصفة ٢٩٤ : « ٠٠ هذا النبات يزحف على بطنه مثل نبات « قدت » وزهره كزهر اللوتس الى ان تظهر الأوراق مثل « خت بز » ، لذا يبحث عنه ويدلك به العجز » · كما ورد فى بردية هيرست وصفة بالفم لعلاج الدودة الشريطية ودهانا للروماتزم · أيضا استخدم فى صناعة العطور وتلوين الطعام وفتح الشهية ومهضما كما كانت ترش به المعابد لاكسابها رائحة عطرية ·

زيتـــون : Olea europea (olives)

(بالمصرية ٠٠ «زنتو» و «جتتو» و «باق» و «دجارى») ·

كانت الثمار تعصر ويستخرج منها الزيت ويدخل فى الطعام فيزيد من نسبة تجلط الدم (لمن يشكو من سرعة النزف وبطء تجلطه) كما ينشط الكبد ويفتت حصى المرارة ويقوى الشعر ·

ســتماليكا : Conyza aurita

وجدت أغصان هذا النبات فى أحد قبور طيبة من عصر ما قبل الاسرات وأيضا فى كوم أوشيم من العصر الاغريقى ـ الرومانى ولم يعثر على وصفه طبية له ·

سرخس :

له عدة أنواع منها :

١ ـ سرخس ذكر : Dryopteris filix-mas (Male fern)

تحتوى سوقه الأرضية على زيت طيار وزيت ثابت أخضر طارد للديدان وخاصة الشريطية (الوحيدة) ولا يؤخذ مع زيت الخروع لأنه يسهل امتصاص زيت السرخس السام ٠

٢ ـ سرخس انثى :

خواصه اقل من النوع السابق ٠

٣ ـ سرخس جاوا : (بالهندية ٠٠ بنجاوار) : خواصه كالصوفان ٠

٤ ـ سرخس ذهبى (حشيشة الطحال) ٠

٥ ـ سرخس ملوكى :

(بالمصرية ٠٠ « ساور ») ٠

وصف لتنظيم البول ومسهلا وطاردا للدودة الشريطية وضد الحمرة (انثراكس) ضمن مرهم وضد الربو وضمن ضماد للعين لعلاج القرحة بها وللقراع ولطرد دودة « فند » وضد البول الدموى (البلهارسيا) وضد لدغة العقرب وضمن ضماد للأصبع الملتهب (بردية هيرست) ٠ أيضا كانت تحشى به المراتب للأطفال ذوى الكساح ٠

سعتر : (زعتر) : Thymus vulgaris (Thyme)

(بالمصرية ٠٠ « دجاتا » و « ماتى » و « انك ») ٠

نبات من التوابل تستخدم أوراقه وزهوره وتحضر منها مطبوخات وغسولات ومنقوعات وطارد للديدان (فى بردية ايبرس) وللدودة الشريطية ومخفض للحمى وضد البول المدمم وحقنة شرجية

منه لحرقة الأمعاء وضمن جرعة للذبحة الصدرية ولالتهاب المعدة وضد ضعف السمع . أيضا يستخدم منقوع السعتر كمقو ويشفى زيته الربو ونزلات البرد وطارد للديدان ويعمل منه محلول مطهر لغسل الأنف والفم كما يدخل فى تركيب محاليل للأسنان وضد التشنج .

ســــعد : Cyperus longus

(بالمصرية .. « آرو » و « الو ») .

نبات مثلث الشكل ينمو فى أراضى الجزر الرملية والمناطق الرطبة وله رائحة عطرية وتستخدم درناته كمعطر ومغليها مدر للبول ويشفى الروماتزم . استخدم فى تحنيط المومياوات كما عثر على بذوره فى قبور عصر ما قبل الأسرات .

ســــكران : Hyoscyamus muticus

(بالمصرية .. « كتى ») .

استخدم كمسكن للآلام العصبية الناتجة من الاضطرابات فى المخ والعمود الفقرى ومزيل للمغص الناشىء من تناول المسهلات الشديدة ، وتدخن أوراقه كالسجائر لعلاج الربو وتحرق أوراقه المجففة وبذوره ويستنشق دخانها لتسكين السعال وآلام الجهاز التنفسى وآلام الأسنان ومنوم فى حالة الأرق ويوسع حدقة العين .

سنامكى : (سنا) : Cassia acutifolia

(بالمصرية .. « جنجنت ») .

نبات متعلد . الأنواع منه المصرى والعربى والهندى وتستعمل ثماره وأوراقه . ويعد منقوعها من المسهلات الفعالة وتزيل الامساك

العادى (مغليه يفسد خواصه) كما تضاف اليه مواد تزيل المغص المصاحب له (وقد ورد ضمن وصفات فى بردية ايبرس) ·

سنط : (شجرة الصمغ) : (Gum Arabic) Acacia vera

· (بالمصرية ·· « شندو » و « شنت » و « شندت » · الصمغ اسماً « كامى ») ·

نبات شجرى موطنه أعالى النيل والسنغال والهند ، وتسيل من جذوعه مادة صمغية (الصمغ العربى) وتعرف الثمار باسم القرظ (أو القرض) وتعصر فيخرج منها عصير الاقاقيا واستخدم منذ القدم كقابض للنزيف وفى علاج ارماد العين · أيضا تستخدم الثمار وقلف الشجرة كقابض للاسهال (بها تانين وحمض الجاليك) ، كما يستخدم مسحوق الثمار الجافة لعلاج السعال والنزلات الصدرية شربا لمغليها ومخفض للحمى ولعلاج البرص · كما وصف عصير ثمار السنط لطرد ثعابين البطن وعلاج البواسير والصرع والبلهارسيا ·

وقد حرف الاغريق اسم الصمغ « كامى » الى خومى Xommi وبالفرنسية Gomme وبالانجليزية Gum · وأحسن أنواعه الصمغ المصرى ويستخرج من شجر السنط واستخدم فى تلطيف برد الصدر وسعاله وفى التحنيط والدباغة وصناعة العطور والدهون كمادة مثبتة وفى لصق اللفائف الكتانيــة المستخدمة فى تكفين المومياوات (كما فى لفائف وجه احدى المومياوات من الأسرة ٢٠ وأيضا فى قطعة من القماش المشبع بالصمغ على وجه مومياء الملك أمنحتب الثالث) · والصمغ الأبيض (بالمصرية بايت حز) وصف لازالة عفونة الأمعاء وقابض للاسهال ويشفى السعال ·

أيضا وصف عصير ثمار السنط بالفم لعلاج التهاب العنق وضد الصرع والسعال وكمضمضة لالتهاب اللسان والتهاب الأذن وموضعيا

لالتهاب الغدة النكفية وكحقنة مهبلية للاجهاض وضد التهاب المهبل ولقبض الرحم وضمن لبخة لالتهاب غدد العنق وضمن حقنة شرجية لالتهاب المثانة والشرج • وقد وصف السنط ٢٠ مرة فى بردية هيرست منها ١٧ وصفة ضمن عجين أو لبخة للعلاج الموضعى واخرى ضد الاسهال • (ولكن اذا أخذت كمية كبيرة من السنط فانه يسبب اسهالا) • كما وردت بنفس البردية وصفة لتلطيف تهيج الأمعاء بالسنط ووصفة موضعية لازالة الالم وأخرى لايقاف النزيف وكمسهل ومسكن موضعى لالتهاب الأصبع •

شـــبت : Anethum graveolens (Dill)

(بالمصريـــة •• « اميس » و « امس » و « امســـت » و « بسبس ») •

نبات من الخضر ويستعمل كتابل خاصة بذوره • وهو مقو معدى وللقلب وطارد للغازات ويشفى الفواق (الزغطة) ويستخدم أيضا زيت البذور الطيار •

وقد ورد فى بردية هيرست ان ضماده مسكن وضد الجرب ولتسكين الألم أو تليين عضلات الكتف ويشفى التهاب اللثة والأسنان وبعض أوعية الساق •

كما كان قدماء الاغريق يضعونه على رؤوسهم فى هيئة أكاليل لاتقاء الأمراض •

شريان : (نبع) : Grewia tenax

عثر عليه فى قبر توت عنخ آمون بطيبـة ولم يعرف فوائد طبية له •

شــعير : Hordeum vulgare (Barley)

(بالمصرية ·· « آتى » و « ايت » و « ايتى ») ·

نبات حشيشى تستعمل بذوره كغذاء وسيقانه كعلف · وتحضر من الحبوب مغليات مبردة ومدرة للبول وتصنع من حبوبه المستنبتة الجعة العـذبة (البوظة أو البيرة) والتى كان المصريون القـدماء يشربونها · واستعملوا مسحوق الشعير ضمن مرهم أو لبخة لعلاج الاكزيما الرطبة والهبرية (قشر الشعر) وضد الانسكاب الدموى ، وضمن لبخة وأيضا منشط ومقو للجسم · وكان الطبيب الاغريقى ابقراط يصنع من حبوب الشعير مطبوخات كغذاء لمرضاه وعلاجا ملطفا فى الحميات والالتهابات ·

شــمر : Foeniculum vulgare (Fennel)

(بالمصرية ·· « شــمر » و « شــمازن » و « حاؤت » و « بسبس ») ·

نبات كالينسون ، يستعمل كمنبه معدى عطرى · وقد ورد فى بردية هيرست ضمن مسكن عام ضد الصرع بالفم وضمن لبوس لالتهاب الشرج (أيضا ورد فى بردية ايبرس) ·

وتستخدم الثمار مغلية لطرد غازات الأمعاء وهو مسكن للمغص ويفيد فى نزلات البرد ومحسن لطعم بعض المشروبات (به زيت طيار حلو يدخل أيضا فى صنع العطور) ·

شنجار : (حميرا ـ حنا الغول) : Alkanna tinctoria (Alkanet)

(بالمصرية ·· « نستيو ») ·

بجذور النبات مادة صابغة حمراء وصفت ضد مرض الحمرة ·

شيبة : (دقن الشيخ)
Evernia furfuracea (Ligneous wormwood)

(بالمصرية ‥ « شناب » و « شنايت » و « شنابت ») ٠

نبات شجيري أوراقه بيضاء ويستعمل بخورا مطهرا وللوقاية من العثة بين الثياب ٠

وقد عثر على كميات منه في توابيت من الأسرة ٢٢ ٠ ويستخدم مغلي العشبة ضد الحميات ومقويا ومنشطا وطاردا للديدان لكن كثيره مجهض ٠

صـــبار : Aloe vera (Aloes)

(بالمصرية ‥ الصبر هو « خت » و « عوا » و « قاصا » و « خت عوا ») ٠

نبات ذو أوراق عريضة كثيفة لحمية تسيل منها بفعل شقها بسكين عصارة اسمها الصبر ، وهي مقوية مرة وملينة وكثيرها مسهل (يؤثر على الأمعاء الغليظة) ، مدر للطمث في حالة عسره ومدر للصفراء كما يستخدم مسحوقه ذرورا قابضا للجروح ٠ أيضا تنبه عصارة المعدة وتزيد من عملية الهضم كما ورد في وصفة لعلاج تقرح العينين ٠ ولب الأوراق الطازجة تشـــفي الحروق والجرب وطارد للديدان بالفم ٠

صمغ نوشـــادري : Dorima ammoniacum (Gum ammoniac)

(بالمصرية ‥ « نحدت ») ٠

نبات شجري تسيل من جذوعه مادة صمغية راتنجية تسمى الفسوخ ، تستخدم كمنبه ومنفث في النزلات الشعبية وضد الربو

خاصة عند الشيوخ · تستخدم كدهان محمر للجلد ومنضج للأورام ·
وقد ورد ضمن ضماد لتلطيف روماتزم الركبة بالفم أو موضعيا
لتليينها وكحقنة مهبلية لعلاج التهاب المهبل ·

صفصاف : (صفصاف أبيض) : Salix alba (Willow)

(بالمصرية ·· « ثرت » و «ترت » و « تر » و « تارى ») ·

شجر أبيض عظيم الارتفاع تستخدم طبيا قشور جذوره الحديثة (به مادة ساليسين) ومغليها مخفض للحمى ولعلاج الروماتزم · وصف ضد العلة وموضعيا لازالة آلام الأسنان كمسكن موضعى ومبرد للأوعية موضعيا (بردية عيرست) · يستخدم أيضا كمطهر ومنشط للكلى (يزيل حرقة البول) ويفيد فى علاج مرض البول السكرى ·

من أنواعه :

١ ــ صفصاف اسود : Salix nigra

يفيد فى علاج بعض الأمراض والاضطرابات التناسلية ·

٢ ــ صفصاف باكى (ام الشعور ــ المستحية) :

يستخدم للزينة ·

صنوبر : Pinus pinea (Pine)

(بالمصرية ·· « برت شن » و « عب ») ·

شجرة جبلية عظيمة الارتفاع فى المناطق الباردة ، يستخرج منها وأتنج وفى بذورها زيت كما يستخدم مسحوقها الجاف كدقيق يؤكل وقت القحط ·

ورد كمسهل وضد الحمى ولخراج الرئة وضد النزف المعدى وللحروق ولازالة رائحة العرق الكريهة وضد البول المنهم (البلهارسيا) (بردية لندن) كما ورد ضمن دهان للشرج كمسكن موضعى (فى بردية هيرست) ٠

والقطران المستخرج من شجرة الصنوبر (Pine tar) يشفى الحروق والفقاقيع الجلدية ضمن ضماد ولتليين المفاصل وللجرب موضعيا ٠

طرفاء : (اثل - عبل) : Tamarix articulata

(بالمصرية ٠٠ « ايام » و « ايما » و « آسر ») ٠

شجر كبير جميل المنظر ينمو فى جبل طور سيناء (يفرز من سيقانه مادة سكرية تعرف بالمن ويسحق ويستخدم كخبز وكان الاسرائيليون وموسى النبى ياكلونه أثناء فرارهم من مصر) ٠ وكانت تصنع القصاع من سيقانه أيضا ٠

والصمغ السكرى مسهل وضد الحمى وضمن ضماد لانماء الشعر ولعلاج الحروق ومقو جنسى ولازالة رائحة العرق كما يشفى عصيره التهاب الأذن أيضا (بردية لندن) ٠

طلح : (سيال) : Acacia seyal

(بالمصرية « تون ») ٠

استخدم صمغه موضعيا ضد الالتهابات ولخراج الثدى ودهانا ضد الحمى وموضعيا لازالة الشيب (فى بردية هيرست) كما ورد بها كمسكن موضعى وضمن دهان للشرج ٠

عرعر : (عرعار) : Juniperus communis (Juniper)

(بالمصرية ٠٠ « عرو » و « عنو » و « اوعن ») ٠

نبات شجيرى ثماره عنابية لبية سكرية بها عصارة زاتنجية ويقطر منها زيت طيـار ، كما تخمر الثمار وينتج عنهـا نوع من المشروبات الكحولية « جن » ، وأيضا يستخدم كمدر للبول • أيضا يستخرج من خشب العرعر زيت الكاد ويستعمل فى علاج بعض الأمراض الجلدية ولعلاج جرب المواشى • وقد ورد ضمن وصـفة قابض للاسهال وطارد للديدان الشريطية وللامعاء وللحمى وللشرج بالفم ، وضمن ضماد مسكن ومدر للبول ومسكن للمعدة وللربو ولعلاج السعال وضماد للرسغ المتألم ومدر للطمث المنقطع (فى بردية لندن) وأيضا ضمن ضماد للشرج وللروماتزم كمسكن موضـعى وللنزلة المعدية •

وصف العرعر المصريون القدماء كمدر للبول ضمن وصفات تختص بالمسالك البولية وازالة الارتشاح ، اذ ذكرت بردية هيرست أكثر من ٢٠ وصفة لادرار البول ولمنع شيب الرأس موضعيا • أيضا استخدم العرعر وزيته فى التحنيط ومسح جثث الموتى به وفى صناعة العطـور •

عشر (عشـار) : Asclepsiac procera

(بالمصرية •• « ارتيو ») •

نبات يستخدم قشره وأوراقه وزهوره وثماره.وعصيرها فى علاج الأمراض • والعصارة لبنية اكالة تستخدم لازالة الشعر (اللبانة المغربية) وبالبذور وبر صوفى خارجها تحشى به الوسائد ، كما يخرج من السيقان سكر على هيئة افرازات ويعرف النبات باسم ترياق السموم • وقد ورد العشر ضمن ضماد لازالة الالتهاب وازالة الأورام فى حين يشرب مغلى قلف الجذور والساق لطرد البلغم ولعلاج الاسـهال ومن الخارج لعـلاج بعض الأمراض الجلدية كالاكزيما

والجذام (وهذه المادة اللبنية سامة ومهيجة للأغشية المخاطية كأغشية العين والفم وتجهضة) .

عرقســـوس : Glycyrrhiza glabra (Liquorice)

نبات تستخدم جذوره كمنقوع ملين خفيف وطارد للبلغم شربا ولازالة آلام الكلى والكبد والمثانة ويشرب المنقوع كمرطب صيفا ويشـــفى النزلات الصـــدرية ويضاف لبعض المشروبات والعقاقير لاكسابها مذاقا حلوا مستساغا .

عفص : Thuja orientalis (Gall nut)

(بالمصرية .. « عاجيت » (وهى النتوءات) و « وام » وهو النبات نفسه .

توجد بالنتوءات مواد صابغة سوداء وتانين وورد ضمن ضماد لازالة رائحة العرق ، ومغليها منشط للبول .

عنب : (كرم) : Vitis vinifera (Vine)

(بالمصرية .. « ياررت » والزبيب اسمه « أونش » . والثمار الطازجة « ارورى » ..

نبات متسلق كثير النفع وتؤكل أوراقه وثماره الغضة تعرف بالحصرم والمجفف بالزبيب ، ويحضر من عصير الحصرم شراب يعالج السمنة الزائدة فى حين تخمر الثمار الطازجة وينتج النبيذ منها . وعصير العنب ملين ومرطب ويفيد فى علاج بعض اضطرابات الكبد (شربا صباحا على الريق) .

وقد زرع المصريون القدماء العنب منذ عصور ما قبل الاسرات ودخل رسم عريشه كحرف فى الخط الهيروغليفى ، كما اعتبر اوزيريس انه الذى نشر زراعة الكروم بمصر وعلم أهلها صناعة النبيذ لذلك اعتبر اله الكروم ورمزوا له بغصن العنب . كما اعتبر المصريون القدماء ان النبيذ يمثل دم الأعداء الذين قهرتهم الآلهة المصرية وقام الاغريق باقتباس صفات أوزيريس وساووه بالههم باخوس اله الخمر ورسموه جالسا تحت عريش العنب . كما اعتاد المصريون القدماء تقديم عناقيد العنب قربانا لأوزيريس فى تمثاله العارى لابسا قلنسوة طويلة مدببة وواضعا احدى أصابعه فى فيه ومتكئا بيده الأخرى على مقدار كبير من العنب يعلوه صل ملكى رافعا رأسه ويعلو رأس أوزيريس قرص الشمس (أى يمثل اله الموتى فى مملكته الزراعية) .

وعثر فى احدى المقابر المصرية القديمة على نوع من العنب الأسود الكبير مختلطا مع أنواع صغيرة على هيئة بذور ، كما عثر على كثير من أوراق العنب بالمقابر تعلو طبقتها الداخلية قشور بيضاء دقيقة . والعنب المصرى منتشر على طول مناطق البحر المتوسط وهو أصل العنب الحديث .

وقد وصف العنب بكثرة فى الوصفات الطبية المصرية حيث وصف فى علاج أمراض النساء ووصف على شكل زبيب لأمراض الصدر وبالفم لعلاج التهاب الشرج ولإبعاد حرقة القلب وانعاش الصدر ، كما وصف الحصرم لازالة التهابات الجلد مثل القروح . أيضا ذكر النبيذ لاذابة بعض العقاقير الموجودة فى النباتات مثل قشر الرمان ، وورد فى بردية هيرست وصفات موضعية كلبخة لعلاج التقيح باستخدام ورق العنب القديم وأيضا لعلاج مرض الصرع « نسيت » .

عنب الـدب : Solanum nigrum

استخدم مغلى هذا النبات لعلاج انتفاخ الكبد والصفراء كما استخدمت أوراقه كمسكن وملطف وعصيرها لعلاج الاستسقاء ظاهريا ولازالة المغص باطنيا وضد آلام الطمث ولعلاج العقم والاجهاض المتكرر وآلام متاعب سن اليأس (يحوى بعض الهرمونات الأنثوية) .

عود الرقة : (انجـدان) : Silphium officinale

(بالمصرية .. « شنفت » .

ورد مسهلا وطاردا للديدان الشريطية وضد الصرع ومسكنا للمعدة وللسعال وللقراع وضد الاكزيما الرطبة موضعيا وضد القيء (في بردية هيرست) وموضعيا لعلاج الحروق (في بردية لندن) . ويحوى ساق النبات سائلا راتنجيا يفيـد في علاج ما لا يقل عن ٦٠ مرضا كما رسمه أهل القيروان على نقودهم .

غار : (غار فاخر ـ غار الشعراء) : Laurus nobilis (Bay tree)

(بالمصرية .. « باعرت » وبالقبطية « اوريتا ») .

نبات شجيري رمز به القدماء للنصر والفخر فكانوا يتوجون به أبطالهم وشعراءهم عند الاغريق كما كانوا ينسبونه لابوللو فأسموه « غار أبولون » . الثمار عطرية وتعصر على الساخن وينتج منه زيت الغار كما يصنع منه مرهم يشفي الروماتزم (وخاصة بيطريا) . والزيت يشفي الجروح والقروح كما ان مغلى النبات منبه وورد ضمن مرهم للصداع ..

فاشرا : (كرمه بيضاء) : Bryonia alba (Bryony)

(بالمصرية ٠٠ « خسـايت » و « كاتا » و « كفـالا » و « خاسيت ») ٠

نبات بجذوره عصارة حريفة مهيجة مسهلة شديدة وكانت تعطى لعلاج الاستسقاء والجنون وفى الحميات الصفراوية والمغص الكبدى ، كما يعصر عنق الجذور وينتج عنه سائل مسهل (ماء الفاشرا) ٠ أيضا وصف للحمى وضمن ضماد وللصرة ولالتهاب المثانة والتهاب الكبد وضـد الحروق والفقاقيع الجلدية ولتيبس الركبة وضمادا للرسغ المتألم ولالتهاب الفم وللذبحة الصدرية وهو مقو جنسى ومسكن موضعى وضد الرعشة والصرع ومسكن بالفم وضد البلهارسيا ومقيىء فى الحمى ومسكن موضعى (فى بردية هيرست) وللحروق (فى بردية لندن) ولعلاج التهاب الشرج بالفم ٠

فجـل : Raphanus vulgaris (Radish)

(بالمصرية ٠٠ « نون » و « نيوبن » « وسمو ») ٠

نبات أخضر تستخدم بذوره وقشره وجذوره وأوراقه ٠ مقو معدل للبول ومدر للبن وتعصر بذوره وينتج عنها زيت الفجل (أو السحيقة) ٠ عصير النبات يشفى الحصوات الصفراوية شربا كما ورد ضمن وصـفة لشفاء ندبات الحروق وضـد مرض البلاجرا والاسقربوط وكمقو جنسى ٠

وجدت رسومات للفجل على معبد الكرنك كما عثر على فجلتين فى احدى مقابر اللاهون (من الدولة الوسطى ٢٠٠٠ــ ١٧٩٠ ق٠م)٠ كما ان عمال الهرم الاكبر كانوا يأكلون الفجل بكثرة ٠٠٠

فحـــم نبـــاتى : Charcoal

وصف ضد الاكزيما ظاهريا وتدليكا لتليين الاعضـــاء (فى برديتى هيرست والرامسيوم) وضـــمادا لعلاج مرض معوى اسمه « تميت » (بردية هيرست) .

فراخ ام على : Anthemis cotula

استخدم زيته كمقو ومضـــاد للتشنج ومدر للطمث وطـــارد للديدان .

فلفل اســـود : Piper nigrum (Black pepper)

(بالمصرية .. « بب » .

استخدمت بذوره فى الطعام كتابل ومنفط ومحمر للجلد وطارد للغـــازات .

فول مصرى (فول الماء ـ نيلوفر جميل) Nymphoea nelumbo

نبات كانت جذوره تؤكل مطبوخة ويصنع من دقيق البذور خبز . زرع قديما فى مصر مع البردى .

فول : (جامشة ـ باقلى) : Vicia faba (Beans)

(بالمصرية .. « فور » و « ويورت » و « اوور » و « وربورا » و « ورو ») .

نبات حشيشى يستخدم كغذاء وعلف وبذوره تشوية وأزهاره زكية الرائحة ويستخرج منها ماء عطرى ، كما يحضر منها منقوع يشرب لعلاج البول السكرى · استخدم المصريون القدماء مسحوق البذور ضمادا مسكنا للركبة المتألمة وضمن لبخة لعلاج الخراج وضمن لبخة لغدة متقيحة وضد الامساك (بردية هيرست) · وعثر على بذور الفول فى مقبره من الأسرة ١٢ (٢٠٠٠ ــ ١٧٨٨ ق٠م) وورد ذكره فى عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ ــ ١١٦٧ ق٠م) فى ايرادات معبد آمون · كما كان الرومان يخلطونه بدقيق القمح زمن القحط ·

قثـــاء : Cucumis sativus var. flexuosus

بالمصرية ·· « قادى » و « شوبى » · تستخدم الثمار كملين ومرطب ·

قرطـم : Carthamus tinctoria

(بالمصرية ·· « تاسى » و « ناس » و « تاستى ») ·

تحوى بذوره على مادة صفراء برتقالية صابغة تدخل فى صناعة مستحضرات التجميل و كملين قوى ، ويصنع من دقيق بذوره لبخة لعلاج الروماتزم والقروح السطحية ، كما تعصر البذور وينتج منها زيت ·

قرفـــة : Cucumis sativus var Flexuosus

(بالمصرية ·· « قات » و « قاد » و « تامى » و « تشبس ») ·

شجيره دائمة الخضرة ذات قشر عطرى وطعم سكرى حار لذاع وبه زيت طيار ·

دخلت الشجيرة مصر مع رحلة حتشبسوت الى بلاد بونت (الصومال) ما بين ١٤٩٥ ـ ١٤٧٥ ق٠م ٠ والقلف منبة عطرى طارد للغازات ومضاد للتشنج وقابض للاسهال ومطهر فى الحميات المعوية وتضاف للأدوية لتعطيرها ٠ كما وردت ضمن وصفة لعلاج الحرق المتعفن ومسكن موضعى (بردية هيرست اذ وردت فى ست وصفات) وأيضا لعلاج الرأس ٠ ويستخدم الزيت كمنبه ومنشط وله رائحـــة زكيـة ومهضم ومقو للقلب كما يدخـل فى عمـل البخـــور ٠

قرنفيــل : Eugenia aromatica (Cloves)

يستخدم النبات خاصة قمه الزهرية لوجود زيت طيار وهو منبه ومسكن ومعطر وطارد للغازات المعوية ٠

قمـــح : Triticum sativum (Wheat)

(بالمصرية ٠٠ «سوء و «سوت» و «بوتى» و «بدت»)

يصنع من بذوره دقيق مغذ (به مواد جلوتينية وبروتينية وسكرية ودهنية وفوسفاتية وغيرها) ٠ كما تستخرج قشور الحبوب (الردة) واستخدمت قديما لعلاج التهاب اللسان ولتليين تيبس الأعضاء وهى ساخنة وهو غذاء للأطفال الضعاف ٠ كما وصف دقيق القمح لبخة موضعية للركبة المتألمة وللسيلان البولى وللنزلة المعدية ٠ وقد وردت وصفة فى بردية هيرست لانماء الشعر تحوى قمحا اسود (به فطر الارجوت) ٠

قنب : (تيل) : Cannabis sativa (Hemp)

نبات يزرع للاستفادة من أليافه فى صنع الحبال وخيوط الاقمشة السميكة ، وتاثيره المخدر ضعيف .

قنب هندى : (حشيش) :
Cannabis sativa var. indica (Indian hemp)

(بالمصرية : « شيمشيمت ») :

يستخدم الراتنج الذى يسيل من الأزهار الانثوية ، كما تنقع الأوراق والقمم الزهرية ورؤوس الثمار للنبات الانثى فى الكحول الساخن ثم يقطر ويبقى الراتنج بعد تبخير الكحول (ويعرف باسم الحشيش) وتعرف البذور باسم الشرانق أو الشهدانج . والحشيش بمقادير صغيرة منبه للأعصاب وللوظائف العقلية وبعدها منوم بينما مقادير كبيرة منه مخدرة وادمانه يسبب الجنون . استخدم كصبغة لعلاج التهاب البواسير والنواسير وازالة آلامها ومسكن للسعال وللاسهال والربو والسعال الديكى والأرق وألم المثانة . وقد ورد ضمن ضماد مسكن لاصبع القدم وضمن حقنه مهبلية لالتهاب الرحم ومسكن موضعى ومسكن لالتهاب الشرج والمثانة ضمن حقنة شرجية ، وموضعيا لتسكين الم العين ودهانا لابعاد الحمى على الجبهة وبخورا لازالة وتخفيف الم البلهارسيا .

كتـان : Linum usitatissimum (Linseed, Flax)

(بالمصرية « محى » و « محو » و « آيات » . كما عرف النسيج باسم « مك » و « معك » : وعرف النبات بالقبطية باسم « ما هى » أيضا .

نبات بذوره زيتية غروية وبالعصر يستخرج منها زيت ثابت (الزيت الحار) . نسج المصريون القدماء ومن بعدهم الاغريق والرومان من خيوط هذا النبات ثيابا رقيقة وسميكة (الى ان زرع القطن) . تحضر من البذور منقوعات ومطبوخات وحقن شرجية وهو ملين لطيف ومدر للبول ومحلل للأورام . يشفى القروح والفقاقيع والاكزيما الرطبة ويزيل الآلام موضعيا ومقو جنسي وقابض للنزيف ومزيل للصلع ومنبت للشعر ومسكن موضعي لالتهاب الاصبع (في بردية هيرست) كما استعمل موضعيا لتشقق الشرج . وتستخدم البذور المحمصة بالفم لعلاج الاسهال والخراريج والقروح وادرار البول وكمقو جنسي .

كراث : (قرط) : Allium porrum (Leek)

(بالمصرية .. « ياقت » و « كرهتا ») .

نبات أخضر تستعمل بصيلاته وأوراقه (النوع الكبير منه يعرف بالكرات ابو شوشة ويؤكل مطبوخا بينما الصغير منه يسمى بالنبطي ويؤكل سلاطة) . عثر على الكرات في بعض المقابر القديمة المصرية ووصف لازالة الضة ومبردا للأوعية (في بردية هيرست) . وشرب مغلي الأوراق يفيد في غسيل المعدة كما تصنع منه اللبخات.

كراوية : Carum carvi (Caraway)

نبات أخضر يستخدم مشروب بذوره المغلية في تخفيف آلام الامعاء وطرد غازاتها وتضاف الى العقاقير لتسكين المغص ، كما يضاف زيتها الى الأدوية لتحسين نكهتها وكمسكن موضعي في حالة سقوط الرحم وتدخل أيضا في صناعة العطور .

كرفس (كرفس الماء ـ كرفس بستانى) :
Apium graveolens (Wild celery)

(بالمصرية ٠٠ « ماتت » ، الكرفس البحرى « ماتت محيت » والبرى « ماتت خاست » ٠

نبات تابل ومن الخضروات وكافة اجزائه عطرية ، ويشرب مغليه كمنبه ومدر للبول وشرب مغلى الثمار طارد للغازات المعوية ومدر للطمث ٠ النوع البستانى منه يدخل كمعطر فى الطعام والسلاطة ٠

عثر على بذور الكرفس فى مقابر قديمة كما وجدت أوراقه وأفرعه ضمن اكليل الكاهن « كنت » بالقرنة بالصعيد ٠ ورد الكرفس ضمن وصفة مرهم لطرد الحمرة وموضعيا لسقوط الرحم ولمنع سلس البول وضد الربو وضد الحروق ولتقوية اللثة وضد الشلل ولالتهاب اللسان وحقنة مهبلية لالتهاب المهبل والرحم وضمن دهان للنزلة المعوية وضد العقم ولضعف السمع ٠

من انواعه :

١ ـ الكرفس البحرى .. Apium dulce

٢ ـ الكرفس البرى Apium petroselinum

كركم : Curcuma longa

وتستخدم الجذور أو مسحوقها لعلاج اليرقات ولادرار البول وفتح الشهية كمنبه فى حالات عسر الهضم الشديد ٠

كزبرة : Coriandrum sativum (Corinader)

(بالمصرية .. « شاو » و « اونشى » و « اونشاو » .

نبات تابل وثماره عطرية لكن فى حالته الرطبة تنبعث منه رائحة كريهة بينما الجاف منه عطرى . يقطر من الثمار زيت طيار والثمار تدخل فى عمل الطعام لاكسابه مذاقا طيبا وطاردة لغازات الأمعاء ومقوية للقلب وللضغط المنخفض كما تضاف للأدوية الملينة لازالة المغص . عثر على بذور الكزبرة فى قبر توت عنخ آمون كما عثر عليها فى بعض المقابر القديمة جدا وذكرت أيضا فى قوائم القربان (مع الكراوية) من عهد الأسرة الخامسة ، كما كانت تدخل فى صناعة النبيذ لتقوية مفعوله المخدر . أيضا دخلت فى عمل الحلوى والمربات .

وصفت الكزبرة لعلاج سقوط الرحم وللأمعاء وازالة البول الدموى وضمن ضماد مسكن وضمن وصفات لعلاج الالتهابات الداخلية ومسكن موضعى للكسور (فى بردية هيرست) . استخدم الاغريق والرومان الكزبرة بدرجة كبيرة كما استعملت فى العصور الوسطى باوروبا كمبرد وقابض (مع الكمون) .

كف مريم : Anastatica hierachununa

(بالمصرية .. « خفو . امع ») .

استخدم لعلاج الحمى .

كلخ : (حلتيت ـ ابو كبير) : Derema asafetida (Asafetida)

(بالمصرية .. « جسفن ») .

نبات شجرى تسيل من جذعه المشقوقة مادة صمغية راتنجية

ذات رائحة قوية وطعمها مر وتستخدم كمسكن للتقلصات والهستريا - ورد ضمن ضماد مسكن وضمن ضماد للعين ولعلاج القراع ٠

كمـــون : Cuminum cyminum (Cumin)

(بالمصرية ٠٠ « تابن » و « تبنن » و « قمنيني » و « جمنيني » و « قمنين ») ٠

ثمار الكمون من التوابل وهى منبهة معدية وطاردة للغازات المعوية كما تخبز مع الخبز ٠ وقد عرف المصريون القدماء فوائد الكمون فى التحليل والترويق والتنظيف ، وورد ضمن مسهل وطارد للديدان الشريطية ومخفض للحمى وضمن مرهم للحروق ومسكن للمعدة وللروماتزم وللسعال والربو ومسكن للرسـغ المتألم وضمن لبخة لخراج الفتق وضد القيء والجرب ٠ كما كانت البذور تطحن ويعمل منها شراب لازالة آلام المعدة ٠

كندر : (بخور ـ دخلة اليهود) : Boswellia carterii (Olibanum) و (Frankincense)

(بالمصرية ٠٠ « سنتر » وهو اسم الراتنج) ٠

شجرة منها نوع هندى وافريقى وتسيل من جذعها عصارة لبنية متى تجمدت كونت لبانا كما ان النقى منه يعرف باللبان الذكر ومادونه يعرف بالانثى ٠ وهو منبه وضمن دهان مسكن للصداع وللروماتزم ودهانا لعلاج الاكزيما وللرسغ المتألم ولازالة تجاعيد الوجه ومهدىء عام بالفم وضمن مضمضة للضان الملتهب ولتثبيت السن ولازالـة رائحة العرق وحقنة مهبلية لالتهاب المهبل ومجهض لبوسا مهبليـا (بردية لندن) ٠

لادن : Cistus ladaniferus (Ladanum)

(بالمصرية ٠٠ « ابر ») ٠

شجرة كثيرة الانتشار بمنطقة البحر المتوسط وتسيل من أوراقها مادة راتنجية فى شكل نقط وهى اللادن وهو صلب جاف قابل للكسر ذو رائحة بلسمية مقبولة وأحيانا كان يجمع بتمشيط لحى الماعز التى ترعى أشجاره ٠ ويستعمل علكا منبها وفى تركيب بعض اللصقات وضمن ضماد مسكن للفتق وضماد للعين ضد التراكوما ومسكنا موضعيا ولمنع سقوط الشعر وموضعيا لضعف السمع ومسكنا لالتهاب الأصبع (فى بردية هيرست) ٠ (ويوجد نوع آخر من اللادن يستخرج من شجرة المبلم Cistus villosum وينمو فى لبنان بينما النوع الأول موطنه كريت واليونان وفلسطين) ٠

لبخ الجبـــل : Cocculus laeba

تستخدم أوراقه ضد سم الثعبان كضماد على العضة كما ان محلول الجذور يفسد السم وتستخدم أوراقه لعلاج الدمامل ٠

لبـــلاب : Dolichus lablab (Dolic)

(بالمصرية ٠٠ « ايوريت ») ٠

نبات متسلق (ويطلق عليه عاشق الشجر أو حبل المساكين أو البقلة الباردة) ٠ ثماره سوداء ذات سرة بيضاء (وهو ما يميزها عن بذور اللوبيا أو الفاصوليا التى لها لون أبيض وسرة سوداء) ٠ واستعمل اللبلاب كدخان لالتهاب الشرج وكحقنة شرجية ٠

لســـان الحمل : Plantago major

(بالمصرية ·· « ريبى ») ·

تستخدم اوراقه وبذوره لعلاج الملاريا والبلهارسيا ·

لوتس ازرق : Nymphaea coerulea

(بالمصرية ·· « سارپت ») ·

يستخدم كمرطب وفى صناعة العطور ·

لوتس احمر : Nelumbium speciosum

(بالمصرية ·· « نخب ») ·

يستخدم كمرطب وفى صناعة العطور ·

لــوز : Prunus amygdala (Almond)

(بالمصرية ·· « نز » و « نزا ») ·

يستخرج من قلب البذور زيت (زيت اللوز) كما يستخرج من النبات سائل لبنى يستخدم كمسكن ومخفض للحميات ولعلاج الالتهابات الرئوية والجهاز البولى والرشح الحاد والتهيج العصبى ويستخدم مغلى قشر الساق لعلاج السعال الديكى · أما منقوع اللوز المر فهو سام ولكنه يستعمل أحيانا بعد غليه للربو وللسعال ·

مر (مر بطارخ ـ تربنتينية) : Balsamodendron myrrha (Myrrh)

(بالمصرية ·· « اهم » و « عنتا » و « عنتو » و « عنتيو ») ·
نبات شجيرى تسيل منه مادة راتنجية صمغية هى المر ·

يستخدم ظاهريا ذرورا لمسحوقه فى التهابات الفم واللثة المتقيحة الملتهبة وفى آلام الأذن وبالفم لطرد البلغم وغسل الأسنان ، وتدخل ثماره فى صنع العطور وفى عمل البخور ٠

جلبت أشجار المر من بلاد بونت (الصومال) فى عهد الملكة حتشبسوت بالاسرة ١٨ ولا تزال جذوره موجودة بحديقة معبدها (الدير البحرى) بالأقصر (كما جلب أيضا اللوز والموالح مثل الليمون والجوز والبندق والخوخ والكمثرى والتفاح) ٠

أيضا ورد المر ضمن مرهم ضد الحمرة والروماتزم وضمن ضماد للعين والتهاباتها وللقراع وللحروق وللورم المتالم ومسكنا لها ولازالة رائحة العرق وضمن دهان للشرج ٠

مـــرو : Maeruà crassifolia

(بالمصرية ٠٠ « مرو ») ٠

لم يعرف له فوائد طبية ٠

مخيط : (السبستان) : Cordia mixa (Sebstan)

(بالمصرية ٠٠ « أشد ») ٠

نبات السبستان ينبت فى مصر وثماره غروية فى حجم النبق وتحوى مادة دبقة (المخيط) وتستعمل فى صيد العصافير ٠ والمخيط ملين ومدر للبول ولعلاج الكبد وللشلل والصرع والصلع ولبوسا مهبليا للاجهاض ومسكن موضعى وللنزلة المعدية ٠ والثمار الغروية تفيد كمقلى فى تسكين السعال والتهابات الصدر والجهاز البولى وكملين لادرار الصفراء بكميات كبيرة ٠

من : (عســــل الندى) : Fraxinus ornus (Manna)

(بالمصرية ٠٠ « أوعم ») ٠

صمغ سكرى تفرزه لحاء شجرة لســـان العصفور المزهرة او الدردار (وهو الغذاء الذى كان بنو اسرائيل يأكلونه فى سيناء أثناء هروبهم من مصر) ٠ ورد فى بردية ايبرس لعلاج قرحة اللثـة ٠

ميعة : (ميعة سائلة) :
Liquidamber orientalis (Liquid storax)

(بالمصرية ٠٠ « نيوبن » و « حذو ») ٠

تسيل من قلف الشجرة مادة راتنجية بلسمية مقبولة الرائحة (تسمى العنبر السائل) ، تستخدم ظاهريا فى علاج بعض الأمراض الجلدية وقاتلة للحشرة الطفيلية كمرهم ٠ وصفت الميعة كحقنــة شرجية ضد التهاب وآلام الشرج كمسكن موضعى ولبوسا مهبليــا كمجهض وضمن حقنة مهبلية لالتهاب المهبل ومسكنا لالتهاب الأصبع (فى بردية هيرست) ٠

أما الميعة اليابسة فتستخرج من نبــات (Storax officinalis) وتدخل فى صناعة العطور ٠

ناردين : (سادج هندى ـ ناردين هندى ـ سنبل هندى)
Valeriana Jatamansi (Malabathron, Nard, Indian spikenard)

(بالمصرية ٠٠ « حنكو ») ٠

تستخدم سوقه الارضية لرائحتها العطرية ، ورد فى بردية ايبرس ضمن حقنة مهبلية لسرطان الرحم ٠

نبـــق : Zizyphus spina-christi

(بالمصرية ٠٠ « نبس ») ٠

النبق هو اسم ثمرة شجرة السدر ، والثمار الرطبة حلوة الطعم والجاف منها تعطى علفا للابل (النوع البرى منه يسمى الضال) ٠ الثمار يصـــنع من مسحوقهـــا اغذية مقوية كما يحضر منها مطبوخ قابض للاسهال ووصف ضد الصرع ولعلاج الكبد وكمســكن موضعى (بردية هيرست) ٠

الشجر يعمر لمائة عام ولكنه سريع التلف والتسوس ولذا تجفف وتعطن فى الماء قبل استعمالها ، وقد عثر على الثمار فى القبور المصرية القديمة بكثرة ومنهـــا مقبرة اللاهون بالفيـــوم وكان يقدم قربانا للموتى وصنع منه خبز لذيذ الطعم كما اتخذوا منه مقابض للمراوح (كان بالنوبة مدينة تسمى « بى نبس » لكثرة ثمار النبق وشجره بها) ، كما عثر بمقبرة توت عنخ آمون على ٣٦ سلة بها نبق ٠

استخدمت أوراق السدر فى عمل لبخات لعلاج بعض الأمراض الجلدية كما كان مشروبه منقوعا يشفى الأمراض الصدرية ، وفى بردية ايبرس وردت وصفات بها نبق كمسكن موضعى وضد الصرع وعلاج الكبد وتورم الثدى ، أيضا أكل النبق يعطر الفم ٠

نعنـــاع فلفلى : Mentha piperita (Peppermint)

(بالمصرية ٠٠ « اجاى » و « نجبـــاتا » و « لكبـــالنا » و « شاتابنو ») ٠

كل أجزاء النبات عطرية وذات رائحة نفاذة وطعم حار لذاع ، ويقطر من الأزهار زيت طيار وماء معطر ويستخدم كمنبه معدى ومطهر ومسكن وطارد للغازات ومعطر للأدوية ويفيد ضد المغص والانتفاخ عند الأطفال ويحمر الجلد دهانا ·

نعناع أخضر : (نعناع بلدى) Mentha viridis (Speramint)

(بالمصرية ·· « اميسى » و « شاتانيو ») ·

نبات أجزاؤه عطرية وبها زيت طيار ويستخدم فى علاج الزكام وهو منبه معدى ومسكن موضعى ومطهر كما يضاف الى العقاقير الطبية لتحسين رائحتها ويدخل فى صنع العطور ·

نيلـــة : Indigofera tinctoria (Indigo)

(بالمصرية ·· « دنكون » و « درنكن ») ·

نبات صبغى تستخدم أوراقه (وتسمى الوسمة) بعد تخميرها للحصول على مادة زرقاء سوداء داكنة تدخل فى الصباغة · تستخدم الأوراق شربا لمنقوعها لعلاج السعال والسعال الديكى ويستخرج منها الصـــبغة ·

من أنواعــه :

١ ــ نيلة برية : يستخرج من الأوراق صبغة سوداء مثل النيلة العـادية ·

٢ ــ نيلة صيفى : تستخرج من أوراقها مادة صابغة تدخل فى صنع أقلام التلوين ·

هـــدال : Cocculus hirsutus

نبات لم تعرف فوائده الطبية · عثر عليه فى مقبرة توت عنخ آمون بطيبة ·

ورد السماء (لخنيس) : Lychnis colci-rosa

يستخدم لعلاج القروح وقابض للنزيف وضد مرض الكلب ·

ياســمين : Jasminum sambac

(بالمصرية ·· « ياسمون ») ·

استخدمت زهوره فى صنع العطور ·

يبروح : Mandragora officinalis (Mandrake)

(بالمصرية ·· « ديدى ») ·

اشتق اسم يبروح من السريانية ومعناه « عاوز روح » (اذ ان جذور النبات توجد على شكل آدميين متعانقين تنقصهما الروح) · وتسمى الثمار باللفاح او تفاح الجن · تستخدم طبيا الأوراق والجذور واستخدمها قدماء المصريين كمخدر فى الجراحات وسار على دربهم الاغريق حيث أكثر ابقراط وجالينوس من استعمالها · وصف اليبروح لعلاج المعدة ومسكنا لآلامها وضمن ضماد لمرض « تميت » وضمن مسكن للأصبع ومسكن موضعى (فى بردية هيرست) ...

اسفلت : **Asphalt**

(بالمصرية « مرحت دوت ») ٠

يسمى « زيت صخرى » (من البترول) ، وصف كطارد للدودة الشريطية ٠

جبس : **Gypsum**

(بالمصرية ٠٠ « يسن » و « امرو ») ٠

وصف لدرن العمود الفقرى بالفم وضمن لبخة لفتح الدمامل ولتجفيف صديد الدمل ولتليين المفاصل المتيبسة وللغدة الدرقية بالعنق ٠

خل : **Vinegar**

وصف ضد الحكة الجلدية وضد القمل ، الا انه لم يرد فى أى من البرديات الطبية (اذ كان يستدعى لتحضيره تفاعلا حيويا خاصا لذلك لم يستخدم بكثرة) ٠

سلقون : **Minium (Red lead oxide)**

(بالمصرية ٠٠ « برش ») ٠

استخدم ضمن بعض الوصفات الطبية ٠

شـــبه : Alum

(بالمصرية .. « ابنو ») .

وصف ضد الحمى ولالتهابات العيون (قطرة) .

قار معدنى : Bitumen

(بالمصرية .. « منى ») .

وصف كاستنشاق لبخاره الصاعد منه عند تسخينه .

قطـــران : Tar

(بالمصرية .. « خت . نت . اني ») .

وصف لعلاج الرحم ورده لوضعه الطبيعى .

كبريتيد الزرنيخ : Orpiment (Natural arsenic sulphide)

(بالمصرية .. « اوت اب ») .

وصف بخاره استنشاقا ضد السعال .

كبريتيد الانتيمون : Antimony sulphide

(بالمصرية .. « مسدمت ») .

استعمل كحلا ولعلاج التهابات العيون دهانا ، وضمن حقنة للسيلان وللبلهارسيا . استعمله الاغريق والرومان بكثرة .

كبريتيد الرصـــاص : Lead sulphide (Galena)

استعمل كحلا منذ اقدم العصور المصرية ويستخرج من خاماته بالصهر . (مناجمه بالقرب من الأقصر فى جبل الرصاص) .

كبريت العمـــود : Sulphur

وصف ضد الجرب وعثر على كميـات منه فى مقابر قدماء المصريين ويظهر انها قد صهرت، ومناجمه برأس جمصة ورأس بناس على البحر الأحمر .

كلامينا (كادميا ـ حجر التوتيا ـ كربونات الزنك الخام) :
Calamine
(Cadmia, impure zinc carbonate)

(بالمصرية .. « حتم ») .

ورد ضمن ضماد لرعشة الأصابع وضد ظفرة العينين وموضعيا لخراج الثدى ومسكنا موضعيا (فى بردية هيرست) وضد الجرب .

لازورد :
Lapis lazuli (Cilicates of aluminium and sodium sulphide)

(بالمصرية .. « خسبد ») .

وصف لتحسين الابصـــار ، وأطلق عليه الاغريق اســـم ســـافيروس sapphiros .

مغرة صـــفراء : Yellow Ochre (Hydrated iron oxide)

(بالمصرية ·· « ستى ») ·

وصفت ضد الاسهال ولبوسا شرجيا لالتهاباته وطاردا لديدان الانكلستوما ولتقوية الذاكرة بالفم ومضمضة للسان ·

مغرة حمـــراء : Red Ochre (Natural iron oxide)

(بالمصرية ·· « منشت ») ·

وصفت ضمن دهان للحمرة وضمن ضماد لالتهاب الأصـبع ومسكن موضعى (فى بردية هيرست) وموضعيا لعلاج الحروق ولايقاف النزيف (فى بردية لندن) ·

مغنطيت : Magnetite

(بالمصرية ·· « بياقسى ») ·

وصف لعلاج ظفرة العين :

ملاخيت : (كحل اخضر) : Malachite (Green copper ore)

(بالمصرية ·· « وزد » و « وازو ») ·

وصف لطرد ثعبان البطن وضمن حقنة مهبلية لالتهاب المهبل وضد التهاب الملتحمة وضد التهاب اللثة ولتثبيت السن ومضمضة لتقرح الفم وضـد سيلان الأذن وضمن لبخة لعلاج الغدد الدرنية وموضعيا لالتهاب الاصبع (فى بردية هيرست) ·

ملـــح : Common salt (Sodium chloride)

(بالمصرية ·· « حمات ») ·

وصف ضمادا للجرح وللحرق وضمن لبخة للاكزيما الرطبة ولبوسا للاجهاض وضمن لبخة للخراج ·

نحاس (برادة النحاس) : Hammering flakes of copper

(بالمصرية ·· « خاو · نوحمت ») ·

ذكرت ضمن عدة وصفات ببردية ايبرس ·

نطـــرون : Natorn (Sodium carbonate and bicarbonate)

(بالمصرية ·· « حسمن ») ·

وصف ضمادا للحمرة ولعلاج الفقاقيع الجلدية ولتحسين الجلد (فى بردية هيرست) وأيضا ضمن دهان لناسور أو باسور وضد الجرب · (يوجد بكثرة فى وادى النطرون بالصـــحراء الغربية بمصر) ·

نفــط : Naphta

(بالمصرية ·· « برى · حر · خستف ») ·

ورد لعلاج كتاراكتا العين ·

هيمــاتيت : Haematite

(بالمصرية ·· « ديدى ») ·

هو خام الحديد ويوجد بعدة الوان ·· أسود وأحمر وأسمر واستعمل فى عصر ما قبل الاسرات ويوجد بكثرة فى الصـــحراء الشرقية · وصف لعلاج مرض البول السكرى ·

عقاقير معدنية وعضوية

الاسم العربى	الاسم الانجليزى	الاسم المصرى القديم
أسفلت	Asphalt	مرحت دوت ؟
جبس	Gypsum	بسن
خل	Vinegar	———
سلقون	Minium, Red lead oxide	برش ؟
شبه	Alum	ابنو
زفت	Bitumen	منى
قطران	Oakum, tar	خمت٠نت٠ابنى
كبريتور الزرنيخ	Orpiment	اوت٠اب
كبريتيد الأنتيمون	Antimony sulphide	مسدمت
كبريتيد الرصاص	Galena	مسدمت ؟
كبريت العمود	Sulphur	———
كالامينا	Calamine	حتم
لازورد	Lapis Lazuli	خسبد
مغرة صفراء	Yellow Ochre, (Hydrated iron oxide)	ستى
مغرة حمراء	Red Ochre, (Natural iron oxide)	منشت
مغنطيت (ح٣ أ٤)	Magnetite	بياقسى
ملخيت	Malachite	وزد٠وزو
ملح	Sodium chloride	حمات
نحاس (برادة)	Hammering flakes of copper	خاودنو خمت
نطرون	Natron	حسمن
نافط	Naphtha	برى حر خاستف
هيماتيت (خام حديد)	Haematite	ديدى

دهن القـــط : Cat's fat

(بالمصرية ‥ « مرحت ماو »)

ورد لاستخدامه ضد الفيران ·

دودة « عبننت » : Chaetopod

(بالمصرية ‥ « عبننت ») ·

حيوان مائى ·

الدودة ذات الألف رجل : Milliped (Diplopoda)

(بالمصرية ‥ « اكونتا ») ·

وردت ضمن ضماد لايقاف النزيف ·

دودة « عنعرت » : Chaetopoda

(بالمصرية ‥ « عنعرت ») ·

وردت ضمن وصفة لنزع الشعر ولالتهاب أصبع القدم (فى بردية هيرست) وضمن ضماد لايقاف النزيف ·

زبابـة : Shrew mouse

(بالمصرية ‥ « عمعمو ») ·

حيوان شبيه بالفار وخطمه طويل لأكل الحشرات (نوع من الجرذان) · وصفت رأسه ضمن ذرور لتجفيف قروح الأذن · (Xerosis)

زيت السمك : (زيت فرس البحر) : Fish oil

(بالمصرية ·· مرحت رم) ·

ورد ضمن وصفة لانبات الشعر ·

سـمك بلطى : Tilapia nilotica

(بالمصرية ·· « انت ») ·

ورد ضمن بعض الوصفات الطبية ·

سـمك رعـاد : Silurius

(بالمصرية ·· « نعرت ») ·

استخدمت جمجمته لعلاج الصداع النصفى فى حين وصف لحمه الطازج لتليين المفاصل المتيبسة · أيضا استخدم المخ كمسكن موضعى (بردية هيرست) ·

سـمك بورى :

(بالمصرية ·· « عظو ») ·

وصف لحمه لتليين صلابة الأعضاء ·

سـمك الشـال : Synodontis

(بالمصرية ·· دشرو) ·

وصفت جمجمته ضمن ضماد ·

سـمك القشر : Latus

(بالمصرية ·· « عحا ») ·

ورد ضمن ضماد ·

ضـــفدع : (Frog)

(بالمصرية ·· « عبسخن ») ·

وصف لازالة الهربس والاستسقاء وأيضا وصف أبو زنيمه كدهان للاستسقاء ·

طحـــال : Spleen

(بالمصرية ·· « نلشم ») ·

وصف طحال الثور موضعيا لتليين الركبـة وهو مقو جنسى وموضعيا ضد الانسكاب الدموى ·

عـاج : Ivory

(بالمصرية ·· « ابو ») ·

وصف ضمن ذرور لازالة القراع ·

عســـل : Honey

(بالمصرية ·· « بيت ») ·

وصف لعلاج اضطرابات الأمعاء والبطن وضد الاسهال والتهاب العين ولتحسين الابصار وللحروق ·

قوقـــع : Snail

(بالمصرية ·· « وازيت ») ·

وصف ضمن ضماد لعلاج الاصبع الداحس ولطرد السحر ·

كبـــد : Liver

(بالمصرية .. « مستا ») .

وصف كبد الثور ضد العشى (العمى الليلى) وضد الاجهاض المتكرر ، لوجود فيتامين « (أ) » .

مـــرارة : Bile

(بالمصرية .. « بنف » و « اودر ») .

وصفت مرارة الثور لطرد ثعبان البطن وضمن مرهم للحمرة أو ضماد . كذلك وصفت مرارة الماعز ضمن ضـــماد لعضـــة الانســـان .

نخـــاع : Marrow

(بالمصرية .. تين) .

وصف موضعيا لالتهاب الأصبع (بردية هيرست) .

خصـــية : Testicles

(بالمصرية .. « ســـمائى ») .

وصفت خصية الحمار ضد الصرع (وذلك بهرسهما ووضعهما في نبيذ ويشربه المريض) .

الاسم العربى	الاسم الانجليزى	الاسم المصرى القديم
دهن قط	Cat's fat	مرحت ماو
دودة عبننت بحرى	Chaetopod	عبننت
الدودة الفية الأرجل	Milliped	اكونتا
دودة عنعرت	Wassermolch	عنعرت
زباب	Shrew mouse	عمعمو
زيت السمك	Fish oil	مرحت رم
سمك بلطى	Thelapia nilotica	انت
سمك رعاد	Silurius	نعرت
سمك بودى	Honey	عظو
سمك الشال	Synodontis	دشرو
سمك القشر	Latus	عحا
ضفادع	Frog	عبخن
طحال	Spleen	ننشم
عاج	Ivory	ابو
عسل نحل	Honey	بيت
قوقع	Snail	وازيت
كبد	Liver	امست
مرارة الثور	Ox-bile	بنف
مرارة المعز	Goat's bile	بنف
مخ سمك الرعاد	Silurius brain	عم
نخاع	Marrow	ثين
خصية حمار	Donkey's testes	سماتى

عرف الكحول منذ آلاف السنين كأقدم مسكن للألم والاحساس بالنشاط والصحة . وقد عرف المصريون القدماء نوعين من المشروبات الكحولية هما : البيرة (الجعة أو البوظة) والنبيذ • فقد استخرجوا البيرة من الشعير باستنباته فيتحول ما به من نشويات مع الخميرة إلى مادة سكرية صمغية (وقد رسموا كل مراحل هذه الصناعة من نقع ثم تعريض المنقوع للهواء ثم اضافة الماء اليه مرة أخرى ثم ترشيحه في اناء مثقوب ثم فصل القشور المرة ثم تحويل ذلك الى عجين ثم وضعه في مكان دافىء ليتخمر ثم تصفيته ثم تخزين السائل في أوان خاصة) •

أيضا كانوا أحيانا يحولون الشعير المنقوع الى قوالب صغيرة جافة وتحفظ الى وقت الاحتياج لها حيث تغمر في ماء وتعرض للحرارة فتتخمر وتصفى (بنفس الطريقة التى تصنع بها البوظة حاليا) • (نسبة الكحول في الجعة من ٢ ــ ٥٪) •

أما النبيذ فصنعوه من عصير العنب ومن سائل النخيل ومن البلح (عرقى) وأيضا من المخيط ومن الرمان • وتتلخص صناعة النبيذ في عصر الثمار بالأرجل ثم وضع العصير في أوان خاصة حيث تترك لتتخمر بواسطة الخميرة الموجودة على غشاء الثمار • (نسبة الكحول في النبيذ تصل الى ١٤٪) • وكان المصريون في أواخر العصر الفرعوني يسدون أواني النبيذ بمادة راتنجية لمنع دخول الهواء •

أيضا حضروا نبيذ النخيل عن طريق شق ساق النخلة العليا أسفل الجريد فيخرج منها سائل يماثل النبيذ المستخرج من البلح ، الذى صنعوه عن طريق نقع البلح الجاف في ماء ثم تصفية السائل واضافة الخميرة (أو تلك الموجودة على غلاف الثمار) • كما صنعوا

نبيذ المخيط بان صنعوا منه كعكا ثم نبيذا . كذلك صنعوا نبيذ الرمان (كما وردت فى بردية او كسيرنكوس القبطية من القرن ٣م) . ودخل كل من الجعة والنبيذ فى كثير من وصفات المصريين القدماء . (والخميرة تحول السكريات الى كحول مذاب فى الماء بينما يتصاعد غاز ثاني اكسيد الكربون الى الهواء) .

وتمتص انسجة الجسم الكحول بسرعة ويؤثر على الدورة الدموية والجهازين الهضمى والعصبى ويخدر الالم قليلا ويقلل من الانزعاج والهموم وفى نفس الوقت يحلل من الزان الشخصية فيقوم بحركات غير متزنة ويخرج كلامه متلعثما واذا أسرف فى شربه يعتريه السكر وفقدان الوعى . ولا يحدث الكحول تنبيها للهضم كما يشيع محتسى الخمر ، كما ان ادمان شربه يلهب المعدة محدثا عسر هضم مزمنا . أيضـا لا يؤثر الكحول على التنفس بينما تتأثر الدورة الدموية اذ تتبدد الأوعية الشعرية فينخفض ضغط الدم ويقلل من عبء القلب ويحدث احساسا مؤقتا بالدفء كما لا يمنع البرد أو الزكـــام .

والكحول يعمل على تقصير العمر وهو سم بطىء فى حالة ادمان شربة وســام للأجهزة العصبية والهضمية والدموية كمـا أن تمدد الأوعية يقلل من الاحساس بالألم خاصة فى حالة أمراض الأوعية الطرفية .

المضـــادات الحيوية

عرف المصريون القدماء طرق تطهير الجروح والقروح بالاستعمالة بالخبز العفن عن طريق وضعه ضمادا عليها كما ورد فى وصفات بردية هيرست (اذ اعتقدوا فى وجود خاصية قتل مسببات الإلتهاب فى العفن المتكون على الخبز أى خاصية المضادات الحيوية) .

القسم الثانى :

الأماكن الدينية وصلتها بعلاج الأمراض خلال العصور المصرية القديمة

درج المصريون القدماء على زيارة معابد الآلهة ومقابر رجال الدين والأولياء والصالحين من البشر الذين عرف عنهم أثناء حياتهم الدنيوية بإتيانهم المعجزات الكثيرة من شفاء للمرضى من الأمراض المزمنة التى ألمت بهم وبأجسادهم وكذلك للأمراض النفسية والعصبية ومنها طرد الأرواح الشريرة والتى كانوا يعتقدون بأنها سبب هذه الأمراض النفسية وذلك بعد أن يئسوا من علاج الأطباء ·

وكان لهؤلاء الآلهة معابد خاصة يحج إليها المرضى طالبو الشفاء من أمراضهم المستعصية وبخاصة أثناء أعيادهم السنوية (الموالد) وقد كانت المنطقة المحيطة بالمعبد أو قبر الإله تعج بالآلاف من المرضى حيث يقضون أياما طويلة حوله يصلون بحرارة ومبتهلين للإله لكى يمنحهم بركة الشفاء ومن هؤلاء الآلهة :

١ ـ الاله رع :

كانت عبادته منتشرة منذ أقدم العصور المصرية وبخاصة فى مدينة آنو (« أون » أو « أيونو » بالعبرية وهليوبوليس باليونانية وعين شمس بالعربية) ومكانها المطرية حاليا شمال القاهرة ، والتى كانت أقدم مدينة مقدسة فى مصر كلها وظلت كذلك خلال عصورها الفرعونيـــة والى الفتح العربى لمصر سنة ٦٤١ م • وكان له معبد ضخم ذو طابع خاص اذ لم يكن بداخله صورة لهذا الاله بل احتوى على قطعة من الحجر مقدسة تسمى « بن بن » على شكل هرمى كانت موضوعة فى فناء مكشوف بالمعبد ـ وأحيانا كان الناس يصورونه على هيئة شكل آدمى ـ وأطلق عليه خلال بعض العصور أسماء مثل « آتوم » أو « حوريس الأفقين » أو « رع حور آختى » الذى كان على هيئة انسان رأسه على شكل صقر يعلوه قـرص الشمس ، ثم اندمجت كل هذه الصور وسمى (آتوم رع حور آختى) •

وظل معبد الشمس هذا مزارا للعلاج والشفاء لعامة الشعب فى مصر الى ما بعد الفتح العربى سنة ٦٤١ م •

٢ ـ الاله تحـــوت :

كان يعتبر اله الشفاء والحكمة • وقد أقيمت له معابد كبيرة وخاصة فى مركز عبـادته الرئيسى فى مدينة الاشمونين (وهى هرموبوليس القديمة بالقرب من مدينة ملوى الحالية) •

٣ ـ الاله اوزيريس :

وكان لهذا الاله مكانة خاصة عند قدماء المصريين وظلت كذلك حتى الفتح العربى ، اذ كانوا يعتقدون بأن مدينة أبيدوس (أبدو بالمصرية القديمة وأبيدوس باليونانية وحاليا العرابة المدفونة غربى

مدينة البليتا بمحافظة سوهاج) هو المكان الذى تنعقد عليه آمالهم في الحياة المستقبلية (أى ما بعد الموت) .

فمنذ ان قام ملوك الأسرة الأولى من مدينتهم أبيدوس بمعارك التوحيد للقطرين في مصر وهذه المدينة أصبحت أهم مدينة فى مصر كلها ونافست مدينة منف فى الدلتا .

وزعم ملوك هذه الأسرة أن أوزيريس أول سكان الغرب واله الخصب البشرى مدفون هناك وأن رأسه محفوظة فى صندوق صغير داخل مقبرته ، وهكذا عبده الناس هناك كاله مقدس رحيم . وكان الاثرياء يوصـــون قبل وفاتهم بدفنهم بالقرب من مقبرته وأقيمت الاحتفالات الكبيرة باعياده العظيمة . وسار باقى طبقات الشعب على منوالهم فى بناء مقابرهم فى ذلك المكان المقدس وفضلوها عن ان تكون بالقرب من بلاط الملك أو فى موطنهم الأصلى . أما من لم يكن يستطيع بناء قبره فى أبيدوس فانه كان يزور قبر الاله ويحج اليه وبذلك ضمن لنفسه مكانا بين الممتازين من الموتى وحرصوا كذلك على وضع الشواهد والنصب الصغيرة فوق قبورهم حاملة اسم أوزيريس .

وبمرور السنين والقرون تحول هذا المكان الى مزار مقدس يحج اليه كل المرضى طلبا للشفاء من أمراضهم المزمنة ولقضاء حوائجهم وخاصة ابتداء من الأسرة الخامسة .

واصبح كذلك من اشهر المزارات العلاجية معبد أوزيريس فى جزيرة بجه بالصعيد وهى من الأماكن المقدسة لدى قدماء المصريين لوجود تمثال الالهة تفنوت بالاضافة الى قبر الاله اوزوريس . وهذا المعبد كان أيام الحكم البطلمى فى مقدمة الأماكن المقدسة للشعب المصرى .

٤ ـ الالهة ايزيس :

أطلق عليها المصريون القدماء اســـم « مانحة الشفاء وحامية صحة النساء » ، وكانت لها معابد خاصة منتشرة في كثير من مدن مصر وخاصة في جزيرة فيله (الفنتين) حيث تركزت عبادتها هناك . وكان يقصد هذا المعبد آلاف المرضى طالبي الشفاء من أمراضهم حيث كانوا يقدمون القرابين لتطهير نفوسهم المريضة مما كان يساعد على اراحة ضمائرهم وبالتالي يشفون من أمراضهم النفسية .

ولقد وجد المصريون القدماء في أسطورة أوزيريس وما فعلته ايزيس لاعادة الحياة لأوزيريس بعد موته وكذلك شفاء ابنها حورس من لدغة العقرب وأيضا انقاذه من الحرق ... سبيلا لتداول رقيات ضد الحروق تقال على لسان ايزيس ظلت متداولـة لآلاف السنين ، وأقيمت لها معابد كثيرة في مختلف مدن مصر .

٥ ـ الاله خنـــوم :

كان يعتبر « حامي الحوامل » ويساعدهم على الحمل خصوصا عند العقيمات ، وكانت له معابد خاصة تزورها النساء فقط الراغبات في الحمل والانجاب وخاصة في جزيرة فيلة ومدن اسنا ـ هبسيليس ـ أمبوس ـ ادفو ـ طيبة ـ دندرة ـ أهناسيا والكثير من مدن بلاد النوبة ومنها دابود ـ دندور ـ الدكة ...... وغيرها .

٦ ـ الالهة سخمت :

كان لها معبد شهير في مدينة منف (ممفيس) يقصده آلاف المرضى طلبا للشفاء .

٧ ـ الاله خنسو :

كان يسمى اله الشفاء وتركزت عبادته فى مدينة طيبة حيث معبده الضخم ـ وكذلك في مدن ادفو وهرموبوليس (الأشمونين) • وكان ينسب لهذا الاله القدرة على طرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى • لذلك هرع اليه دوما آلاف المرضى بالأمراض العصبية والنفسية المزمنة •

٨ ـ الاله آمـون :

كانت عبادته الرئيسية تتركز فى مدينة طيبة التى خرج منها ملوك الأسرة الحادية عشرة وجعلوه المعبود الرئيسى لمصر كلها ، وقد بنى له معبد ضخم هناك هو معبد الكرنك • وامتد نفوذ هذا الاله الى الواحات فى الصحراء الغربية حيث بنى هناك معبدا ضخما شهيرا في واحة سيوه كان يحج اليه آلاف المرضى • وبعد غزو الآشوريين لمصر (عام ٦٦٤ ق • م) ترك المصريون عبادة الاله آمون وتحولوا الى عبادة الاله أوزيريس •

٩ ـ الاله بتـاح :

كان له معبد شهير فى مدينة منف عاصمة مصر أيام الأسرة الأولى والتى أصبح لها دور كبير فى تطور الديانة المصرية القديمة حيث رفع الكهنة الاله بتاح الى مصاف الاله الخالق ولقبوه بـ « خالق الدنيا » ، واشتهر معبده لآلاف السنين بكونه مزارا للمرضى طالبى الشفاء من أمراضهم المستعصية وكان يقام له فى كل عام عيد كبير (مولد) يؤمه آلاف المرضى •

١٠ ـ الاله امحـوتب :

كان يعد اله العلاج ، وكان مخصصا لعبادته معبد ضخم فى مدينة منف مكان مدرسته الطبية الشهيرة (والتى بنيت عام

٢٨٠٠ ق٠م) ، حيث كان يزورها آلاف المرضى للشفاء من أمراضهم ، وظلت حتى رفعه المصريون أيام العصر الفارسى (٥٠٠ ق٠م) الى مصاف الآلهة ، وتسب أصله الى سلالة بتاح وسخمت على أنه ابنهما وحل محل نفرتم فى ثالوث ممفيس الكبير وخصصت له ثلاثة معابد على الأقل لعبادته فى مدن ممفيس وطيبة وفيلة ٠ وذلك راجع الى طبيعة عقائد المصريين فى العصر المتأخر الفارسى اذ كان كل شيء قديم يعتبر أهلا للتقديس وجديرا بأن يرفع من شأنه على الرغم من أنها هى نفسها لم تعد تبتدع أشياء جديدة كثيرة ٠ وعلى هذا نشأت عبادة من كانوا هم أنفسهم من القائمين بها فى الزمن القديم حيث كانوا فعلا أشخاصا متجليين وأصبح بعضهم آلهة تقريبا٠ ومن هؤلاء الناس الوزير أمنحوتب بن حابو فى بلاط الملك امنحوتب الثالث حيث غدت مقبرته والتى كانت تقع على شاطىء مدينة طيبة الغربى مكانا مقدسا٠ وقد ارتفع شأن هذا المكان كثيرا فى العهد البطلمى لدرجة أن الملك بطلميوس الرابع قد جعل منه معبدا للمدينة وأصبح بذلك أمنحوتب ابن حابو فى مصاف الآلهة العظيمة وظلت هذه المقبرة قرونا طويلة فى حالة ممتازة بفضل الأوقاف الكثيرة التى أنفقت عليها مالا كثيرا فى سبيل المحافظة على بنيانها سليما وصالحا ٠

وفى عهد البطالمة بنى معبد دندرة وبداخله هيكل صغير للاله أوزيريس حيث كان عامة الشعب يحجون اليه ويقدمون له النذور طلبا للشفاء من أمراضهم وقضاء حوائجهم ٠

كذلك بنوا معبدا فى مدينة إدفو للمعبود حورس لنفس الغرض ، وهيكلا داخل معبد صغيرأطلق عليه اسم هيكل سكنوبايو ، والذى كان يقع على حافة صحراء الفيوم على الشاطىء الآخر من بحيرة قارون حيث كان عامة الشعب يزورونه ويكتبون رقاعا بها طلباتهم الشخصية والمرضية ويلقونها داخل الهيكل بغية اجابة الاله لطلباتهم وذلك أيام عيده الذى كان الناس يحجون فيها اليه كل عام ٠

وهذه الطريقة ساعدت على ازدهار بعض المعابد الكبيرة مثل معبد أبيدوس حيث كان الاله « بس » يجيب على أسئلة الناس ويحقق طلباتهم من حوائج شخصية ومرضية وبذلك زحزح مكانة الاله أوزيريس هناك ـ وينطبق هذا على معبد مدينة هليوبوليس (معبد الشــمس) ومعبد السرابيوم فى منف ومعبد ايزيس فى جزيرة فيلة وخاصة أثناء العصر الرومانى حيث ازدهر الاعتقاد بأن الآلهــة شافية الأمراض تمر بين المرضى الذى كانوا ينامون داخل المعابد الخاصة بهذه الآلهة وتمنحهم الشفاء من أمراضهم ٠

وتنسب قصص الشفاء من الأمراض الى الاله سيرابيس (وهو اسم الاله أوزيريس المصرى القديم الذى تغير اسمه أيام البطالمة) وكذلك تمجيد الآلهة للمعجزات التى يقوم بها الاله امونيس (وهو الحكيم القديم الذى غدا الها وهو الطبيب امحوتب المصرى القديم) ٠

وفى أواخر القرن الثالث الميلادى ، كان الشعب المصرى قد تحول معظمه الى الدين المسيحى ومع ذلك ظلت آثار الوثنية باقية واحتفظ المعبد المصرى بتأثيره الروحى على الشعب وخاصة لزائريه من المرضى ٠

وظل معبد سيرابيس فى مدينة الاســكندرية له المقــام الأول فى قلوب المرضى وكذلك معبد اسكلبيوس فى مدينة منف (وهو المعبد الأصلى للطبيب الاله امحوتب المصرى القديم) ٠ وكذلك معبد مدينة أخميم حيث كان يعبد فيه قديما الاله بتبى حيث كان زائروه يشفون من أمراضهم ٠

وبازدياد انتشار الدين المسيحى فى مصر أيام حكم الرومان هاجم المسيحيون هذه المعابد الوثنية وهدموا الكثير منها وحرقوها وبنوا كنائس من حجارتها وحولوا بعض هذه المعابد الى كنائس حيث صبغوها بالصبغة المسيحية اذ قاموا بطلائها من الخارج والداخل

بطبقة من الجبس ثم رسموا عليها صور القديسين والعائلة المقدسة والملائكة وقصص الرسل والشهداء كما وردت فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد • وبذلك تحولت ايزيس مع طفلها حورس والذى كان يصور على هيئة فارس يقتل تمساحا بحربة الى أشكال القديس جرجس والأم الالهة ـ ومع ذلك ظل حال المصرى دوما اذا مرض ابنه أن يرقيه ببعض الدعوات والابتهالات يذكر فيهـا الالـه حورس الطفل راجيا شفاء طفله المريض •

القسم الثالث :

موالد الآلهة ابان العصور المصرية القديمة

كان فى مصر القديمة أيام خاصة باعياد الآلهة تقام كل عام فى معبد خاص به وهذه الأعياد كانت تتضمن كذلك الأحداث الكبرى للمدينة التى يوجد بها المعبد · وكان العامة يأتون من كل صوب للمشاركة فى الاحتفال بعيد الاله وتعتبر فى نفس الوقت اعيادا شعبية يحتفل بها بشرب الجعة (البيرة) والتى كانت تصنع تكريما للاله وكان الناس يجلسون فوق المنازل فى هذه المدينة فى نسيم الليل ويدور اسم الاله بينهم كدعاء له لاجابة مطالبهم ، واعتاد الناس التعطر بالدهون العطرية · وترجع عادة الاحتفال بالموالد ومثل هذه الأعياد الى أسطورة مفادها أن الاله رع نفسه قد أنشأها منذ الأزل ، وشاع بذلك هذا الاعتقاد وتوارثته الأجيال (*) ·

(*) كتاب « ديانة مصر القديمة » تأليف ادولف ارمان ـ ترجمة د· عبد المنعم ابو بكر ود· محمد أنور شكرى ـ طبعة القاهرة ـ ١٩٦٠ ·

وكان من المعتاد وجود عيد أو أكثر من عيد رئيسى فى كل مدينة كذكرى لأحداث مهمة نابعة من أساطير الآلهة مثل ذكرى عيد ميلاد الاله أو انتصاره على عدوه • وكان المصرى القديم دائما يعطى لهذه الاعياد أهمية كبرى حيث تضاف أناشيد خاصة الى الطقوس التى تقام عادة فى الايام العادية ويزخرف المعبد بطريقة ملونة وجذابة وتضاء القناديل بدرجة اكبر • وكذلك تزاد التقدمات والتراتيل فى المعابد حتى يتسنى ارضاء جمهور النزلاء الذين يتدفقون على المعبد للاشتراك فى الاحتفالات بعيد الاله •

وكان غرض كهنة المعبد من هذه الاحتفالات أن يرى الشعب جمال سيد المعبد أى صورة الاله التى يتطلع اليها والتى كانت تخرج من محرابها وتنقل خارج قدس الأقداس داخل صوان خفيف بعد تزيينها لهذه المناسبة الدينية بالعديد من التمائم وقلائد الذهب • وكثيرا ما كان هذا المحراب السهل الحمل يتخذ شكل القارب لان المركب كانت فى نظر كل المصريين الوسيلة الطبيعية للانتقال •

والى جانب ذلك ، كان لكل اله عظيم مراكب حقيقية يستعملها فى اسفاره على النهر أثناء الاحتفال بعيده المقدس •

وهكذا عندما يخرج الاله من معبده ، كانت تحمل أمامه أعلام مزينة بصور الهية لاسيما بنات آوى (أوب — أوات) المنوطة بفتح الطريق للاله وترافق الاله تماثيل للمعبودات المرافقة وللملك • ثم يعرض الاله فى صالات الدخول للمعبد أو فى المدينة على قواعد حجرية وتقدم له القرابين والبخور والأدعية ، ثم تأزف اللحظة الحاسمة حينما يزيح الكهنة الأستار التى تحجب جوانب المحراب الصغير المحمول ، وبعدها تصيح الجماهير المتحمسة صيحات الفرح للتمثال الصغير الذى يمثل بالنسبة لهم أقدس شىء فى الوجود وتتعالى دعواتهم لقضاء الاله لمطالبهم وشفائهم من أمراضهم •

وفى مدينة طيبة كان الاحتفال بعيد الاله آمون ابان عصر الدولة الحديثة مشهدا مهولا يأتى الناس اليه من كل صوب للتبرك برؤيته والابتهال له للشفاء من الأمراض ولطرد الأرواح الشريرة والشياطين من أجسادهم ٠

وفى مدينة ابيدوس كان هناك عيد الاله أوزيريس وقصة انتصار ابنه حورس على أعداء أبيه ٠ وكذلك كان الاحتفال فى مدينة منف بالاله أوزيريس وعيد الاله أنوبيس اله الموتى فى الفيوم ومعبد اوب أوات فى أسيوط ٠

ولقد كان للطبيب المشهور امحوتب (الأسرة الثالثة) مزار فى الدير البحرى (معبد حتشبسوت فى البر الغربى لمدينة طيبة) يحج اليه الناس التماسا للشفاء من أمراضهم وذلك أثناء الاحتلال الفارسى لمصر (حوالى عام ٥٠٠ ق٠م) ٠

كذلك اتخذ المصريون القدماء الالهة ابوللونيا الهة لطب الأسنان يدعون اليها لشفائهم من أمراض أسنانهم (وكانت قد ولدت حوالى عام ٣٠٠ ق٠م وهى ابنة قاض مصرى) وذلك فى أوائل القرن الأول ق٠م وكان يحتفل بعيدها كل عام فى التاسع من شهر شباط (فبراير) ٠

القسم الرابع :

علاج الأمراض بالايحاء الروحى

يعتبر التداوى الايحائى أقدم طريقة من طرق التداوى الروحى للأمراض ، اذ يعود تاريخه الى عهد الانسان البدائى فى أول تدرجه نحو المدنيـة حيث كان ممتزجا بشعوذة دينية وأخرى سحرية غامضـة .

ومازالت بعض الشعوب البدائية الى اليـوم تربط التداوى الايحائى بشعوذات دينية أو سحرية ، والذين يمارسونه لا يزالون من رجال الدين أو السحرة ، وذلك عن طريق عدة أشكال من التعاويذ الدينية أو تعازيم سحرية لطرد الأرواح المسببة للأمراض (وخاصة العصبية والنفسية) (*) .

وفى بلاد الهند القديمة كانت هناك حالات عديدة من التنويم المغناطيسى الذاتى وتمثل أهم المظاهر فى تمارين اليوجا ، وكذلك

(*) التداوى بالايحاء الروحى – دكتور أمين رويحة – بيروت ١٩٧٤ – الطبعة الثانية .

الغوص فى التأملات التى تعتبر من أهم الطقوس الدينية البوذية وذلك بغرض استخدامه فى العلاج الطبى .

ويسود الاعتقاد عند الشعوب البدائية فى أن بعض الأمراض تسببها أرواح شريرة ، وللشفاء منها فانهم يلجأون الى طردها عن طريق استخدام التعاويذ والأناشيد السحرية ، وهذه كانت من اختصاص رجال الدين الذين يتقنون أساليب السحر أيضا .

ومثل هذه الآراء عن أسباب المرض وجدت عند بعض الشعوب فى المدنيات القديمة مثل الكلدانيين وقدماء المصريين وقدماء اليونانيين .

ففى بردية مصرية قديمة يرجع عهدها الى عام ١٥٥٠ ق.م وجد بها الآتى : ـ « لتسكين الألم فى ذراعه ، ضع يدك فوقه وقل له ان الألم سيزول » .

وكان لقدماء المصريين معابد عديدة كمعبد ايزيس الشهير حيث كان يؤمه المرضى للتداوى وينامون فى المعبد . وكانت أحلامهم فى تلك المعابد واسطة من وسائط التداوى الروحى لأمراضهم . ولقد انتقلت هذه الطريقة للتداوى بالنوم فى المعابد الى قدماء اليونانيين وزادوا عليها بأنهم يوصون المريض بالصوم عن الأكل واستخدام الحمامات الساخنة والتدليك ويقوون آماله فى الشفاء بروايات عن مرضى كانوا يشكون مثل مرضه وسبق أن عولجوا فى المعبد وشفوا تماما .

وفى القرن السادس الميلادى انتشرت هذه الطريقة فى مصر وروما حيث كان القساوسة والرهبان يعالجون المرضى فى الكنائس بالنوم فيها وتلاوة الصلوات وتعميدهم بالماء المقدس وبواسطة لمسهم لبعض المخلفات المقدسة للقديسين والشهداء .

وكان الطبيب اليونانى ابقراط قد وضع فى القرن الخامس ق٠م قاعدة عامة لمعرفة سجايا البشر ، اذ قسمهم الى أربعة نماذج وحدد لكل منهم استعداداته الجسمانية والنفسية – ولقد راعى فى هذا التقسيم أمزجة البشر وتكوين أجسامهم (ولا يزال هذا التقسيم معترفا به فى الطب ولكن بطريقة متطورة) ٠ وهذه الأقسام هى :

المزاج الدموى – المزاج السوداوى – المزاج الصفراوى – المزاج اللمفاوى ٠

ومن النادر أن يوجد شخص لا يحتوى على صفة واحدة فقط بل تنطبق أوصاف جسمه على أكثر من نوع ٠

ولقد ورد فى بردية ايبرس الطبية (١٥٥٠ ق٠م) ذكر أسماء لثلاث طوائف فنية كان افرادها يعالجون الأمراض وهم :

١ – طائفة (سونو) أو الأطباء الباطنيون ٠

٢ – طائفة كهنة سخمت وهم الجراحون ٠

٣ – طائفة (ساو) وهم الأطباء الروحانيون ٠

وكان لفظ (ساو) يعنى الساحر أو العراف أو طارد الأرواح الشريرة ٠ وكان افراد هذه الطائفة يستعملون الوسائل النفسية مثل التعازيم والأحجبة والفنون السحرية وكان لهم أثر كبير فى شفاء الأمراض التى كانت تحتاج الى علاج نفسانى أو روحانى ٠

وعلى هذا فقد حوت البردية على ذكر ثلاثة أنواع من العلاج وهى العقاقير والجراحة والتعازيم ٠

ولقد سببت هذه التعازيم والرقى الكثير من اللوم والشك فى جدية الطب الفرعونى باعتبار أن أغلبه خرافات وسحر وأن البرديات الطبية استعملت دائما التعازيم فى علاج الأمراض على

أساس أنها نشأت من هجوم شيطانى على المريض • وظن مؤرخو العصر الحديث أن الأطباء الباطنيين القدامى كانوا سحرة كافحوا عالما موبوءا بالشياطين ؛ ولقد ظهر أن بردية ايبرس تحوى على ٢١ رقية فقط وأنها وردت فى الأمراض العسرة العلاج والتى تتطلب رفع حالة المريض المعنوية عن طريق الايحاء الذاتى •

كذلك كان من أنجح الطرق لطرد الأرواح الخبيثة هى وضع جسم المريض تحت حماية الآلهـــة حتى اذا تألم الجسم تألمت معـه الآلهة •

وعلى هذا فقد كان الالتجاء الى الآلهة (ومن بعد ذلك أيـام المسيحية الى رب السماء أو الله أو الى القديسين) مع تلاوة النصوص الدينية نوعا من الايحاء النفسى وقصد به الاهتمام بالمريض وبعلاجه • فقد كان قدماء المصريين اذا ما أصابهم مرض مستعص عمدوا الى العبادة والقربان والبخور والرقى وهو ما يطلق عليه حديثا بالطب النفسانى أو الروحانى •

معابد العلاج الروحى فى مصر القديمة

اعتاد المصريون القدماء الذهاب والالتجاء الى معابد آلهتهم الممثلة فى صور شتى من حيوانات مقدسة لديهم والاستلقاء داخل أفنية هذه المعابد والاستغراق فى النوم سواء نهارا أو ليـلا طلبا للاستشارة والتنبؤ عن طريق أحلامهم فيما يخص أنفسهم فى مختلف نواحى صحتهم وكذلك ما يخص حياتهم الشخصية الفردية وما ينوون القيام به من مشروعات •

وكان أغلب وأهم ما يلتمسون فى المعبد من الآلهة أولا وآخرا العافية والشـــفاء من أمراضهم وما يعانون منها من آلام • وكانت

وسيلتهم فى ذلك ـ بعد أن يأسوا من العلاج الطبى المتمثل فى مختلف أنواع العقاقير ـ هو النوم والأحلام ... أى وسيلة الاتصال بالقوى الروحية العليا عن طريق التنويم فى المعبد اما طواعية أو عن طريق تنويمهم مغناطيسيا ، ويعقب ذلك ظهور الاله نفسه للمريض وقيامه بوصف الدواء المناسب لحالته المرضية .

وكانت أحلام هؤلاء المرضى عبارة عن تشخيص لمرضهم ويقوم بتفسيرها لهم بعض المفسرين المتخصصين فى الأحلام من طبقة الكهنة الرسميين فى المعبد وغيرهم من مفسرى الأحلام من غير سلك الكهنوت ... وهم من طائفة الأطباء الذين لديهم خبرة وتجارب كثيرة من كثرة ما شاهدوا من مرضى يشكون من أمراض كثيرة متباينة ، وما يراه هؤلاء المرضى فى أحلامهم وما يسمعونه فيها من الآلهة التى تظهر لهم من وصفات علاجية وأدبية وايحاء بما يجب أن يفعلوا ليتم لهم الشفاء .

ولقد نقل عنهم طائفة من اليونانيين القدماء المسمين Asclepiades والذين ينتمون لتعاليم اله الشفاء الاغريقى القديم Asclepios . وكان هؤلاء الأطباء من الكهنة يشخصون الأمراض عن طريق أحلام هؤلاء المرضى أو من ينوب عنهم (أى من يحلم بدلا منهم فى المعبد اذا استعصى على المريض المجىء الى المعبد او من امتنع عنهم النوم مثل مرضى الأعصاب من اكتئاب أو قلق أو احباط وغيرها) .

وكان هؤلاء الحالمون يتطوعون أحيانا لأن ينوموا ويحلموا لمن يعرفونه حبا وكرامة للخير ... وكان منهم المحترفون الذين يحلمون للناس وللمرضى لقاء اموال .. وكذلك لأنفسهم .

وكان هؤلاء الكهنة الأطباء من مفسرى أحلام المرضى يشخصون الأمراض عن طريق بحث الاحتمالات والرموز التى يراها الحالمون ثم يضعون للمرضى العلاج والدواء الناجع . وكان من بين تلك العلاجات

استخدام الحمامات الطبية وهى نوع خاص من الحمامات كان الطبيب يصفها للمريض سواء ساخنا أو باردا حسب كل حالة .

وقد كانت هناك طائفة من المفسرين الخصوصيين للأحلام ويقيمون خارج نطاق المعبد من غير رجال الكهنوت الرسميين وممن لهم وسائلهم الاعلامية الخاصة .

والى بعض المعابد الشهيرة كان المرضى يلجأون مثل معبد ايزيس ومعبد أوزيريس ومعبد بتاح فى منفيس (والذى احتوى على عجل ابيس) . ويتوسلون أن تتجلى عليهم الآلهة فى منامهم وخاصة ربة الشفاء ايزيس لكى تصف الدواء بنفسها وتهبهم الشفاء من أمراضهم الجسمانية والروحية وأن تفرج كربهم وتلهمهم الصواب فيما ينوون القيام به فى أعمالهم .

وكانت الربة ايزيس تعتبر الهة الشفاء والدواء وصانعته وتتجلى على المرضى الحالمين بصورتها كاملة فى منامهم بمعبدها وتشفى حتى من استعصى شفاؤه على يد الأطباء العاديين ... وكانت تسمى ايزيس الشافية .

وفى العصر البطلمى بمصر كان يحدث ذلك فى بعض المعابد الكبيرة مثل معابد سرابيس اله الشفاء المصرى – اليونانى وزوج ايزيس . ومن أشهر هذه المعابد الخاصة بالعلاج الروحى كان معبد سرابيس فى منطقة كانوب Canopus (ابو قير حاليا) بالاسكندرية حيث كان المرضى ينامون فيه ويحلمون أو من ينوب عنهم من الأشخاص العاديين من العامة أو الخاصة من الحكام والعظماء والمثقفين وما يحدث بعد ذلك من معجزات وشفاء .

وكان هناك بعض من مفسرى الأحلام يعلنون عن أنفسهم وعن الموهبة التى حباهم بها الله وهى موهبة تفسير الأحلام حيث يلجأ اليهم حجاج المعابد من المرضى لتفسير أحلامهم مقابل أموال وهبات ومنهم طائفة المفسرين المشهورين فى الوجه البحرى .

القسم الخامس :

معابد العلاج بالموسيقى عند الفراعنة

كانت الالحان من موسيقى وغناء عونا على الحياة الجادة ثم زخرفا للحياة الناعمة فى بيوت الأغنياء المترفين فى مصر القديمة ، وكان الناى والمزمـــار ــ بحكم ما كان ينبت فى مناقـع مصر من البوص ــ اقدم الآلات الموسيقية المصرية وأبسطها ٠

وما لبثت الموسيقى أن تغلغلت فى كل مرافق الحياة فى مصر حيث كانت لها منزلتها فى محاريب العبادة ومصليات القبـور وفى الأفراح والحفلات ٠ وقد عرف القدماء الآلات الوترية أيضا مثل الجنك والعود والطنبور خصوصا فى عهد الدولة الحديثة فضلا على الصلاصل والطبول والدفوف وأبواق الحرب ٠

وكانوا يعزفون على مختلف الآلات رجالا ونسـاء ، فرادى وجماعات وفى فرق مختلفة متكاملة مع الرقص والغناء ويضبطون الايقاع بالطبل أو بالصلاصل (الاجراس) أو فرقعة الأصابع أو بتصفيق الأيدى أو بأيد مصنوعة من الخشب أو العاج ٠

وكان من المصريين من يحترف الموسيقى ، فلقد كانت وسيلة يكسب بها المكفوفون عيشهم كما كانت هواية لأصحاب الترف يحبونها لذاتها كمثل ما نراه فى مقبرة النبيل « مريوكا » فى سقارة حيث صورت زوجته وهى تطربه بعزفها على الجنك ·

وقد آمن المصريون القدماء بأثر الموسيقى فى تهذيب المشاعر وترقية الأحاسيس ومع ذلك فانهم لم يسجلوا على آثارهم أو فى بردياتهم من ألحانهم وأنغامهم شيئا ربما لأنهم لم يهتدوا الى كتابتها أو اثباتها ويغلب على الظن أن الكنيسة القبطية مازال تحتفظ ببعض ما انحدر اليها من أنغام أجدادنا الأقدمين ·

وقد عرفت مناظر الرقص فى مصر منذ حضارة نقادة (قبل عصر الأسرات) حيث عثر على رسوم وتماثيل لرجال ونســاء يرقصون · ثم لم يلبث الرقص على أنغام الموسيقى من ناى وطبول أن تغلغل فى حياة المصريين طوال تاريخهم القديم وعرفوا منه أشكالا وأنماطا كثيرة وذلك بفضل رعاية الدين الذى كان الرقص ركنا من أركانه المهمة ومن شعائره · فلا تكاد تخلو مناسك الدين فى رحاب المعابد من منظر من مناظر الرقص الذى يؤديه الرجال والنساء فضلا عن الملوك الذين كانوا يمثلون أو يعبرون عن بعض أحداث الماضى البعيد · فكانت رقصة الملك وهو يمسك المجداف والمنديل أو بآنيتين عند تقديم القربان من أهم الرقصات الدينية ·

كذلك كان من أهم الرقصات الجنائزية رقص « المو » حيث كان الراقصون يمثلون أسلاف الملك المتوفى من ملوك بوتو — وهى مقاطعة كانت مزدهرة قبل توحيد مصر وقبل عهد الاسرات — وهم يستقبلونه فى عالمه الجديد بالجبانة بمختلف أنواع الآلات الموسيقية والعازفين عليها وكذلك ما كان يجرى فى الأعياد من رقص الراقصات لروح المتوفى لادخال السرور على قلبه على أنغام الموســيقى الصــاخبة ·

وكان المصريون القدماء من أشد الناس حبا للرقص والموسيقى بحيث كان الملوك يعينون العديد من المغنيات والراقصات والموسيقيات فى القصر الملكي ويمنحوهن الهبات السخية وكذلك كانوا مغرمين برقص الأقزام السودانيين ونجد ذلك فى حالة الاله « بس Bes » رب المرح والرقص عندهم منذ الدولة الوسطى والذى كان يصور على هيئة قزم يضرب على الدف (الرق) أو يعزف على الطنبور ٠

وفى الدولة الحديثة امتازت الحياة المصرية ـ بحكم ما أصابها من الثروة والرخاء ـ بشيوع الحفلات والمآدب التى لا يكتمل السرور فيها أثناء الطعام والشراب الا على أنغام الناى والجنك وضبط الايقاع بالتصفيق أو بالصنوج (الصاجات) فضلا عن الموسيقيات المحترفات اللاتى يرقصن ويغنين ويعزفن فى وقت واحد شبه عاريات ٠ ويعتبر رقصهن هو أصل الرقص الشرقى الحديث بكل حركاته وليس كما يشاع أنه منقول من الرقص التركى بل العكس فقد نقلت كل شعوب آسيا خطوات الرقص المصرى القديم حرفيا بكل حركاته ٠

وكانت المعابد منذ أقدم العصور المصرية القديمة تزخر بالعديد من ضاربى الدفوف والعازفين على مختلف الآلات الموسيقية كجزء لا يتجزأ من المراسم الدينية التى كانت تقام بمناسبة الاحتفال بعيد الاله الخاص بكل اقليم وذلك فى معبده الخاص به ٠ وكذلك كانت الموسيقى تجلجل أصداؤها مصاحبة للغناء بواسطة فريق من الرجال والنساء المعينين فى المعبد بصفة دائمة وذلك لأداء مراسم الاحتفالات بمختلف الأعياد الرسمية فى مصر مثل الدعاء للملك عند خروجه للحرب أو عند رجوعه منها سالما منتصرا أو عند وفاته أو توليه العرش أو فى احتفاله بالعيد الثلاثين لاعتلائه العرش ٠٠ الى آخره ٠

وكان المعبد يطلق عليه فى اللغة المصرية القديمة « بيت الاله » وأقدم معبد أقيم بالحجر هو معبد الملك زوسر الجنازى فى سقارة

(حيث كانت تعتبر جبانة مدينة منف عاصمة مصر الموحدة فى الأسرة الأولى) • ومدينة منف (حاليا بلدة ميت رهينة مركز البدرشين بالجيزة) كانت تزخر بالعديد من المعابد ودور الحكومة والقصور ومنازل النبلاء وعامة الشعب •

ومن أهم المعابد تلك الخاصة بعبادة مختلف المعبودات مثل الاله بتاح وسوكر ورع وغيرهم • وكان بكل معبد فريق من الفتيات اللائى يتبعن سلك الكاهنات منذ الدولة القديمة وكانت وظيفتهن الرقص والعزف على الآلات الموسيقية المختلفة المصاحبة للترانيم داخل المعبد أثناء الصلاة للمعبود الاله • وكان فناء المعبد يشهد جمعا من الفتيات يلعبن على الناى والمزمار والدفوف •

وقد عثر فى أطلال مدينة منف على بقايا جدار لمعبد صغير ملحق بمعبد الاله رع والذى يرجع بناؤه الى الأسرة السادسة (٢٢٨٠ ق•م) وهذا الجدار وجدت عليه نقوش تبين أن هذا المعبد كان مخصصا لعلاج المرضى الذين كانوا يعانون من العديد من الأمراض النفسية وذلك عن طريق علاجهم بالموسيقى الهادئة مع الاستعانة ببعض الأعشاب المهدئة للأعصاب •

كذلك استخدم الكهنة فى مصر القديمة الموسيقى كعلاج للأمراض فى معبد أبيدوس بمصر العليا وكان يعد من أكبر مراكز العلاج الطبى فى العصور القديمة كلها حيث استخدمت التراتيل المنغمة فى علاج بعض أنواع الأمراض العصبية والنفسية •

الحمامات الخاصة والعامة فى مصر خلال العصر الفرعونى

كان المصرى القديم يتميز بالنظافة الفائقة سواء أكان غنيا أم فقيرا واستخدم الماء الجارى النظيف فى غسل كل شىء ابتداء من

غسل الأواني قبل الشرب فيها أو الاكل وكذلك غسل يديه في الصباح وفي المساء وقبل الاكل وبعده وكذلك الاستحمام عدة مرات يوميا مستخدما الصودا أو ملح النطرون بديلا عن الصابون (لعدم معرفتهم بصناعته) مع استخدام الزيوت والعطور لصيانة البشرة وحفظ نعومتها ، وكان ماء الاستحمام والشرب ينقل الى المنازل في قرب مصنوعة من جلود الحيوانات وتحفظ في أوعية من الخزف المسامي (أزيار) لتنقيتها ويشرب من الماء الصافي المتساقط منهـا ٠

وبنى المصرى القديم قبل عهد الأسرات منزله بحيث احتوى على دورة للمياه (مرحاض) وحمام في مكان واحد وكانت أرضيته من الحجر وتتصل بماسورة الى الخارج لتصريف السوائل والفضلات ٠ وكان المستحم يصب الماء من أعلى فوق رأسه وجسده وينساب الماء الى الخارج وهذه أصح طرق الحفاظ على صحة وسلامة الجسد ٠ (بالمقارنة الى طريقة الاستحمام عند شعوب أوروبا من استخدام حوض يرقد فيه المستحم ويدلك جسده بمواد مزيلة للاوساخ ثم يخرج منه ويجفف جسده) ٠

عهد الدولة القديمة : كانت المنازل تحوى صالة كبيرة بالدور الأرضى بها حوض ماء محاط بأعمدة يستخدم كحمام خاص لرب الأسرة ولأسرته ، بخلاف دورة المياه في حجرة مستقلة عن الحمام ٠ وكانت أرضية الحمام مكسوة بطبقة من الجير وأحيانا من الحجر في حين كانت مياه الحمام تخزن في حجرة تحت الأرض بها صهريج كبير لا ينفذ منه أو اليه الماء ويرفع الى أعلى بشادوف وأحيانا كانت المياه تحفظ في زلع فخارية مصمتة في حين كانت المياه بعد الاستحمام تتدفق الى خزانات أسفل الحمامات ٠ وحسب القانون الصحي المفروض في ذلك الوقت كان يجعل الحمام ودورة المياه في

الجهـــة الجنوبية الشرقية وفى نهاية المنزل بحيث تأخذ الرياح الشمالية الغربية كافة الروائح الكريهة الى خارج المنزل ·

عهـد الدولة الحـديثة :

كان بالحمام حوض غسيل من الحجر الجيرى يقف فيه المستحم وجدران الحوض مكسوة من الداخل بالمعدن وبأسفله فتحة لخروج المياه المستعملة ، وأحيانا يتكون الحوض من تجويف حجرى مبطن من الداخل بغشاء معدنى وبأسفله بالوعة (مصنوعة من الرصاص وحلقة السبيكة من البرنز الأصفر) والبالوعة لها سدادة مخروطية معدنية تنتهى من أعلى بسلسلة معدنية فاذا ما شدت السلسلة نزع السداد المعدنى ويتدفق الماء من الحوض فى مواسير المجارى النحاسية والتى تبدأ من أول حوض مارة تحت أرضية الحجرات ومنتهية الى الخارج · وكل حوض للاغتسال متصل بمواسير فرعية تتصل فى النهاية بالماسورة الرئيسية · وتتكون ماسورة المجارى من قطع طول كل منها ٤٠ سم مصنوعة من النحاس المطروق وتتصل ببعضها ، وتصب المياه المستعملة فى مكان رملى بعيدا عن الحمام بواسطة مواسير يبلغ طولها أحيانا ٤٠٠ متر ·

وكان المستحم يدخل الحمام ويصب على جسمه الماء (سواء فاترا أو ساخنا) وبه النطرون بنفسه أو بواسطة شخص آخر يقف خلف ساتر ومن مكان عال بواسطة ابريق ثم يجفف جسده ويعطره بالزيوت (شكل ١) ·

وفى المدن حيث المنازل متلاصقة ، كانت مياه الحمامات من كل منزل تصرف فى مواسير تقع فى منتصف الطريق فى مجار حجرية مكشوفة غير عميقة عرضها من أعلى حوالى ٤٥ سم ثم تصرف فى مكان رملى بعيد ·

وكانت جدران الحمامات مكسوة ببلاط جيرى رفيع فى حين كانت أرضيتها مكسوة ببلاط جيرى صغير وبها حوض أو مغطس صغير دائرى • وأحيانا كانت تكسى الجدران والأرضيات ببلاط جيرى وتوجد فتحة بالأرضية لتصريف الماء المستعمل بواسطة قناة مغطاه ثم تتجمع المياه بعد ذلك فى خزان مكشوف خارج المنزل حيث تتعرض للبخر وتجف •

وأحيانا أخرى كانت أرضية الحمام ترتفع الى أعلى قليلا وتكسى جدرانها بالحجر ويوجد به حوض يحوى ثقبا يخرج منه الماء المستعمل ويتجمع فى حوض أمامى ، ويحوط الأرضية حاجز لمنع تسرب المياه خارجها وبجوار الحمام توجد غرفة لخلع الملابس (شكل ٢) •

كذلك استبدل أرضية الحمام بدلا من لوحة حجرية مائلة بحوض حجرى منحوت له حائط منخفض لحجز المياه وكان المستحم يقف فى هذا الحوض ويصب الماء على جسده من اناء أو ابريق أو بمعرفة شـــخص آخر (الزوجة فى اغلب الأمر) ، وكانت المياه المستعملة تنساب فى ميزاب لتصب فى اناء مثبت فى الأرض ثم تكسح هذه المياه بعد ذلك بواسطة كوز • وكانت المياه المستخدمة دائما هى المياه الجارية وليست الراكدة دليلا على ارتفاع الوعى الصحى عند قدماء المصريين •

وأحيانا كانت أرضية الحمام فى بعض المنازل مكسوة بالحجر الأملس ومائلة نحو ثقب لكى تصب المياه المستعملة فى حوض التجمع بعد ذلك وتنزح الى الخارج من خلال ماسورة فخارية تخترق جدار المنزل لكى تصب فى اناء خارجى ثم يكسح الماء باناء • وأحيانا أخرى كان الحمام ملاصقا لحجرة أخرى بها مائدة حجريـة عليهـا أدوات للزينة والعطور •

وتعتبر طريقة قدماء المصريين فى الاستحمام أفضل الطرق لحماية صحتهم وذلك منذ فجر تاريخهم والى العصر الحديث وكان

الإستحمام واجبا مقدسا لدرجة أنه اكتشفت عدة مقابر فرعونية لأمراء مصريين بها حمامات وذلك فى عام ٢٧٨٠ ق٠م ، فى حين كان كثير من الشعوب المحيطة بمصر يستخدمون أحواضا يملئونها بالماء ويغطون أجسادهم بالصابون ويدلكونه عليهم ثم يغطسون فى الماء ويشطفون الصابون ثم يخرجون ويجففون أجسادهم وبالتالى كانت القاذورات تعلق بجلدهم ، كذلك كانت هذه الأحواض يستعملها اناس كثيرون مما يسهل انتقال العدوى بالأمراض ٠

كذلك كان سكان أوروبا القدماء يبغضون الاستحمام بالماء ولا يقربونه على أجسادهم الا فى الأعياد والمناسبات ويستبدلونه بالعطور النفاذة لاخفاء رائحة العرق ٠

أما سكان جزر بحر ايجه وما حولها من شبه الجزيرة الاغريقية أو الساحل الغربى لآسيا الصغرى فكانوا خليطا من قبائل متعددة كونت فيما بعد الشعب اليونانى (نسبة الى منطقة قبائل أيونيا بغرب آسيا الصغرى الذين احتلوا باقى المناطق) أو الاغريقى وكانت طريقة الاستحمام عندهم تتركز فى الحمامات العامة يؤمونها بين الحين والآخر للاغتسال والمتعة اما للرجال والنساء معا أو منفردين ونقلوا عاداتهم تلك معهم اينما رحلوا وحلوا ومن هذه المناطق كانت أرض مصر الفرعونية ٠

مراجـــع الكتـــاب

١ ـ المراجـــع العربية :

١ ـ ابن القفطى ، تاريخ الفلاسفة ، ليبزج ـ ألمانيا ١٩٠٣ .

٢ ـ ابن أبى اصيبعه ، عيون الأنبـــاء فى طبقات الأطبـــاء ، بيروت ١٩٨١ .

٣ ـ أحمد عيسى ، معجم اسماء النبات ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

٤ ـ أحمـد كمـــال ، اللآلىء الدرية فى النبـــاتات المصرية ، القاهرة ١٨٩٠ .

٥ ـ انطون ذكرى ، الأدب والدين عنـــد قدماء المصريين ، القاهرة ١٩٢٧ .

٦ ـ انطـــون ذكرى ، الطب والتحنيط فى عهـــد الفراعنة ، القاهرة ١٩٢٦ .

٧ ـ باهور لبيب (دكتور) ، لمحات من الدراســـات المصرية القديمة ، القاهرة ١٩٦١ .

٨ ـ بول غليونجى (دكتور) وزينب الدواخلى (دكتورة) ، الحضارة الطبية فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٩ ـ بول غليونجى (دكتور) ، الطب عنـــد قدماء المصريين ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٠ ـ جورج شحاته قنواتى (دكتور ـ الأب) ، تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط ، القاهرة ١٩٥٩ ٠

١١ ـ جيمس هنرى بريستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور ، تعريب الدكتور حسن كمال ، القاهرة ١٩٥١ ٠

١٢ ـ حسن كمال (دكتور) ، الطب المصرى القديم ، اجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ـ القاهرة ١٩٦٤ ٠

١٣ ـ زكى شنودة (مستشار) ، موسوعة تاريخ الاقباط ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

١٤ ـ سليم حسن ، مصر القديمة ، القاهرة ١٩٤٥ ٠

١٥ ـ صابر جبرة (دكتور) ، التحنيط ، القاهرة ١٩٣٨ ٠

١٦ ـ صابر جبرة (دكتور) ، تاريخ الصيدلة ، القاهرة ١٩٣٧ ٠

١٧ ـ صابرجبرة (دكتور) ، تاريخ العقاقير والعلاج ، القاهرة ١٩٦٠ ٠

١٨ ـ عازر ارمانيوس ، المجموعة النباتية الصغرى ، القاهرة ١٩٣٤ ٠

١٩ ـ عبد العزيز عبد الرحمن (دكتور) ، تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء عند قدماء المصريين ، القاهرة ١٩٣٩ ٠

٢٠ ـ كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، تعريب محمد مسعود ، القاهرة ١٩٨١ ٠

٢١ ـ محمد شرف (دكتور) ، معجم شرف ٠

٢٢ ـ وليم نظير ، الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، القاهرة ١٩٧٠ ٠

٢ ـ المراجع الأجنبية :

1. BARNES, John W.B. : Five Ràmesseum Papyri, London, 1956.

2. BELL, H. I. ; Egypt and the Byzantine Empire, London, 1930.

3. BOURGEY., L. ; Observation et Experience chez les Medecine de la « Collection Hippocratique », Paris, 1953.

4. BREASTED, James H. ; Ancient Records of Egypt, New York, 1922.

5. BREASTED, James H. ; History of Egypt, Chicago 1905.

6. BREASTED, James H. ; The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, Chicago, 1912.

7. BREASTED, James H. ; The Edwin Smith Surgical Papyrus, Chicago, 1930.

8. BUTLER, A. J. ; The Arab Conquest of Egypt, London, 1927.

9. CHABBAS ; Papyrus Anastasi (1400 B.C.), Paris, 1948.

10. CHABBAS ; Papyrus Harris, Paris, 1947.

11. CREAD, J. M. & Delacy, O'Leary ; The Contribution to Christianity, Paris, 1940.

12. DAREMBERG, Ch. ; Oeuvres Anatomiques, Physiologiques et Medicales de Galien, Paris, 1854.

13. DAWSON, Warren R. ; Magician & Leech, New York. 1940.

14. DAWSON, Warren R. ; Studies in Ancient Materia Medica. New York, 1925.

15. DAWSON, Warren R. ; The Legacy of Egypt. New York. 1944.

16. DAVIS, E. : The Tomb of Nakht, London, 1948.

17. DIEHL, Ch. ; L'Egypte Chretienne et Byzantine, Paris, 1933.

18. EBBELL, E. ; The Ebers Papyrus, Copenhagen, 1937.

19. ERMAN, Adolf ; Life in Ancient Egypt. New York, 1971.

20. ERMAN, Adolf ; The Literature of the Ancient Egyptians. New York, 1968.

21. FORBED, R. J. ; Ancient Technology, Vol. III, London, 1938.

22. GAILLARD, Claude ; Mem. de L'Institute Franc. D'Arch. du Caire, Cairo, 1923.

23. GALEN ; On the Natural Faculties, Loeb Classical Lib., London, 1926.

24. GARRISON, History of Medicine, 4th edition, London, 1925.

25. GRIFFITH, F. L. L. ; Hieratic Papyri from Khaun & Gurob, London, 1898.

26. HARDY, E.R. ; Christian Egypt, Church & People, New York, 1952.

27. HARDY, E. R. ; The Large Eastates Byzantine Egypt, New York, 1931.

28. HARTMANN, Ferdnande ; L'Agriculture dans L'Ancienne Egypt, Paris, 1923.

29. HERODOTUS : The Histories, England, 1954.

30. INVERSEN, Erik ; Papyrus Carlesberg VIII, Copenhagen, 1939.

31. JONKHEERE, Frans ; Le Papyrus Medical Chester Beatty, Brussels, 1947.

32. KAMAL, Hasan ; Dictionary of Pharaonic Medicine, Cairo, 1967.

33. LANE-POOLE, Stanely ; A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1901.

34. LEAKE, Chauncey ; The Old Egyptian Medical Papyri. London, 1952.

35. LEFEBRE, Gustav ; La Medicine Egyptienne de l'Epoque Pharaonique, Paris, 1956.

36. LORET, Charles ; Les Plantes dans L'Antiquites et Moyen Age, Paris, 1938.

37. LORET, Victor ; La Flore Pharaonique, 2nd edition, Paris, 1892.

38. LUCAS, Alfred ; Materials and Industries in Ancient Egypt, London, 1962.

39. MILNE, L. G. ; A History of Egypt under Roman Rule, London, 1924.

40. MURRAY, Margaret ; The Splendour that was Egypt, London, 1964.

41. PARSONS, E. A. ; The Alexandrian Library, London, 1952.

42. PETRIE, Flanders ; Social Life in Egypt, London, 1924.

43. SCHWEINFURTH, George ; Les Dernieres Decouvertes Botanique dans Les Ancien Tombeaux de L'Egypte, Paris. 1938.

44. SHORTER, A. W. ; Every Day Life in Ancient Egypt, London, 1925.

45. SIGERIST ; History of Medicine, Prim. & Archaic, London, 1930.

46. SINGER, C. ; Greek Biology and Greek Medicine, Oxford, 1922.

47. SINGER, Charles ; Short History of Medicine, London, 1962.

48. TAYLOR, Henry Osborn ; Greek Biology and Medicine, New York, 1922.

فهـــرس

تقـديم د/ عبد العظيم رمضـان ٥
مقــدمة ٧
نشأة المجتمع المصرى القديم وتطوره ٩

الفصـل الأول :

القسم الأول :

مظاهر الحضارة المصرية ابان العصر الفرعوني . ١٩

القسم الثـانى :

- جذور الطب والصيدلة فى مصر القديمة . . . ٧٣

القســم الثالث :

- تطور الحضارة الطبية والصيدلية فى مصر القديمة ١٠٩
الجراحة فى مصر القـديمة ١٤١

الفصـل الثـانى :

القســم الأول :

- المدارس الطبية والصيدلية فى مصر القديمة . ١٥٣

القسم الثانى ـ

– النظريات الطبية عند قدماء المصريين . . . ١٧٧

القسم الثالث :

–الاطباء فى مصر القديمة ١٩١

الفصل الثالث :

القسم الأول ،

البرديات الطبية المصرية القديمة ١٩٩

–آلهة الشفاء ٢٢٦

القسم الثانى ـ

المركبات العطرية فى مصر القديمة ٢٢٩

١ ـ الدهانات العطرية ٢٣٠

٢ ـ الزيوت الطيارة والعطور ٢٣٦

٣ ـ البخور ٢٤٣

القسم الثالث :

مستحضرات التجميل فى مصر القديمة . . . ٢٤٧

القسم الرابع :

التحنيط عند قدماء المصريين ٢٥٧

الفصــل الرابــع :

القســم الأول :

الزراعة فى مصر القديمة ٢٧١
النباتات الطبية والعطرية فى مصر القديمة . . ٢٧٣
العقاقير النباتية ٢٨٥
العقاقير المعدنية والعضوية ٣٣٧
العقاقير الحيوانية ٣٤٣

القســم الثــانى ـ

الأماكن الدينية وصلتها بعلاج الأمراض فى مصر القــــديمة ٣٥١

القســم الثــالث :

موالد الآلهة فى مصر القـــديمة ٣٥٩

القســم الرابع :

علاج الأمراض بالايحاء الروحى ٣٦٣
معابد العلاج الروحى فى مصر القديمة . . . ٣٦٦

القســم الخامس :

معابد العلاج بالموسيقى عند الفراعنة ٣٧١

الحمامات الخاصة والعامة فى مصر خلال العصر
الفـــرعونى ٣٧٤
المراجـع ٣٧٩
١ ــ المراجع العــربية
٢ ــ المراجع الأجنبية
ــ صدر من هذه السلسلة ٣٨٢

● صدر من هذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان

٢ ـ على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثورة يوليـو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د. محمد نعمـــان جلال

٥ ـ غارات أوربا على الشـــواطىء المصرية فى العصور الوسـيطى
عليـــة عبد السميع

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعى

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى
د. عبد المنعـم ماجـد

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركـات

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد أنيس

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فـوزى

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية
شـــكرى القاضى

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير
د. نبيـل راغب

١٣ ـ الكذوبة الاستعمار المصرى للسودان
د. عبد العظيم رمضان

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى
د . على حسنى الخربوطلى

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د. حلمى احمد شلبى

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د.محمد نور فرحـات

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د. على السيد محمود

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. احمد محمود صـابون

٢٠ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى
د. محمـد انيس

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيـق الطـويل

٢٢ ـ نظـرات فى تاريخ مصر
جمـال بدوى

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢
توفيـق الطويل

٢٤ ـ الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل

٢٥ ـ المجتمع الاسلامى
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل على

٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ ـ مصر فى عهد الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ـ الموظفون فى مصر
د. حلمى أحمد شلبى

٣١ ـ خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ ٢
لمعى المطيعى

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د. خالد الكومى

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان لبيب رزق

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى

٣٦ ـ المجتمع الاسلامى والغرب جـ ٢
ترجمة : د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى

٣٧ ـ الشيخ على يوسف
تأليف : د٠ سليمان صالح

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى
د٠ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان
د٠ جميل عبيد

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د٠ عبد المنعم الدسوقى الجميعى

٤١ ـ محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غربال

٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز

٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى
د٠ محمد عفيفى

٤٥ ـ الحروب الصليبية
تأليف : وليم الصورى
ترجمة : ا٠د٠ حسن حبشى

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تاليف : د· عبد الرؤوف أحمد عمرو

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث
تاليف : أ·د· لطيفة محمد سالم

٤٨ ـ الفلاح المصرى
تاليف : د · زبيدة عطا

٤٩ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية
تاليف : أ· د· عبد العظيم رمضان

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تاليف : د· سهير اسكندر

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية
اعداد : د· عبد العظيم رمضان

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر
تاليف : د· الهام محمد على ذهنى

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك
د· محمد كمال الدين عز الدين على

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى
تاليف : الدكتور محمد عفيفى

٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ ٢
ترجمة وتحقيق : د· حسن حبشى

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على
د· حلمى أحمد شلبى

٥٧ ــ مصر الاسلامية وأهل الذمة
د· سيدة اسماعيل كاشف

٥٨ ــ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة
د· ابراهيم عبد الله المسلمى

٥٩ ــ الرأسمالية الصناعية فى مصر
د· عبد السلام عبد الحليم عامر

٦٠ ــ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية**
عبد الحميد توفيق زكى

٦١ ــ تاريخ الاسكندرية
ا· د· عبد العظيم رمضان

٦٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر جـ ٣
لمعى المطيعى

٦٣ ــ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور
ا· د· سيد اسماعيل الكاشف

٦٤ ــ مصر وحقوق الانسان
د· محمد نعمان جلال

٦٥ ــ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية
د· سهام نصار

٦٦ ــ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى
د· نريمان عبد الكريم احمد

٦٧ ــ الأصول التاريخية لمساعى السلام العربية الاسرائيلية
ا· د· عبد العظيم رمضان .

٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ ٣
ترجمة وتحقيق : أ· د· حسن حبشى

٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة
د· محمد أبو الاسـعاد

٧٠ـ أهـل الذمـة
أ· د· حسن حبشى

٧١ ـ مذكرات اللورد كلبرين
ترجمة : د· عبد الرؤوف أحمد عمر

٧٢ ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١ م)
د· أمينة أحمد امام الشوربجى

٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة
د· رؤف عباس حامد

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٩٦٨ / ١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 4127 — 5

يتناول نشأة المجتمع المصرى القديم وتطوره، كما يتناول مظاهر الحضارة المصرية إبان العصر الفرعونى من جوانبها السياسية والادارية والدينية والثقافية، كما يتناول التشريح وتطوره، وتطور الصيدلة وأمراض النساء والكبد والعيون والختان والإجهاض والجراحة والمدارس الطبية والصيدلية والمكتبات العلمية وجامعة الاسكندرية، والبرديات الطبية وآلهة الشفاء والمركبات العطرية والتحنيط.

ويتناول الجزء الأخير منه النباتات الطبية والعطرية والأماكن الدينية وصلتها بعلاج الأمراض، والعلاج بالإيحاء الروحى ومعابد العلاج بالموسيقى ..

وكتاب بهذا الشمول يعتبر عملا موسوعيا ضخما من الدرجة الأولى حيث يجد القارىء فيه ماينشد من متعة وثقافة ومادة علمية.

٣٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب